

الفيلسوف الشامل :

مسار حياة وبنية عمل

عبد الرحمن بدوي في عيد ميلاده الثمانين

د. حسن حنفي

obeikandi.com

أولاً : من جيل إلى جيل

ليس الفلاسفة دوائر منعزلة فى كل جيل، أو أجيالا منفصلة جيلا وراء جيل، بل هى رسالة حضارية واحدة يقوم بها الفلاسفة - عن وعى أو عن لا وعى - بإرادتهم الإبداعية الحرة أو بتجلي روح الحضارة فيهم، باعتبارهم مظاهر لعقل جمعى كلى واحد. وبالرغم من إحساس بعض الفلاسفة - فى الشرق والغرب على حد سواء - بأنهم وخيدو عصرهم، وأن كلا منهم نسيج وحده، فلا يوجد إلا ذاته، منذ عبر ماكس شترنر عن ذلك فى «الواحد وما يملكه»، إلا أن هذا التفرد لا يلغى المياه الجوفية التى ينبثق منها هذا النبع الفياض حتى لو بلغ عنان السماء. إن كيركجارد هو الفرد ولكنه ثورة على العصر ونقل الفكر الأوروبى - كله - من الفلسفة الحديثة إلى الفلسفة المعاصرة، وإن نيتشه هو وحيد عصره. وهو - مع ذلك - يمثل عصراً بأكمله، نهاية قرن (القرن التاسع عشر) وبداية آخر (القرن العشرين). النبع مرئى وما فى باطن الأرض غير مرئى.

والجيل اللاحق هو الذى يطور الجيل السابق، فعلاقة الأجيال ليست علاقة تفخيم وتعظيم وتبجيل، مما قد يصل إلى حد التقديس والتأليه. التعظيم موت للمعظم والمعظم على حد سواء، نفخ للبالون حتى ينفجر، نوبان للسكر فى أكبر قدر ممكن من الماء حتى يذهب طعمه، مد للحبل السرى حتى ينقطع. وقد جرت العادة فى الاحتفالات بذكرى الراحلين أو بالتحيات فى أعياد ميلادهم الفضية أو الماسية أو الذهبية باتباع هذا النهج، مع الظن أن ذلك من مظاهر التكريم، علاقة الشيخ بالمريد، والأستاذ بالتلميذ، والسيد بالعبد. وغالباً ما يتم ذلك عن نفاق وزلفى ومطلب حتى يرفع الأستاذ التلميذ إلى مصافه، وحتى يعيش الصغار على موائد الكبار، وحتى يمتلئ الفكر بالصراخ الإعلامى فيضيع الفكر ويذهب العلم ويتوقف التاريخ.

إن خير تحية من جيل للاحق لجيل سابق هى النقد والتطوير، بل والقلب رأساً على عقب، من النقيض إلى النقيض، من أجل بيان جدل السلب والإيجاب، والوجه الآخر للحقيقة. فالفيلسوف - بطبيعته - أحادى النظرة، صاحب رأى، ومؤسس اتجاه،

ورائد مدرسة. يضحى بجانب من أجل إبراز جانب آخر. فيأتى فيلسوف بعده ويذكره بما أغفل، ويبرز الجانب الآخر حتى تكتمل الصورة. لقد طور أفلاطون معانى سقراط فى (نظرية المثل) ثم نقد أرسطو نظرية المثل وقلبها رأساً على عقب. كما طور الهيجليون اليساريون هيجل، ثم جاء ماركس فقلب هيجل رأساً على عقب واضعاً رأسه على الأرض وجاعلاً قدميه إلى السماء، فعاشت الفلسفة اليونانية وتعددت رؤاها، كما عاشت الفلسفة الحديثة وتعددت مدارسها. وقد نقد المسيح اليهودية، وهو يهودى، ونقد الإسلام المسيحية واليهودية، وهما فى الأصل وخيان من الله، والكل وخى واحد: دين إبراهيم.

ليس الهدف من النقد بيان العيوب والمثالب، وهو المعنى الدارج الشائع فى الثقافة الشعبية، بل وضع المفكر وعمله فى مرحلته التاريخية من أجل تطوير الجيل اللاحق للجيل السابق. وهذا أكبر دليل على الوفاء، استمرار عمل الأجيال فى إعادة صياغة المشروع الفلسفى الجماعى لمرحلة تاريخية بأكملها، هو عصر النهضة العربى منذ القرن الماضى. أما النكران والجدود فهو فى الإهمال عن غير قصد، والاستبعاد عن قصد، وبالتالي قطع الشرايين عن القلب، وتجفيف النهر حتى لا تصب فى النهر الكبير.

ويتطلب ذلك منهج القراءة والتأويل، وإعادة البناء والتركيب، ونقل عمل الجيل السابق لعمل الجيل اللاحق، فالمشروع الحضارى للوعى الجمعى يستغرق عدة أجيال. وفى حالة العالم العربى يمتد مشروع النهضة منذ القرن الماضى ومازال مستمراً حتى نهاية هذا القرن، ولم يكتمل بعد، وربما ظل قائماً لعدة أجيال قادمة، جيل يؤسس، وجيل يمهّد، وجيل يرسى القواعد، وجيل يحكم الصياغة، وجيل يحقق. وربما تستغرق كل مرحلة عدة أجيال، فإذا كان الطهطاوى أسس مشروع النهضة، ومهد له جيل تال له: أحمد لطفى السيد وطه حسين والعقاد، فإن الفيلسوف الشامل هو الذى أرسى القواعد بفضل توجيه مصطفى عبد الرازق. ثم يأتى الجيل الحالى ليحكم الصياغة، جيل المشاريع العربية المعاصرة بعد ١٩٦٧، مثل مشروع «التراث

والتجديد» و«نقد العقل العربي»، و«التراث والثورة» - كنماذج ممثلة من مصر والمغرب والشام - ويسلمه لجيل قادم يحقق مشروع النهضة على نحو علمي دقيق، جيل تكون وتجراً وقرأً بين السطور وتجاوز، مثل جيل نصر حامد أبو زيد، ثم جيل على مبروك.

ولا يوجد خطأ وصواب في منهج القراءة وإعادة البناء، صواب الجيل السابق وخطأ الجيل اللاحق أو خطأ الجيل السابق وصواب الجيل اللاحق. بل هي أدوار متعاقبة وأطوار متتالية لنفس المشروع النهضوي، كل جيل في مرحلته وبناء على ظروف عصره. فالزمن يتغير، وتتغير الرؤى وتتبدل المناهج بالرغم من وحدة المشروع الحضاري واستمراريته عبر الأجيال، فالمسئولية جماعية، والعمل مشترك، والبناء متعدد الطوابق، ومتفاوت الأعماق، ومتغير السعة، ودون الأساس لا يقوم البناء، ودون التمهيد والإعداد لا يحدث حفر في الأرض ولا تشييد للطوابق.

وهذه محاولة لإعادة بناء الفيلسوف الشامل، وتطويره، ولم الشتات المتناثر الذي يزيد على المائة وعشرين كتاباً في منظومة واحدة غائية تصورية، في إحالة متبادلة بين العمل والحياة والواقع، وهي وحدة واحدة، فقد رأى الفيلسوف الشامل نفسه في حنين بن إسحق ودار الحكمة بمفرده، ولكن هذه المرة مع الغرب وليس مع اليونان. مع توحيد معه، ونشر الترجمات العربية القديمة. قدم المترجمون القدماء الفلسفة اليونانية كما قدم بدوى وحده - من المحدثين - الفلسفة الغربية. وكما كان المترجمون القدماء أيضاً فلاسفة، فإن المترجم الحديث - أيضاً - فيلسوف، يترجم ويؤلف. وكما أراد القدماء نهضة الثقافة العربية الإسلامية وتأصيلها، كذلك أراد الفيلسوف الشامل نهضة الثقافة العربية في مرحلتها التاريخية الثانية. إنما الفرق الوحيد أن القدماء عملوا كفريق بتدعيم من الخلفاء، والفيلسوف الشامل يعمل وحده في الوطن. أولاً، ثم بعيداً عنه، ثانياً، حتى تقلص المشروع الفلسفي النهضوي إلى مجرد مشروع فلسفي تاريخي، لم يكن الفيلسوف الشامل في حاجة إلى تأسيس جمعية فلسفية مصرية كما طرحت عليه في منتصف الستينيات - لأنه كان يعتبر نفسه جمعية

فلسفية - بمفرده - دونما حاجة إلى الآخرين، وما زال متوحداً في غربته كاله في علاه. يتوحد مع عمله كما يتوحد الله مع خلقه، يرى ذاته في موضوعه كما يرى الله ذاته في خلقه.

وفي «موسوعة الفلسفة» (جزءان) لا يذكر في الجزء الأول مع ابن باجه (٩ ص) وابن رشد (٢١ ص) وابن سينا (٢٧ ص) وابن طفيل (٨ ص) وأبى البركات البغدادي (نصف صفحة) فأبى سليمان المنطقي (١ ص) وحنين بن إسحاق (١ ص) إلا عبد الرحمن بدوي (٢٥ ص)^(١). وفي الجزء الثاني لا يذكر من أقرانه إلا أستاذه مصطفى عبد الرزاق (٣ ص) مع الغزالي (٦ ص) والفارابي (٢٦ ص) والكندي (١٥ ص). ولا يضع ضمن المراجع إلا الأجنبية، وكأن العرب المعاصرين لم يضيفوا إلى الدراسات الفلسفية شيئاً. وإن ذكر فإنه لا يذكر إلا مؤلفاته العربية ضمن المراجع الأجنبية مثل «شوبنهاور» و«نيتشه» و«اشبنجلر» و«شلنج».

ولا يحيل إلى أحد من أقرانه في مؤلفاته عن الفلسفة وتاريخها، وكأنه أول من كتب في الميدان، خاصة المؤلفات المتأخرة منذ الستينيات وحتى الآن، حيث تعددت الدراسات حول كانط وهيغل. ولا يحيل إلى الترجمات العربية للنصوص كما يحيل إلى ترجمته الخاصة لكتاب «الوجود والعدم» لجان بول سارتر. كما تعددت الكتابات حول الفلسفة اليونانية تأليفاً وترجمةً لنصوصها داخل مصر وخارجها، وهو الذي ينشر بعد مصر في لبنان والكويت، ولكنه لا يشير إليها لامدحاً ولا ذماً، بل يعتمد - كلية - على المراجع والمصادر الأجنبية وكأنه يؤلف في لندن أو باريس أو برلين أو روما أو مدريد. وما أسهل نقلها - تصويراً - من أى مؤلف أجنبي في الموضوع، كما يفعل بعض الباحثين المبتدئين دون الاطلاع عليها بل إيهاماً بها في مجتمع يعز فيه الحصول على المراجع، ويندر وجودها في المكتبات العامة أو الخاصة.

وإذا عرف الفيلسوف على الاتساع الشيء فإنه يوجد، وإن لم لم يعرفه فإنه لا وجود له. فكتاب «علم الجمال» لهيغل لم يعرفه المؤلف لذلك لم يعرضه، ولم يعرضه إلا بعد أن عرفه، مما يدل على التوحيد - لاشعورياً - لديه بين وجود الشيء والمعرفة

به، كما فعل الوعي الأوروبي مع العالم الجديد، وكأنه لم يكن موجوداً قبل اكتشاف الأوروبيين له فيما يسمى بالاستكشافات الجغرافية.

وأحياناً يكتب اسمه على الغلاف اللاتيني بينط أكبر من اسم الكتاب وكأن المحقق هو الأساس وعنوان الكتاب هو الفرع، وكأن عين القارئ لابد أن تقع -أولاً- على الشخص قبل أن ترى الموضوع^(٣).

وبترتيب بمؤلفات الفيلسوف الشامل فى أول صفحات الكتاب من الجهة اليمنى حتى يصاب القارئ بالدوار ويشعر بعظمة صاحبه، ونادراً ما يوجد فى آخره من الجهة اليسرى وكما جرت العادة عند الفانين من البشر^(٣). وفى كل أعماله - تأليفاً وتحقيقاً وترجمة وإعداداً- فى الجبهات الثلاث لا يميل الفيلسوف الشامل إلى أحد من أقرانه فى الهوامش، وكأن الفلسفة ابتدأت فيه، وانتهت به، ولا يحيل إلا إلى أعماله، فهو المؤلف وهو المرجع، هو الشاهد وهو المشهود له، هو المقاس والمقيس، هو التصور وهو التصديق^(٤)، وفى الإنسانية والوجودية فى الفكر العربى، يشكر الفيلسوف الشامل مدرسة الآداب العليا «بيروت» ومديرها «جيريل برونور» على التعاون الثقافى الحر بين (بلدان البحر المتوسط) دون تسميته العالم العربى، وفى تيار تسميات طه حسين ورنبيه حبشى^(٥). وربما هو الاستثناء الوحيد كما تقتضى بذلك آداب الشكر للضيافة العربية.

لم يشر ابن الثمانين ربيعاً إلى أحد من أقرانه الذين ساهموا معه فى نفس المشروع النهضوى الجماعى، مثل إبراهيم بيومى مذكور فى محاولته إعادة دراسة الفلسفة الإسلامية، وعثمان أمين فى محاولته تحديد بؤرة للإصلاح سماها «الجوانية» فى التصوف، خاصة الغزالى، والفلسفة - خاصة الفارابى - فى التراث القديم، وفى المثالية الفرنسية عند ديكارت والألمانية عن كانط وفشته، وفى يومياته فى باريس، ورسالته فى الجامعة، وهى نفس رسالة توفيق الطويل فى دراسة التصوف فى مصر، والإمام الشعرانى ودراسة الأخلاق العربية ومحاولته تأسيس مثالية معتدلة. وهى نفس رسالة زكى نجيب محمود عن طريق فهم التحليل

والوضعية المنطقية وتجديد الفكر العربى. بل لقد ساهم آخرون من جيله، وربما من تلامذته فى تأسيس الوجودية مثل زكريا إبراهيم، أو الاعتماد على نيته مثل فؤاد زكريا إضافة عليه، ولكن الأب لا يعترف بأحد، حتى ولو كانوا من أبنائه الشرعيين بل إنه لا يذكر أحداً من العرب، سواء فى المغرب العربى مثل محمد عزيز لحبابى، أو فى الجزائر مثل شيخ بو عمران، أو فى تونس مثل محبوب بن ميلاد، أو فى الشام مثل جميل صليبا وسليمان دنيا، فمصر وحدها فى العالم العربى، وهو وحده فى مصر، مع أن الأقران العرب كثيرون الذكر له، والإشادة بفضله، والاعتراف بدوره، والسؤال عنه بعد أن غاب عن الوطن، فالوطن الكبير مازال يذكر أبنائه، كما يذكر أحفاده.

بل لا يذكر مشروع النهضة منذ بدايته فى القرن الماضى، ولا يربط نفسه بإحدى التيارات الثلاثة فيه، الليبرالية السياسية عند الطهطاوى وخير الدين التونسي، أو الحركة الإصلاحية عند الأفغانى ومحمد عبده فى مصر، أو عبد الحميد بن باديس فى الجزائر، أو الطاهر بن عاشور من علماء الزيتونية، أو علال الفاسى فى المغرب، أو الكواكبي فى الشام، أو الالوسيان فى العراق، أو الشوكانى فى اليمن. كما لا يأخذ موقفاً بالنسبة للتيار العلمى العلمانى فى مصر والشام عند شبلى شميل وفرح أنطون وسلامة موسى وإسماعيل مظهر وغيرهم. وقف الطود الشامخ بمفرده مثل دون كيخوته يحارب وحده، ورأفضا فروسية الآخرين. لذلك كان من ترجماته واختياراته ضمن الروائع المائة، وتوحد مع أبطاله الأسطوريين، فالواقع أسطورة، والأسطورة واقع، ملائكة كانوا أو شياطين، ولا يحيل إلى أحد من أقرانه الذين درسوا قبله أو معه الفكر الأوروبى فى بناييعه، أو فى مساره. وإذا كان لا يذكر النصوص المترجمة إلى اللغة العربية عن أعلام الفلسفة الأوروبية ولو تنويعاً بها، فالأولى ألا يذكر كل الدراسات التى تمت قبله ومعه عن الفلسفة الأوروبية، فهو وحيد عصره، لم يكتب أحد قبله ولا معه، وربما لن يكتب أحد بعده، لا فيلسوف فى الغرب ولا باحث فى الشرق.

يريد إقامة مشروعه المتعدد الجوانب وحده، ببطولة فردية، كما يبدو أحياناً من عدة عبارات مثل: «لكل فكر ممتاز حياة حافلة في الضمير الواعى المتطور للإنسانية»^(٦). ويهاجم (أبو العلا عفيفى)، لأنه تجرأ و نشر بعضاً من الترجمات العربية القديمة، ويعتمد هو على مشروعات الآخرين دون أن يذكرهم. ومشروع أفلاطون عند العرب هو مشروع بول كراوس، تحول عند المحقق إلى «أفلاطون فى الإسلام».

وكل الترجمات العربية القديمة هى مشاريع، بل من المستشرقين مثل «اشتينيشتيدر» و«جراف» من مستشرقى القرن الماضى، نشروا فى المجلات العلمية المتخصصة. وربما فضل الفيلسوف المحقق هو جمع هذه النشرات السابقة فى كتب، وجعلها ميسورة لأكبر قدر ممكن من الدارسين والقراء، وربما يظل «بدوى» مُحققاً أكثر منه مؤلفاً. والحالتان الوحيدتان اللتان عمل فيهما مع أحد أقرانه، هما ترجمته لكتاب «فلسفة الحضارة» لألبرت اشفيتسر، ومراجعة «زكى نجيب محمود».. وهى حادثة فريدة، أن يقبل الفيلسوف، وحيد عصره، أن يراجع عليه أحد.. وواضح أن الترجمة من الإنجليزية، لأن المراجع لا يعرف الألمانية أو الفرنسية، وربما كانت مراجعة صورية، نظراً لما تتطلبه دور النشر الحكومية من مراجعة، فقد نشر الكتاب فى المؤسسة المصرية التابعة لوزارة الإرشاد القومى عام ١٩٦٣. والثانى ترجمته لكتاب «بنروبي» مصادر وتيارات الفلسفة المعاصرة فى فرنسا (جزءان)، ومراجعة د. ثابت الفندى، لأنه ضمن مشروع (الألف كتاب) بوزارة التعليم العالى، ومن إصدارات المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، وتستلزم الدولة المراجعة مع الترجمة.

ولم يذكر الفيلسوف الشامل من أقرانه الفلاسفة بالمديح والثناء إلا أستاذه: طه حسين، الذى أشرف على رسالته للدكتوراه فى عام ١٩٤٣ عن الزمان الوجودى، وأستاذه مصطفى عبد الرزاق.

فقد أعد الفيلسوف الشامل كتاباً تذكاريّاً عن طه حسين فى عيد ميلاده السبعين،

يتضمن دراسات مهداة من أصدقائه وتلاميذه، مع إهداء خطابى رنان إلى العلم الشامخ فى الأدب المعاصر، ورائد النزعة الإنسانية فى الفكر العربى الحديث، والأديب الذى فتح للأدب العربى أفاقاً عالمية، والمفكر الحر، والقلب الكبير، والعقل المحيط والناقد، والساحر بفصاحة اللسان، من أدخل مناهج النقد الأدبى الحديث، وصاحب أجمل ترجمة ذاتية، وأسهم فى القصة العربية، وأضاء تاريخ صدر الإسلام، ونشر التراث الكلاسيكى، فأصبح الموقظ الأكبر للعقل العربى^(٧).

فقرأ التلميذ نفسه فى الأستاذ، ورأى صورته فى مرآته، وهو ما لا يسمح به تلميذ الأمس إلى تلاميذ اليوم، كما أهدى من دراساته الإسلامية «الإنسانية والوجودية فى الفكر العربى»، إلى روح أستاذه الأكبر مصطفى عبد الرزاق، الذى انبهر بقوة إيمانه وهو فى مرحلة تمرد الشباب، ورأى فيه نموذج الإنسانية فى بيئة ضاعت فيها قيمة الإنسان، فهو الذى هداه من العصيان إلى الطاعة، ومن الثورة إلى الإذعان، يهديه كتابه روحاً بروح، بعد أن عز إهداؤه إليه يدأ بيد^(٨). وهو ما يشارك فيه كل الأقران من تلاميذ الأستاذ اعترافاً بفضل^(٩).

وقد كتب الفيلسوف الشامل سيرته الذاتية بنفسه فى مادة «بدوى» فى «موسوعة الفلسفة»، حياته وأعماله وفكره^(١٠). دون أن ينتظر أن يخلد أحد ذكره. فهذا شرف لا يستطيع أحد من أقرانه وتلاميذه وأصدقائه ومحبيه الوصول إليه. فهو الذى يحيا، وهو الذى يحيى نفسه، وهو الذى يموت، وهو الذى يُعزى نفسه، لا يحتاج الممثل إلى جمهور، ففى فنه يتحقق الفنان والناقد، المبدع والمتلقى، ولا حتى شكر المنعم واجب عليه، كما قال المعتزلة قديماً فى الواجبات العقلية الثلاثة: الخلق، والتكليف، وشكر المنعم، فالبقرى يولد ويحيا ويموت كقدر تاريخى، وكجزء منه فى إحدى مراحل.

ثانياً: الفلسفة على الاتساع

وأول ما يبدو هو هذا الكم الهائل من المؤلفات للفيلسوف الشامل لدرجة استحالة الاستيعاب والقراءة والاحتواء، فقد جاوزت المائة كتاب، أمكن حصرها وتحليلها، وفي رأيه المائة وعشرين كتاباً، وفي رأى ناشريه المائة وخمسين كتاباً^(١١). ولاتساعها بوبها صاحب الثمانين ربيعاً فى أبواب: مبتكرات، دراسات، و خلاصة الفكر الأوربي، ودراسات إسلامية، وترجمات (الراوئع المائة) بل وفى سلاسل مثل سلسلة الينابيع، وبلغات متعددة، العربية، وهى الأكثر، والفرنسية وهى الأقل. وتتنوع الأعمال بين التأليف والتحقيق والترجمة والإعداد، والإبداع الشعري والقصصى، مما يستلزم تصنيفاً جديداً، من أجل تلمس جوانب المشروع الفلسفى للفيلسوف الشامل، فهو - من هذه الناحية - فيلسوف عصر وسيط مسيحي مثل توما الاكوينى، يكتب «الخلاصة اللاهوتية» فى عشرات الأجزاء. وهو أيضاً فيلسوف إسلامى يجمع ويؤلف ويعرض وينتقى ويقتبس، كما فعل ابن سينا فى فى موسوعاته. هو فيلسوف موسوعى، يؤلف فى كل ميدان، ويكتب فى كل علم، لا تحد معارفه حدود، يسبح فى فضاء لا نهائى للمعارف البشرية مثل القدماء، لا فرق بين النقل والإبداع، بين المعرفة والعلم، بين التراث والتجديد^(١٢).

وهناك فلاسفة آخرون مقلون فى التأليف، عظماء فى الأثر، مثل «برجسون» الذى لا تتجاوز مؤلفاته الثمانية ولكنه شق طريقاً جديداً للفلسفة مازالت قائمة، بل أرسى قواعد تيار بأكمله «البرجسونية»، بالرغم من أنه كان لا يريد أن يؤسس مذهباً. فالمذهب مغلق، وهو صاحب فلسفة التفتح، ولقد كان الفيلسوف على الاتساع على إعجاب شديد ببرجسون، وأعلن عن صدور مؤلف عنه، ولكن الإعجاب شىء، والسلوك شىء آخر.

وهناك شعور حاد بالفلسفة على الاتساع، وبملاحم المشروع العامة فى الأفق، فى ذكر مؤلفات الفيلسوف الشامل. وتصنيفها فى أربع مجموعات:

أ- «مبتكرات» أى الإبداع. وهو الأصغر حجماً والأهم كيفاً، وتجمع بين الفلسفة

والشعر واليوميات^(١٣).

ب- «دراسات» وتضم خلاصة الفكر الأدبي، وتشمل الدراسات الفلسفية والمنطق والشعر ومناهج البحث. بل وتضم الترجمة وكأنها دراسات، مثل «النقد التاريخي» وهو ليس تأليفاً أو دراسة، بل ترجمة كتاب لأنجلو دسينوبوس بنفس العنوان. أما خلاصة الفكر الأوربي، فتشمل دراسة أعلام الفلسفة الحديثة، مثل نيتشه واشبنجلر وشوبنهاور وشلنج، أو الفلسفة اليونانية مثل أفلاطون وأرسطو (باعتبارهما صيف الفكر اليوناني أي الذروة)، مع ربيع الفكر اليوناني (البداية)، وخريف الفكر اليوناني مع شقائه (النهاية) وفلسفة العصور الوسطى قبل الانتقال إلى العصور الحديثة. وباعتبار أن اليونان مصدر الغرب الحديث^(١٤).

ج - «دراسات إسلامية» وتشمل التحقيق والتأليف والترجمة والإعداد، والإعلان عنها دون ترتيب زمني أو موضوعي، وتشمل الترجمات العربية القديمة لأرسطو وأفلاطون وأفلوطين، الصحيح فيها والمنحول، وتحقيق النصوص العربية لابن سينا وابن رشد، والغزالي، وأبي يزيد البسطامي، والتوحیدی، ومسكويه، والمبشر بن فاتك، وابن سبعين، وأبي سليمان المنطقي. والترجمة لنقل التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية، ودراسات المستشرقين عن الإنسان الكامل، وعن الخوارج والشيعة، وعن ابن عربي وروح الحضارة العربية، أما التأليف فيشمل تاريخ الإلحاد، والإنسانية والوجودية في الفكر العربي، وهو أكثر المؤلفات إبداعاً وربطاً بين التراثين الإسلامي والغربي، وخازم القرطاجني وأرسطو ربطا بين التراثين الإسلامي واليوناني، ورابعة العدوية شهيدة العشق الإلهي، ودور العرب في تكوين الفكر الأوربي، ربطا بين التراث العربي والتراث الغربي^(١٥).

أما الترجمات فتشمل الروائع المائة، ومعظمها ترجمات عن الأدب الرومانسي الألماني شعراً ونثراً وأقلها عن الأسبانية والفرنسية^(١٦). وتأتي ترجمات أخرى خارج الروائع المائة ودون ترقيم، إضافات عامة، حتمتها ربما الظروف والمناسبات، تجمع بين الحضارة والفلسفة والفن^(١٧).

وقد كتب الفيلسوف الشامل موسوعتين بمفرده صدرتا فى نفس العام: «موسوعة المستشرقين» فى جزء واحد و«موسوعة الفلسفة» فى جزأين، اعترافاً بفضلهم وإقراراً بمصادر علمه، وتتبع الموسوعة الأولى الترتيب الأبجدى العربى لأعلام الاستشراق، وللموضوعات على حد سواء، ويبدأ المقال بعرض حياة المستشرق ومؤلفاته، وينتهى بمراجع عنه، ويمتد الاستشراق عبر العصر الوسيط والعصر الحديث. ويذكر كل من تعرض للإسلام من الغربيين، وهو عمل تجميعى خالص، معظمه منقول من مراجع أجنبية دون الإعلان عنها، وقد وضعت موضوعات مع الأسماء مثل القرآن طبعته فى أوروبا وفهارسه وترجماته الأولى، دون الحديث. ويذكر المعجم اللاتينى العربى الأول، والمعجم اللاتينى العربى الثانى، وأولوية المطبعة العربية فى أوروبا، مادامت المادة والمعلومات متوافرة. يغلب عليها المدح، ويغيب منها النقد. وتخلو الموسوعة من تصدير أو استهلال أو مقدمة، تحدد إطارها وتبين هدفها، أسوة بباقى المؤلفات والتحقيقات والترجمات والإعدادات^(١٨).

والثانية «موسوعة الفلسفة» (جزءان)، تضم أعلام الفلسفة ومدارسها، وأهم مفاهيمها وموضوعاتها وتاريخها، بترتيب أبجدى عربى، وفى آخر كل مقال بعض المصادر والمراجع المنتقاة، والفلسفة بالمعنى الواسع، إذ تضم بعض علماء النفس والاجتماع والسياسة والاقتصاد. والكتاب لا يتضمن قائمة بأسماء الفلاسفة فى آخره، بل بعض صور الفلاسفة. ويجمع بين الفلسفتين العربية الإسلامية والغربية على نحو غير متوازن.

فبينما يضم الجزء الأول تسعة فلاسفة عرب منهم المؤلف نفسه، يضم مائة وثلاثة فلاسفة أوروبيين. وبينما يضم الجزء الثانى أربعة فلاسفة عرب، يضم مائة وثلاثة وعشرين فيلسوفا غربيا، وكأن العرب والمسلمين لا دور لهم فى الفلسفة^(١٩).

والهدف من موسوعة الفلسفة تلبية حاجة القارئ العربى المتخصص وغير المتخصص بما يحتاجان إليه، للأول المعلومات الأولية عن الفيلسوف والمذهب، وللثانى حرية الفكر واتساع الأفق وروح النقد، وتمكينه من تكوين نظرة فلسفية للكون

والإنسان والحياة، والهدف - فى الحاليتين - السمو بالفكر الإنسانى الرفيع^(٢٠).

وتعتمد بطبيعة الحال على بعض ما أصدره من كتب سابقة. كما أفاد من الموسوعات الفلسفية الأوربية والأمريكية فى العقدين الآخرين، ومن السلاسل الفرنسية والألمانية والإيطالية المتخصصة لأعلام الفلسفة ومذاهبهم، ومن معاجم المصطلحات الفلسفية التى يستغرق سردها عدة صفحات، كما يتجلى نموذج الفلسفة على الاتساع فى ترجمته لكتاب بنروبي «مصادر» وتيارات الفلسفة المعاصرة فى فرنسا (جزءان). والذى يستعرض حوالى اثنين وستين فيلسوفاً حياة ومؤلفات ومذاهب فى ثلاثة تيارات رئيسية: الوضعية التجريبية، والوضعية الوطنية، والكاثوليكية باتجاهيها النفسى والاجتماعى، والمثالية النقدية والمعرفية، والوضعية الميتافيزيقية والروحية، وكلها تدور حول الأنا والتجربة الفردية، لذلك عشقها الفيلسوف الموسوعى.

وقد تتغير العناوين المعلن عنها مثل الإعلان عن المثالية الألمانية فى ثلاثة أجزاء (فشته، هيجل، شلنج) ثم صدر تحت عنوان «شلنج» مع فصلين تمهيديين عن «فشته وشلنج»، وقبل أن يستأثر هيجل بجزأين آخرين عن فلسفة القانون والسياسة، وفلسفة الجمال والفن.

وقد يعلن عن كتب ولا تصدر، مثل الإعلان عن «برجسون» فى خلاصة الفكر الأوربى، وعن رسائل الإسكندر الأفروديسى فى كتاب مستقل، وقد صدرت فى كتاب آخر شروح على أرسطو مفقودة فى اليونانية ورسائل أخرى، و«إيرقلس عند العرب» وقد صدر فى «الأفلاطونية المحدثه عند العرب»، «والآراء الطبيعية لفلوطرخس»، وقد صدر فى كتاب آخر، والتشويق إلى الحياة الدائمة للتوحيدى، ولم يصدر، وربما حنين ابن إسحق: آداب الفلاسفة. والإعلان عن الترجمات من الروائع المائة، ولم يصدر منها إلا ما يتجاوز العشرين، وكأن العمر يتسع مع ما يتسع إلى ترجمة روائع مائة من الأدب الأوربى، بالإضافة إلى ما يزيد عن المائة من الدراسات الأخرى فى التراثين العربى والأوربى، تأليفاً وتحقيقاً وترجمة وإعداداً، فرد واحد يقوم بدور جيل

كامل أو مؤسسة بحثية بأسرها. وأحياناً يعلن عن عدد مختلف من الأجزاء: مثل الإعلان عن منطق أرسطو مرة في أجزاء خمسة وهو الأقل، ومرة في ثلاثة أجزاء، وهو الأكثر والأصح، ودون كيخوته «لثربنتس»، الإعلان عنها في أربعة أجزاء وصدرت في جزأين.

ومرة يعلن عن كتاب في الدراسات، وهو مترجم دون اسم المترجم، مثل «روح الحضارة العربية» وهو لكابل هنرش شيدر، ومرة مع ذكر المؤلف مثل فلهوزن «الخارج والشيعة»، و«التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية»، و«شخصيات قلقة في الإسلام»، و«شطحات الصوفية»، و«الإنسان الكامل»، وكلها مترجمات، دون الإعلان عن مؤلفيها، وكأن لا فرق بين التأليف والترجمة، فالتأليف ترجمة حرة، والترجمة تأليف غير مباشر. والتعبير عن النفس عن طريق أفكار الآخرين.

ومرة يعلن عن الترجمة بأكثر من عنوان، مثل ترجمة «برن»، مرة أنشيلد هارولد، ومرة أسفار أنشيلد هارولد، وترجمة جيته، «الديوان الشرقي»، اختصاراً للديوان الشرقي للمؤلف الغربي، والأصح «الديوان الشرقي للشاعر الغربي»، وحرفياً «الديوان الغربي الشرقي»، وترجمة رينيه ويج «الفن والنور واللوحات» وهو الأغلب، وأحياناً «الفن والنور وقراءة اللوحات» وهو الأقل.

وقد يعلن عن عدة أجزاء تكون سلسلة متصلة، ولا يصدر إلا جزء واحد، مثل الإعلان عن «شطحات الصوفية» ولم يصدر إلا الجزء الأول عن أبي يزيد البسطامي، والإعلان عن الأصول اليونانية للنظريات السياسية في الإسلام»، ولم يصدر إلا الجزء الأول.

ويدل ذلك على أن المشروع البحثي للفيلسوف الشامل في بدايته كان متشعب الاتجاهات بين التأليف والترجمة والتحقيق والإعداد، أو بينها جميعاً، وكان مازال متحركاً في كل هذه الاتجاهات، طموحاً للغاية أكثر مما تتسع له حياة فرد واحد. ولكن هذه هي طبيعة المشاريع الفكرية الكبرى، مسار حياة، يتكشف عن بنية عمل، قصد كلي يتحقق في مقاصد جزئية.

وتتوزع الأعمال على رحلة العمر كلها منذ أكثر من نصف قرن، لا تفرز قبل

الأستاذية، ثم تضحل أو تكاد تختفى بعدها. أول كتبه فى أواخر الثلاثينات، ومازال يعطى حتى أواخر التسعينات، وإن اختلف اتجاه العطاء طبقاً لمراحل العمر ومكان العطاء، وأغلبية هدف على هدف فى جدل خصب بين الفرد والتاريخ.

والسؤال: كيف استطاع عمر واحد أن ينجز أكثر من مائة كتاب، بمعدل كتاب واحد كل أربعة أشهر، وفى موضوعات متفرقة، تضم أكثر من حضارة، على الأقل فى حضارتين مختلفتين، الإسلامية والغربية، وفى ثقافات متعددة داخل كل حضارة، العربية والفارسية والتركية والهندية داخل الحضارة الإسلامية، والألمانية والفرنسية والإسبانية والإيطالية داخل الحضارة الأوروبية؟

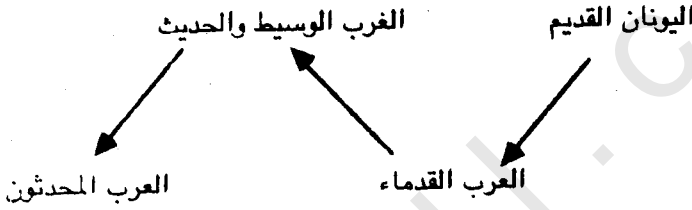
وفى نفس الوقت كيف استطاع الجمع بين الفكر والسياسة، بين النظر والعمل، بين البحث العلمى والنشاط الحزبى، خاصة وهو فى مرحلة الشباب بعد أن قدمه فتحى رضوان لشباب الحزب الوطنى ومصر الفتاة، مفكراً مرموقاً؟ فأنعمال الفيلسوف الشامل هى أكبر سباحة عرفها الفكر العربى المعاصر فى فكر البشر. ولا يوجد فيلسوف خدم الفكر الفلسفى فى مصر قدر ما خدمه الفيلسوف الشامل، فهو النافذة التى فتحتها على الدراسات الإسلامية والفلسفة الغربية، بعد أن توارت هموم الوطن من هموم الشباب. ظل العالم الباحث الأستاذ عازفاً عن المناصب الرسمية غير متطلع لها. وكان المنصب الوحيد الذى أخذه فى الجامعة، وخارجها هو منصب المستشار الثقافى لمصر فى برن بسويسرا ١٩٥٦-١٩٥٩، منذ التأميم حتى الوحدة، وهو منصب لا يتقلده إلا مفكر، استعمله فى البحث والاطلاع على المكتبات، أكثر من استعماله فى جمع الأموال واستثمارها فى الأعمال الحرة.

وهو مشروع فكرى واحد بالرغم من تقلباته ونبذاته، وغلبة جانب على آخر، طبقاً لمراحل العمر وقربه أو بعده عن الوطن، ومازالت الوحدة تجمع بين الشتات، وإن كان أثره بدأ فى الانحسار لتغيير الواقع، والفيلسوف الشامل لم يتغير.

ويغلب منهج العرض، عرض المادة العلمية دون تدخل من المؤاف بالنقد أو التطوير أو القراءة، كما هو الحال فى التأليف المدرسى، وكأن المادة العلمية هى العلم، والمعلومات المتوافرة هى العلم الجديد المضاف إلى العلم القديم فى بيئة تفتقر إلى كل

شئ، المعلومات والعلم على حد سواء، وفي عصر كان المفكر أو الأديب أو العالم كالنجم الزاهر يسطع فى السماء ويضىء فى كل اتجاه.

فهو بمفرده مكتبة حية متنقلة تحتوى على تاريخ الفكر البشرى كله، باستثناء الشرق القديم وأفريقيا وأمريكا، وكأنه لم يهتم إلا بالإسلام والغرب، فقد انتقلت الحضارة من اليونان إلى العرب، ثم من العرب إلى الغرب، وربما تنتقل إلى العرب من جديد.



مشروعه فيما يبدو التمهيد لأجيال قادمة من دارسى الفلسفة، وإعداد الخريطة العامة للفكر البشرى لهم، بانوراما عريضة، يرون فيها الروح البشرى وهو يعى ذاته بالفكر، يؤسس الميادين، ويفتح المجالات، ويضع الأسس. ويطرق المجهول، ويسهل الصعب، ويجلب النادر، ويفتح الأبواب لأجيال قادمة للدخول.

والفيلسوف الشامل نقطة التقاء بين الشرق والغرب، كما هو الحال عند كل مفكرى النهضة العربية، يقرأ (الأنا) فى مرآة (الآخر)، ويرى (الآخر) فى مرآة (الأنا) فالواقع له عينان، عين على الماضى وعين على المستقبل، وله رنتان، رنة تتنفس بتراث القدماء، ورنة تتنفس بتراث المحدثين، وهى أبعاد الزمن الثلاثة، فالواقع هو الحاضر، وتراث القدماء هو الماضى، وتراث المحدثين هو المستقبل.

ويمكن التعرف على عدة دوافع لهذا التأليف على الاتساع، منها ما يتعلق بالحالة الراهنة للفلسفة فى الجيل الماضى، ومنها ما يتعلق بالظروف الاجتماعية والاقتصادية والمهنية العامة فى مصر.

حاول الجيل الماضى منذ نشأة الجامعات المصرية تأسيس كل شئ، وإعطاء أساس عام للفكر الفلسفى فى مصر، لا فرق بين دراسات إسلامية ودراسات غربية. تأليفاً أو تحقيقاً أو ترجمة، فلسفة أو أدباً، جامعياً أو أزهرياً، مصرياً أو عربياً أو

أجنبياً^(٣١). بل إن الذى أشرف على الفيلسوف الشامل فى رسالته للدكتوراه «الزمان الوجودى» عام ١٩٤٣ هو عميد الأدب العربى طه حسين.

كان الفراغ كبيراً يحتاج إلى ملء أولى فى كل الميادين. ودون هذا الحد الأدنى من الثقافة الفلسفية على الاتساع لا يمكن لأجيال قادمة البناء والتشييد فى العمق -أولاً- وفى الارتفاع - ثانياً- فهو ينتمى إلى جيل إرساء القواعد ووضع الأسس مثل طه حسين، وأمين الخولى، ومصطفى عبد الرازق، وعثمان أمين، وتوفيق الطويل، وزكى نجيب محمود، وأبو ريان، وأبو العلا غففى، وعلى سامى النشار، وأحمد فؤاد الأهوانى، ومصطفى حلمى. فلولا الجيل الأول ووضع الأساس لما أمكن للأجيال القادمة التحول من الاتساع إلى العمق، ومن الأساس إلى البناء، ومن القواعد إلى البيت، ومن العام إلى الخاص.

وقد يكون السبب جامعياً، فابن الثمانين أستاذ جامعى يدرس كل شىء، تاريخ الفلسفة اليونانية والوسطى والحديثة، والإسلامية بكل أنواعها، الفلسفة والكلام والتصوف، والعلوم الفلسفية، المنطق ومناهج البحث، والأخلاق، والسياسة، وفلسفة التاريخ، وكان هو مؤسس القسم الأول، والأستاذ الأول، والمؤلف الأول، فكتب فى كل المقررات لإفادة الطالب. فكان صاحب صنعة ورائد حرفة، التأليف الجامعى، والكتاب المقرر، والتوزيع على الطلاب. وهو تقليد مازال قائماً فى جامعة عين شمس من الجيل المتوسط والجيل الحالى، حتى طغى توزيع الكتب على العلم، على الأستاذ والطالب والساعى على حد سواء.

وربما دخل العامل الاقتصادى فى ذلك مع الفيلسوف الشامل فى بحبوحه من العيش، ومن أسرة ميسورة صاحبة أراضٍ فى الريف. وكما يتندر الأدباء ببخل توفيق الحكيم، يتندر أساتذة الفلسفة أيضاً ببخل الفيلسوف الشامل فى حياته الخاصة والعامة، دون تغيير للهندام، ودون عربة لتسهيل الانتقال، ودون تمتع بما أعطيه من سعة فى العيش، ولا فرق هنا بين التقدير والزهد إلا فى الباعث، والنتيجة واحدة.

وقد يكون السبب وجود ناشر معروف ومشهود له بالكفاءة فى النشر والتوزيع، فيسهل للباحث هم النشر والبحث عن ناشر والصراع معه على حقوق المؤلفين، التى

- فى الغالب - ما تضيع لحساب الناشر، أو بتزوير كتبه، أو بإصدار طبعات خاصة لا يعلمها المؤلف، أو بزيادة عدد الكتب فى الطبعة الواحدة على غير علم المؤلف. كان الناشر يتغير بتغير المكان، فالعالم يجذب ناشره فى أى مكان حل^(٢٢). وقد يكون الدافع إمكانية البحث العلمى الواسعة، الاتصال بالمستشرقين، والاطلاع على أبحاثهم، المعرفة بعدد من اللغات الأجنبية الحية، كالفرنسية والألمانية والإسبانية والإيطالية والإنجليزية فى الغرب، والفارسية والتركية فى الشرق، أو القديمة كاليونانية واللاتينية. هذا بالإضافة إلى كثرة الأسفار، والاطلاع على مكتبات العالم الشهيرة، الوطنية فى باريس، والأسكوريال بالغرب فى مدريد، وأحمد الثالث باستانبول، ومكتبة جامعة طهران.

كما ساعده وجوده مستشاراً ثقافياً فى برن على مدى ثلاث سنوات، فى الخمسينيات، بعد الثورة المصرية، على سهولة الاطلاع على أمهات المراجع الأوربية، بما توافر لديه من وقت، وإمكانات مادية وحماس للعلم، ونقل دراسات المستشرقين والتعريف بأعمالهم، فى فراغ فلسفى شديد يحتاج إلى من يملؤه علماً وشهرة وبزوغاً.

وقد يساعد على ذلك التفرغ الكامل للبحث العلمى لدرجة الرهينة، والعزوف عن الزوج والأهل والأولاد والأقارب والأصدقاء والخلان، أسوة بالجاحظ وابن رشد من القدماء. فالجاحظ وقعت مكتبته عليه. وابن رشد لم يترك الكتابة والتأليف إلا ليلتين، ليلة وفاة أبيه، وليله بنائه على أهله كما تقول الروايات.

يضاف إلى ذلك الرغبة فى العزلة والمزاج الحاد، والطبع الجاد، والعبوس الدائم، والجدية الصارمة، حتى أصبح البحث العلمى جزءاً من المزاج النفسى والتكوين البدنى، بالرغم من «هموم الشباب»، و«اعتراقات ساقطة»، و«يوميات إحدى بنات الهوى»، خشى الزملاء والتلاميذ والأصدقاء والمريدون الاقتراب منه خشية أن يصيبهم منه الأذى والامتهان. رفض جوائز الدولة التقديرية من الجامعات المصرية والأجنبية. ومازال يرفض كل مظاهر التكريم له، متشككا فى كل شىء، أو متعاليا على كل شىء، كالقائد الذى لا يضع نياشينه على صدره، حتى لو انتصر فى كل الحروب. فماذا تزيده النياشين. من يضعها يستمد وجوده منها، ويشعر بأنه أقل منها، ومن يعزف عنها، تستمد هى وجودها منه ويتعالى هو عليها^(٢٣).

ثالثاً: الجبهات الثلاث

ويمكن إعادة تصنيف أعمال الفيلسوف الشامل فى ثلاث جبهات، مازالت تكون مشروع النهضة العربى منذ «مناهج الألباب» فى القرن الماضى حتى مشروع «التراث والتجديد»: الموقف من التراث القديم، الموقف من التراث الغربى، الموقف من الواقع المعاصر. وهو مشروع متصل منذ فجر النهضة العربية عند الطهطاوى حتى هذا الجيل، يساهم فيه كل مفكر فى إحدى صياغاته وأشكاله. فالكتابة عن الآخر، هى كتابة عن الأنا فى مرآة الآخر، وتتفاوت الجبهتان الأولى والثانية من حيث غزارة الإنتاج، حوالى خمسين مؤلفاً فى كل جبهة. ثم تنكمش الجبهة الثالثة التى يسميها (المبتكرات) فى عشرة أعمال تقريباً. وهذا يدل على أن معظم التأليف فى النصوص يقرأ النصوص، ولا ينظر إلى الواقع إلا من خلال النصوص، القديم منها والحديث. فأصبح الإنتاج تراثى الطابع، مكتبى الاتجاه، نَصِيَّ القراءة، ويغلب عليه النقل أكثر من الإبداع، والقراءة والتأويل أكثر من التنظير المباشر للواقع.

ولا يهتم المؤلف بترتيب زمانى للأعمال فلعل هناك تطوراً فكرياً يمكن رصده، ولا يهتم بالطبعات الأولى أو المتأخرة بمزيد من الدقة والإحكام، كما تفعل مكتبة مصر فى أعمال نجيب محفوظ، ومكتبة الشروق فى أعمال سيد قطب، فقد تحدد المشروع من قبل مرة واحدة، وإنما المراحل هى لبنات وطوابق لإتمام البناء، وهناك مسافة زمنية تطول أو تقصر، بين سنة النشر وسنة إعداد الكتاب، قد تصل إلى أكثر من عشر سنوات، مما يدل على أن المؤلف كان يعد أكثر من كتاب - بصرف النظر عن النشر - وينتهاز فرصة وجوده فى الخارج فى إحدى المكتبات العامة ليجمع مواد أكثر من كتاب، فكان التأليف أسرع إيقاعاً من النشر، وكان لا يحلّ مكانا للعمل فيه فى التدريس إلا ويصاحبه التأليف، فالعالم كله مكان للتأليف والنشر، بل تتعدد الفصول، بين الشتاء والخريف والصيف والربيع، بالإضافة إلى أسماء الشهور الميلادية، وتتعدد الأماكن التى كتبت فيها مقدمات الكتب بين عواصم الغرب والشرق لندن وباريس ومدريد وبرن وليدن ومنشن وفيينا وروما والفاتيكان فى الغرب، والقاهرة والكويت

وطهران ودمشق وبيروت وعمان وبنغازى فى الشرق^(٢٤).

وقد يكون السبب للتباعد بين سنوات النشر وسنوات التأليف عدم وضع تواريخ الطبعات الأولى التى يمكن معرفتها عن طريق الترتيب الزمانى، وقد تكون المسافة الزمنية عشر سنوات أو أقل^(٢٥). وقد تكون عاما واحداً^(٢٦).

وقد حصر الفيلسوف الشامل - نفسه - مؤلفاته فى موسوعة الفلسفة فى المادة التى كتبها عن نفسه، لعله يكشف عن تطور فكرى أو مسار روحى أو انعطافات أو تشعبات فى مشروع فلسفى متعدد الجبهات، أغفل منها الترجمات فى سلسلة «الروائع المائة»، مع أنها جزء من الأعمال، أو لأنه لا يعتبر الترجمة عملاً علمياً يضاف إليه، والمبتكرات لأنه رأى نفسه مؤرخاً للفلسفة أولاً وفيلسوفاً ثانياً. كما يغفل هو - نفسه - بعض أعماله ربما سهواً مثل، «السماء والعالم والآثار العلوية» لأرسطوطاليس، و«تلخيص البرهان» لابن رشد «وتلخيص القياس»، وقد يتكرر عمل واحد مرتين، طبقاً للطبعة، مثل كتاب «الخطابة» لأرسطو^(٢٧).

وتختلف السنوات فيما بينها من حيث غزارة الإنتاج^(٢٨) ومعظم السنوات بعد ذلك حصاها كتابان، وأقل القليل كتاب واحد كل عام، ويندر أن توجد سنوات قاحلة، وكلها تقريبية^(٢٩).

وتتراوح **الجبهة الأولى** بين التأليف والتحقيق والترجمة والإعداد، والتصنيف من حيث الأهمية وليس من حيث العدد، أى من حيث الكيف وليس من حيث الكم^(٣٠).

وهذه الأنواع ليست منفصلة عن بعضها البعض، فقد يحتوى التأليف على نصوص محققة وبعض الترجمات، وقد يحتوى التحقيق على دراسة مفصلة للنص المحقق. وقد تضم الترجمة مقدمةً وشروحاً على النص المترجم، والفيصل هو الكم. فلو كانت الدراسة أكثر من النص المحقق أو المترجم تكون أقرب إلى التأليف، ولو كان التحقيق أو الترجمة أكبر من المقدمة والشرح، يكون أقرب إلى التحقيق أو الترجمة منه إلى التأليف، والتحقيق نوعان: تحقيق لنصوص إسلامية، وتحقيق للترجمات العربية للنصوص اليونانية الصحيحة أو المنحولة.

فواضح أن الفيلسوف الشامل فى الجبهة الأولى محقق أكثر منه مؤلف، فهو محقق، أولاً (٣٣) ومترجم، ثانياً (٦) ومعد، ثالثاً (٦) ومؤلف، رابعاً (٤)، ومجموع الأعمال ٤٩ عملاً فى الجبهة الأولى، بالإضافة إلى خمسة أعمال بالفرنسية، فيكون المجموع ٥٤ عملاً، أى حوالى نصف الأعمال كلها.

وتشمل الجبهة الأولى عدة مؤلفات باللغة الفرنسية، مثل «مشكلة الموت» القاهرة ١٩٦٥ «انتقال الفلسفة اليونانية إلى العالم العربى» باريس ١٩٦٨، وتاريخ الفلسفة العربية (جزءان) باريس ١٩٧٢. وأخيراً صدر له كتابان «الدفاع عن القرآن ضد منتقديه» باريس ١٩٨٩، «الدفاع عن حياة النبى محمد ضد مشوهيها»، باريس ١٩٩٠، «موضوعات وأعلام الفلسفة الإسلامية» باريس ١٩٧٩، «الإسلام كما يراه فولتير، هرذر، جيبون، هيجل» (الإعلان عنه)^(٣١).

وبلاحظ على الجبهة الأولى:

- ١- غلبة التحقيق (٣٣) والترجمة (٦) والإعداد (٦) على التأليف (٤)، مما يدل على غلبة النقل على الإبداع، والمعلومات على العلم، والمعارف على الاجتهاد.
- ٢- وضع الترجمات العربية القديمة عن اليونان والرومان وفارس مع الدراسات الإسلامية، وهى بين اليونانية والإسلامية تربط بين الجبهتين الأولى والثانية.
- ٣- غياب الترجمات الهندية والتراث الهندى عن الاهتمامات بالرغم من توافره. بعكس حضور تراث فارس النسبى، خاصة وأن المحقق مولع بالاكتشافات الجديدة متجاوزاً البيرونى.

٤- الدراسات الإسلامية تدور حول الفلسفة والتصوف والكلام، ويغيب (علم أصول الفقه) وهو موطن الإبداع فى التراث القديم ولم تخنقه روح اليونان، ويشترئب نحو الحداثة بتحليل الوعى التاريخى واللغة والفعل.

٥- بالرغم من حضور العلوم العقلية الخالصة فى دراسات ونصوص فى الفلسفة والعلوم عند العرب، فإنه تغيب العلوم النقلية كلها باستثناء كتابه بالفرنسية «الدفاع عن القرآن ضد منتقديه»، فهو فى علوم القرآن و«الدفاع عن النبى محمد (ﷺ) ضد مهاجميه» وهو فى علم السيرة، فإن المحقق المدقق لم يتطرق لباقى العلوم النقلية مثل

التفسير والحديث والفقه.

٦- غياب العلوم الإنسانية كاللغة والأدب والجغرافيا والتاريخ، خاصة وأن الفيلسوف الوجودى مولع بالأدب إبداعاً وترجمة، وبالتاريخ ترجمة، أما الجغرافيا فإنها تستلزم المكان والمهاجر لا مكان له.

وتتراوح **الجبهة الثانية** عن التراث الغربى الذى يشمل الفلسفة والأدب والعلوم الفلسفية: بين التأليف (٢٧) والترجمة (٢٢) ومجموعهما (٤٩)، يعادل الجبهة الأولى من حيث الكم. وهى جبهة تضم الفكر اليونانى، أى مصادر الفكر الأوروبى وفلسفة العصور الوسطى، وكذلك دور العرب فى تكوين الفكر الأوروبى، وهو ربط بين الجبهتين الأولى والثانية.

وتتم دراسة الفكر الأوروبى إما عن طريق الموضوعات أو عن طريق الشخصيات. كما تتم دراسة الفكر عن طريق تاريخه منذ أصوله عند اليونان، حتى تطوره فى العصر الوسيط واكتماله فى العصور الحديثة.

وقد صنف هو هذه الدراسات تحت عنوانين: دراسات فى الفكر الأوروبى (خلاصة الفكر الأوروبى)، ترجمات الروائع المائة^(٢٢).

ويغلب على الترجمات الأدب، خاصة الشعر، وليس الفلسفة، ولكنه أدب فلسفى يجد فيه المؤلف نفسه، الجمع بين الشرق والغرب، مثل جوته فى الديوان الشرقى للشاعر الغربى، وارتداد روحه لأفاق العالم كما وضع فى «هموم الشباب» مثل جوته فى «فاوست»، ومحاربة أوهام العصر مثل سربنتيس فى «دون كيخوته». فاختيار الأعمال المترجمة فى ذاتها، دليل على شخصية المترجم وتوحده مع أبطال الأعمال الأدبية. لذلك قد يكون اختيار الروائع المائة - التى لم يتم تحقيق إلا حوالى عشرين منها - تأليفاً غير مباشر، ذا دلالة خاصة، وهدف محدد. كلها من الأدب الرومانسى الذى يمجّد البطولة والفداء والفروسية وعظمة الإنسان. وكما عبرت عن ذلك فلسفة نيتشه فى إرادة القوة والإنسان الأعلى. وما زالت العادة متبعة عند كل الأقران والأجيال اللاحقة، ترجمة لديكارت أو كانط أو برجسون^(٢٣). إذ تعبر الأنا عن ذاتها من خلال الآخر، حماية للأنا وتسترا بالآخر.

وقد يكون لولع الفيلسوف الشامل بالفلسفة الرومانسية والأدب الرومانسى، علاقة بانتمائه إلى (مصر الفتاة)، وهى نظرة رومانسية لمصر الوطن وعلاقتها بالإسلام، وليس بالضرورة ممثلاً فى دولة الخلافة. وهى نفس الفترة التى ظهرت فيها جماعة أبولو للشعر. وقد يكون ولعه بالفلسفة الألمانية، بوجه خاص، هو التعاطف مع ألمانيا صديقة العرب فى صراعها ضد الاستعمار البريطانى، وهو ما كان سائداً فى صفوف الجيوش العربية، وثورة رشيد على الكيلانى فى العراق فى صف المحور ضد الحلفاء، وتعاطف عزيز المصرى والمجموعة الأولى من الضباط الأحرار مع ألمانيا. والاعتماد على الخبراء الألمان فى الصناعة العسكرية والمدنية فى تركيا ومصر حتى أوائل الثورة المصرية وقبل التحول إلى الخبراء السوفييت^(٢٤).

وما قام به الفيلسوف الشامل مع الغرب، تحقيقاً وترجمة وتأييلاً وعرضاً، كما قام به حنين بن اسحق مع اليونان، وما قام به مع ألمانيا مثل ما قام به آخرون مع فرنسا أو أسبانيا أو إيطاليا، كل حسب هواه وثقافته.

ويلاحظ على الجبهة الثانية:

١- الإعجاب الشديد بالغرب عامة، وبألمانيا خاصة، واعتباره مركز العالم، وبؤرة إبداعه، تجاوز اليونان، واكتشف عالم الذاتية، فى حين لم يأخذ العرب من اليونان إلا الشكل وبَقَوْا فيه، فماتت الروح، باستثناء صرخات الصوفية، فهو يعطى الآخر أكثر مما يستحق، ويعطى الأنا أقل مما تستحق. وما يريده الفيلسوف الشامل لمصر (المثالية الألمانية) من الغرب و(التصوف الإسلامى) من الشرق.

الغرب المثالى والشرق الصوفى، وليس الغرب العالم والشرق الفنان كما طالب - بعد ذلك - زكى نجيب محمود. والحقيقة أن المماثلة مستحيلة، فلكل حضارة خصوصيتها ومسارها ونمط تطورها، ولا يوجد مقياس ومقيس، ولا معيار ومعار.

٢- لم تستطع الدراسات الإسلامية - وهى فى نفس الحجم كالدراسات الغربية - أن تقلل من المركزية الأوروبية لديه. أو إيجاد التفاعل الضرورى بين الجبهتين، بل اعتبر الغرب هو الأصل والعرب الفرع، اليونان هم المركز والعرب هم المحيط، بالرغم من انتساب الفيلسوف الشامل إلى (مصر الفتاة) فى شبابه، أى أولوية الأنا على

الآخر، والواقع على الفكر، والوطن على العلم، بل إن الدراسات الإسلامية استشرافية، أى من وضع الغرب أكثر مما هى من وضع العرب. بل إن التفاعل الوحيد بين الجبهتين «الإنسانية والوجودية فى الفكر العربى»، جعل الآخر هو المقياس، والأنا المقيس، الآخر هو الأصل، والأنا هو الفرع، تركيز لثنائية المركز والأطراف.

أ- ابتسار الغرب فى إحدى لحظاته وأماكنه مما أدى إلى إغفال بداية الفلسفة الحديثة خاصة عند مؤسسها، وهو ديكارت، وإغفال المدرسة الديكارتية كلها، مالبرانش، إسبينوزا، وليبنتز، ربما لتصدى عثمان أمين ونجيب بلدى لها، والفيلسوف الأوحى يريد أن يفتح عصوراً جديدة فى الفلسفة، لا يشاركه فيها أحد.

ب- إغفال بسكال وهو من مؤسسى العقلانية الإيمانية والاتجاه العلمى فى القرن التاسع عشر، وقبل حلول الرومانسية السعيد، بالرغم من اهتمام الفيلسوف، أولاً، العاقل، ثانياً، بموضوع العقل والإيمان، وبالرغم من اهتمامه بتاريخ العلوم عند العرب كما وضع فى «دراسات ونصوص فى الفلسفة والعلوم عند العرب».

ج - اقتصراره على العقلانية الألمانية وفلسفة التنوير فى القرن الثامن عشر فى ألمانيا، رباعيته عن كانط وثلاثيته عن هيجل.

د - إغفال عصر النهضة فى القرن السادس عشر وهو البداية السلبية للعصر الحديث عن طريق نقد الفلسفة المدنية.

هـ - إغفال عصر الإصلاح الدينى فى القرن الخامس عشر خاصة مارتن لوتر، وقد كانت البروتستانتية أحد مصادر فلسفة التنوير فى حرية الفكر، والمسئولية الفردية، والثورة على الكنيسة، فى القرن الثامن عشر فى ألمانيا، وأحد مصادر الرومانسية بتغليبها الباطن والحياة الروحية على المظاهر الشعائرية والمؤسسية، خاصة وقد صدر كتاب كانط «الدين فى حدود العقل وحده»، وأن كيركجارد مؤسس الوجودية الفعلى فى العصور الحديثة، الذى خصص له الفيلسوف الشامل جزءاً من «دراسات فى الفلسفة الوجودية»، يعتبر نفسه (لوثر الثانى).

و - إغفال الفلسفة البريطانية والأمريكية والروسية والإيطالية، نظراً لإعجابه

المبكر بالمثالية الألمانية ولكنها مدارس كانت في تفاعل إيجابي أو سلبي مع الفلسفة الألمانية مثل «إمرسون» و «رويس» في أمريكا، وماك تاجرت في إنجلترا، وروزمبني وكورتشه في إيطاليا.

ز - إغفال كل فكر آخر يكون بعداً لمصر، مثل الفكر الشرقي القديم في الصين والهند، وما بين النهرين في بابل وأشور، والجزيرة العربية شمالاً وجنوباً وكنعان وفي مصر القديمة، وكان الشرق قد انضوى تحت الغرب وضاع لحسابه.

وكما غاب شرق مصر في آسيا، غاب أيضاً جنوبها في أفريقيا، والحضارة المصرية القديمة في أحد جوانبها حضارة أفريقية، عاصمتها القديمة «منف» في صعيد مصر، والنوبة وبلاد بنط تربط بين الجزء في الشمال والكل في الجنوب. وبطبيعة الحال غابت أمريكا اللاتينية التي كانت في الستينيات جزءاً من وجداننا الفكري والسياسي. وقد حضر «جيفارا» إلى مصر في الستينيات بعد انتصار الثورة الكوبية. وألهب خيال الفنانين والشعراء، والسياسيين.

أما الجبهة الثالثة، وهي الواقع المباشر، فهي التي يغلب عليها الإبداع، ويسميتها «مبتكرات»^(٣٥). وهي أقرب إلى الأدب منها إلى الفلسفة، باستثناء رسالته للدكتوراه «الزمان الوجودي» وقبلها رسالته للماجستير (بالفرنسية) عن «مشكلة الموت»، ومقالة (هل يمكن قيام أخلاق وجودية؟) اعترافاً منه بأن كل الدراسات الأدبية السابقة وترجماتها ليست مبتكرات بل نقلاً وعرضاً. فالمبتكرات تدور حول الإبداع الأدبي الشعر والقصة واليوميات، والدراسات الفلسفية. ولكنها لم تستمر طويلاً في المرحلتين المتوسطة والأخيرة من حياته، فلا الشعر استمر ولا القصة استمرت. بالرغم من إعلانه عن ثلاثة منها مؤخراً وهو بالكويت، ولا اليوميات استمرت، وما أكثر ما مر به من حوادث شخصية، بصرف النظر عن حوادث الوطن، هزائمه وانتصاراته، قوميته واشتراكيته ثم انقلابه عليها إلى قطريته وانفتاحه، فلا توجد ملاحظات على الجبهة الثالثة إلا قصرها، وصغرها، وتجمدها، بالرغم من بدايتها الخصبة في الزمان الوجودي، ولا يفسر بنية العمل إلا مسار الحياة.

لذلك كان الربط بين هذه الجبهات الثلاث قليلاً باستثناء «الإنسانية والوجودية في

الفكر العربى» وهى أربع محاضرات عامة ألقاها فى بيروت عام ١٩٤٧، وليست مؤلفاً له بنية وسنهج وهدف. تضخمت الجبهتان الأولى والثانية على حساب الجبهة الثالثة، فتحول المثلث الحضارى من متساوى الأضلاع إلى متساوى الساقين، ويبلغ طول كل ساق قاعدته خمس مرات على الأقل، ولما كانت الجبهة الثالثة هى الأتون الذى تنصهر فيه الجبهتان الأوليان، فإذا ما تحجرت فى مرحلة معينة، هى مرحلة الشباب، وغابت بعد ذلك فى المراحل الوسطى والأخيرة، تحول المشروع كله إلى جبهتين الأولى تحقيق وترجمة، والثانية تاريخ فلسفة وعرض مذاهب، دون تفاعل ثلاثى بين الجبهات الثلاث، لقد توحد مع مصر فى البداية وأسقطها من الحساب فى النهاية، فتوقف المشروع عن الحركة والتغيير بناء على تغير مصر وحركتها على مدى نصف قرن (٣٦).

ويلاحظ على الجبهة الثالثة - وهى علاقة الفكر بالواقع، والعلم بالوطن - ما يلى:

١ - كان الفيلسوف الشامل أحد أقطاب الحياة الفكرية السياسية فى مصر قبل الثورة المصرية. أصبح رئيس قسم الفلسفة بجامعة عين شمس لأكثر من عشرين عاماً، عمر الثورة المصرية فى الجمهورية الأولى. ثم غادر إلى الكويت فى أواخر السبعينيات، عام الهزيمة وظل بها على مدى عشرين عاماً، يكتب ويؤلف ويحقق ويترجم، ولكنه لا يمارس المواطنة، ولا يتحقق بدور العالم والمواطن، كما كان فى مصر قبل الثورة وبعدها، ومكث بجامعة الكويت أربعة أضعاف الوقت المسموح به فى نظام الجامعات المصرية، مما انتهى إلى فصله بعدها، لتحول الوسيلة إلى غاية، وانفصل العلم عن الوطن، وأصبح العلم بديلاً عن الوطن، فى عصر كانت صورة الخليج فيه أنه مصدر الثروة، فهل هى خصومة مع الوطن منذ ٢٣ يوليو، مع أنها كانت - فى أحد جوانبها - تحقيقاً لمبادئ مصر الفتاة، وكان عبد الناصر فى علاقة معها. وأفرج عن أحمد حسين زعيمها. هل هى خصومة مع قوانين الإصلاح الزراعى التى طبقت على أسرته، بالرغم من أن ما بقى منها كان يكفى لبحبوحة العيش، وبالرغم من أن أخاه كان من الضباط الأحرار المرموقين والصحفيين النابهين (٣٧).

٢ - وقد ظل بجامعة الكويت متجاوزاً أيضاً ضعفى المدة المقررة، تقديراً لشخصه وعلمه ومركزه حتى الحد الأقصى لهذا التقدير، غادر بعد ذلك إلى باريس مقيماً فيها بجوار المكتبة الوطنية، مدافعاً عن الإسلام ضد منتقديه، وعن القرار ضد ناقديه، ومؤلفاً فى تاريخ الفلسفة الغربية، وفى الوقت الذى تتحول فيه المكتبة الوطنية فى باريس من نظام الفهرسة القديم إلى النظام الآلى الجديد، مع تغيير المكان والمبنى، ونهاية عصر الذكريات الأولى، تأزم الفيلسوف الشامل، فالتغير فى عادات البشر فى البحث العلمى، أصعب بكثير من تغيير أدواته وآلياته.

٣ - وبعد أن غادر الرمز إلى الخليج تابع المرموز، وبعد أن استقر المثل فى بلاد الثروة اقتفى أثره الممثل، وبدأت أكبر تصفية لقسم الفلسفة فى جامعة عين شمس، بالإعارة أولاً، وبلاستقالة ثانياً، وبالفصل ثالثاً، وتم نقل جزء من الوطن، فالعلم لا وطن له، وكل بلاد العرب أوطان، هدم فى مكان وبناء فى مكان آخر، نزع للخضرة من الوادى، وزرعها فى الصحراء، فلا الوادى نما، ولا الصحراء أخصبت، وإلى الآن لم تقم لقسم الفلسفة بجامعة عين شمس قائمة لاستمرار النموذج، نموذج هجرة العقول، لجيل لاحق، إنشاء جيل جديد بلا أساتذته^(٣٨).

٤ - وكان يمكن اللحاق بما فات وقضاء ما تبقى من عمر بالعودة إلى الوطن، ورحب الوطن، فالوطن رحب الصدر، حتى وإن ضاق العلماء به، ولكن من تعود على الغياب عن الوطن والقسوة عليه لا يحن إلا إلى الغربية عنه، ويضمّر الوطن فى القلب، ويعيش على تسقط الأخبار عن بعد، ويشعر للغربة عن طريق نقد ما آلت إليه الأوضاع، وما انتهى إليه مستوى الجامعات، يعيب النتيجة وهو السبب، ويتساءل عن العلول وهو العلة.

٥ - ولم يبخل الوطن فى التقدير، وأراد أن يعبر عن كل مظاهر الاحترام والتقدير للعالم الجليل من الجامعات المصرية والأجنبية فيه، بتقديم جوائز الدولة أو الشهادات الفخرية، فاتحاً ذراعيه للطيور المهاجرة، فالوطن لا يلفظ أبناءه حتى لو لفظه الأبناء، ومازالت رحمة الله واسعة تأبى اليأس والقنوط. وإن هذه التحية فى عيد الميلاد الثمانين، لأحد مظاهر الوفاء والتكريم.

٦- وبالغ ابن الثمانين فى القسوة على الوطن، وعلى الزملاء وعلى التلاميذ، وعاب جحود الأبناء لفضل الآباء، بالرغم من حرص الأبناء على صلة الرحم فى السر والعلن. وكثيراً ما يعبر عن حزنه لعدم الوفاء والتقدير له، من أجل إضفاء الشرعية على البعد عن الوطن والعزلة عن جماعة الفلسفة فى مصر، والعمل الجماعى، وإعادة النماء إلى الوادى الخصيب، بعد أن اقتطفت منه الثمار، وإن بقت الجذور.

٧- وتهامس الناس: استعلاء وغرور يقارب النرجسية، وكراهية للآخرين واحتقار للزملاء، مما يتنافى مع تواضع العلماء والعمل الوطنى المشترك. ومع ذلك فالحبل لا ينقطع بين الوطن وعلمائه، بين الأم وأبنائها، بين الله والعباد ﴿قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله، إن الله يغفر الذنوب جميعاً، إن الله غفور رحيم﴾.

رابعاً: المشروع الفلسفى العلمى:

استمر التأليف على وتيرة واحدة قبل الثورة وبعدها، ومع الثورة (١٩٥٢-١٩٧٠) والثورة المضادة (١٩٧٠- حتى الآن)، قبل الهزيمة فى ١٩٦٧ وبعد أكتوبر ١٩٧٣. فى مصر الليبرالية قبل ١٩٥٢، وفى مصر القومية الاشتراكية بعد ١٩٥٢، وفى مصر الرأسمالية ١٩٧١. فى مصر الوطنية قبل ١٩٥٢، وفى مصر المستقلة بعد ١٩٥٢، وفى مصر التابعة ١٩٧١، فى مصر أثناء عصر الاستقطاب قبل ١٩٩١. وفى مصر فى عالم ذى قطب واحد بعد ١٩٩١، فى مصر أثناء الرعب النووى وأثناء الحرب الباردة، فى النظام العالمى القديم والنظام العالمى الجديد، فى مصر المحتلة ومصر المستقلة، ولم يحدث أى تغير فى المشروع الفلسفى العلمى، بل استمر على وتيرة واحدة بين التأليف والتحقيق والترجمة والإعداد، فى التراثين الإسلامى والغربى وربما قل الابتكار بعودة الروح إلى باطنها مع مزيد من العزلة، وتحت أثر البعد عن الوطن، والإحجام عن التعاطف الوجدانى وحب الآخرين وعشق الحياة.

كان الهدف من النشر العلمى للترجمات العربية القديمة للتراث اليونانى والرومانى والفارسى هدفاً علمياً خالصاً كما هو الحال عند المستشرقين وكما يتجلى فى معظم المقدمات والتصديرات والاستهلالات لها، عن طريق الحديث عن المؤلف ومكانة النص فى مجموع أعماله، والحديث عن المترجم وأسلوبه ومدرسته، والترجمات المختلفة للنص، والاشارة بينها وتواريخها، وتقطيع النص إلى فقرات، ووضع عناوين رئيسية وفرعية لها بين معقوفتين، أسوة بالترجمات الأوروبية الحديثة وبالاعتماد عليها، ووصف المخطوط، وسبب اختيار المخطوط الأم، ومقارنته بباقى المخطوطات وأماكنها وتواريخها، وأثر النص فى العالم العربى ومساهمته فى الحياة العقلية فيها، حتى أصبح جزءاً منها، كما هو الحال فى منطق أرسطو، حتى لقبه العرب بصاحب المنطق. وملء الهوامش بالاختلافات بين المخطوطات فى النصوص أو فى القراءات، وهو ما يسمى بالجهاز النقدى، وتضاف - فى النهاية - فهراس

لأسماء الأعلام والأماكن والمصطلحات الرئيسية اليونانية واللاتينية والفرنسية والألمانية وما يقابلها بالعربية.

كان الهدف من تحقيق أرسطوطاليس: «فى السماء والآثار العلوية»^(٣٩) علمياً محضاً، فالتصدير استشرأقى خالص مرقم بحروف هجائية، مثل معظم التصديرات، وكأنه خارج الموضوع الرئيسى. يعرض للموضوع، ويحلل نص أرسطو، ويرصد ما ورد عن هذه الترجمة فى المصادر العربية القديمة، ويحدد النوع الأدبى، ترجمة أو تلخيصاً، ويصف المخطوط وشروحه المتأخرة، وترجماته إلى اللاتينية والعبرية.

ويضيف جهازاً نقدياً وافياً عن اختلافات المخطوطات مع وضع عناوين لل فقرات بين معقوفتين. وتغيب أى رؤية عن المنطق الحضارى عندما تلتقى حضارة بأخرى باستثناء التصور الاستشرأقى للمركز والأطراف، اليونان هم الأصل والعرب هم الفرع، قديماً وحديثاً، من اليونان إلى الغرب، وهو ما تفعله أيضاً الليبرالية المصرية كما مثلها أحمد لطفى السيد بتأصيله لليبرالية المصرية فى كتاب السياسة لأرسطو.

والهدف أيضاً تحقيق أرسطوطاليس: (فى النفس والآراء الطبيعية) المنسوبة إلى فلوطرخس (والحاس والمحسوس) لابن رشد، و(النبات) المنسوب إلى أرسطوطاليس^(٤٠) علمى خالص، ويكتفى التصدير العام بعرض (نظرية العقل الفعال)

عند اليونان والمسلمين واللاتين كما فعل جيلسون من قبل، مع أن الموقفين الحضاريين مختلفان، إذ إننا نتمثل اليونان ونعيد بناء فكرهم، واللاتين يعيدون بناء اليونان من خلالنا. وكان المسلمون قد نقلوا التراث اليونانى عبر المسيحيين، فكان نصف معد لإعادة البناء الإسلامى، أو عبر الشراح اليونان الذين عاشوا قبل الإسلام مثل «الأسكندر الأفروديسى» و«ثامسطيوس»، و«سمليقىوس» ويحيى النحوى. لم يصف المحقق العمليات الحضارية التى تحدث من خلال الترجمة الحرفية أولاً والمعنوية ثانياً. فليس من المعقول أن ورود عبارة لأرسطو هو السبب فى الترجمة بل السبب هو عملية التمثل والاحتواء من الحضارة الجديدة الناشئة للحضارة القديمة المتناهية حفظاً لروحها وإكمالا له، وإعادة الاتزان لتصورها للعالم، جمعاً بين أفلاطون وأرسطو، أو نسبة جزء من تاسوعيات أفلوطين لأرسطو حتى يكتمل النموذج، وفتح

عقل من أعلى هو (العقل الفعال) وليس من أدنى لظهور البعد الروحي الجديد، بعد أن أسس الكندي الفلسفة العقلية الطبيعية، بناء على روح الوحي واستناده إلى العقل والطبيعة. وقد صاغ ابن سينا مصطلحات جديدة مثل (العقل القدسي) كي يعبر عن الإبداع الجديد نتيجة لاجتماع الوافد والموروث، وتضاف فهارس الموضوعات والأعلام كما هو الحال في نشرات المستشرقين. بل يوضح في العنوان «راجعها على أصولها اليونانية وشرحها وحققها وقدم لها».

والهدف من تحقيق الترجمة العربية القديمة لكتاب الخطابة لأرسطو هدف علمي خالص دون إدراك دلالتها الحضارية. فإذا كانت الترجمة صغيرة الحجم كانت تلخيصاً، هدفها المعنى وليس اللفظ، كمقدمة للتأليف المستقل في الموضوع قبل الإبداع فيه والاستقلال عنه. ليست الغاية الحفاظ على النص اليوناني، بل إعادة كتابة الموضوع في نص عربي، انتقالاً من اللفظ إلى المعنى، في فهم النص اليوناني، وانتقالاً من المعنى إلى اللفظ تعبيراً عن النص العربي. وبالتالي تنتهي وظيفة الترجمات الحديثة عن اليونانية القديمة إلى العربية الحديثة، إلا من أجل مقارنة العمليات الحضارية القديمة. التمثيل والاحتواء، مع العمليات الحضارية الجديدة، المطابقة الأماطية والمعنوية. ولا يجوز إعادة بناء النص العربي من الترجمة اللاتينية، لأن اللاتين تمثله واحتموه ولم يعد مطابقاً للنص اليوناني. كما أن العمليات الحضارية تختلف من حضارة إلى حضارة. فالترجمة تقوم على تصورات عامة للحياة والكون والوجود سواء في النص المترجم أو النص المترجم إليه، ولا يجوز إكمال فقرة ضاعت لأن الموقف الحضاري مختلف بين المترجم القديم والمترجم الحديث. لم يكن المترجمون القدماء مجرد نقلة نص من لغة إلى لغة بل كانوا مؤلفين وفلاسفة، على عكس المترجمين المحدثين. وفي لا وعى المترجم الحديث، هناك إحساس بعظمة النص المترجم منه، وبونية النص المترجم إليه. ويستند النص إلى هوامش علمية، وتضاف في النهاية - فهارس لأسماء الأعلام والمصطلحات اليونانية الرئيسية وترجماتها إلى العربية في مرحلة نشأة المصطلح الفلسفي^(٤١).

والهدف من تحقيق «أفلاطون في الإسلام» - أيضاً - هدف علمي خالص، مع

تصدير قصير لا يتجاوز صفحتين، يعلن أن هذه النصوص قد تم نشرها من قبل في «الحكمة الخالدة»، وفي «مختار الحكم ومجاسن الكلم»، والبعض الآخر نشره بعض الباحثين، مما احتاج إلى إعادة نشره من جديد لمزيد من التصحيحات، واعتماداً على مخطوطات جديدة وزيادة في التعليقات، وهو جزء من مشروع أفلاطون في العالم الإسلامي، الذي أُلّف من قبل في «انتقال الفلسفة اليونانية إلى العالم الإسلامي» الذي صدر بالفرنسية (باريس ١٩٦٨)، ويعد المحقق بدراسة أخرى عن دور أفلاطون في تكوين الفلسفة الإسلامية، ويضاف في النهاية فهرست للأعلام والكتب المذكورة في النص^(٤٢).

وهو نفس هدف «الأفلاطونية المحدثة عند العرب» ويشمل لايرقلس «الخير المحض» وفي «قدم العالم» و «في المسائل الطبيعية» و «معاد النفس» لهرمس و «الرواييع» لأفلاطون، وهو تصوير للطبعة المصرية الأولى، وتترك الدلالة الحضارية للنصوص، مثل التشكيل الكاذب وعدم تفصيله، بالرغم من إدراكه له في روح الحضارة العربية، وفي تأليفه عن «اشبنجلر»، وهي ظاهرة التعبير عن المعنى الموروث بلفظ الوافد. كما تغفل الدلالة الحضارية للتأليف الحضاري الجماعي تحت تأثير الملكية الفردية للأعمال، كما هو الحال في العصر الحديث، واتهام القدماء بالسرقة من بعضهم البعض. ولم يلاحظ الجو الديني للانتجال أي الإبداع الفلسفي الحضاري بعد نقل تراث الغير. ويغلب على الباقي المادة الاستشراقية الخالصة مثل فهارس الأشباه والنظائر بين الخير المحض وبين عناصر الثالوجيا لايرقلس، بالإضافة إلى معجم عربي لاتيني للألفاظ الواردة في النص العربي لكتاب «الخير المحض»، ومعجم آخر للمصطلحات العربية واليونانية واللاتينية الواردة في حجج ايرقلس «في قدم العالم» وتكثر المراجع الألمانية، والمحقق يعلم أن أحداً لن يراجع عليه، وكما يفعل المستشرقون، والحكم على الحضارة الإسلامية بالنقل، حتى المؤلف منها مثل رسائل الفارابي^(٤٣).

وتخلو بعض الأعمال - تحقيقات أو ترجمات أو مؤلفات - من تحديد الهدف منها، ووضعها في الإطار الكلي للمشروع الفلسفي العلمي أو النهضوي، وإن كان يمكن أن

يستنبط من الروح العامة للكتاب والمشروع معاً، وذلك مثل تحقيق «تلخيص القياس» لابن رشد، أو قياساً على «تلخيص البرهان». ففي «تلخيص القياس»، يكتفى المحقق بموضوعات استشرافية عامة في التصدير العام، بالتعريف بالموضوع، القياس، خصائصه وعيوبه، وإرجاع كل أشكال البرهنة إليه، وتسميته التحليلات الأولى، وترجماته إلى العربية وشروحه.

كذلك يخلو تحقيق «طبائع الحيوان»، ترجمة يوحنا البطريقى، من تصدير فى إطار المشروع الفلسفى العلمى.

بل يبدأ برموز المخطوطات، ثم يتلوها تعالماً استشرافى خالص، واعتذار عن عدم تيسير وضع النبرات على الحروف اليونانية لعدم وجودها فى المطبعة. ولا توجد ترجمة باللاتينية أو الفرنسية على الغلاف الأيسر للكتاب نظراً لأنه يصدر بالكويت، ويلحق به فهرس بأسماء الحيوان باللغات اليونانية والفرنسية واللاتينية والعربية وهو فهرس مصور من طبعة أوروبية. والأسماء العربية مكتوبة بخط اليد العربى لعدم وجود مطبعة عربية فى الخارج أو استحالة إضافته فى الداخل. كذلك يخلو تحقيق «صوان الحكمة وثلاث رسائل»، لأبى سليمان المنطقى السجستانى من وضع التحقيق فى إطار المشروع النهضوى العام. ويكتفى التصدير العام بالمقارنة بينه وبين ابيلاز فى العصر الوسيط الأوروبى. واختصار السأوى للنص مع ذكر أسماء الرسائل، وتوجد هوامش نقدية وفهارس أعلام وأسماء مؤلفات المحقق وخاتمة فى شكر المؤسسة الثقافية الإيرانية^(٤٤).

ويخلو تحقيق «الإشارات الإلهية» للتوحيدى من تحديد لهدف علمى أو نهضوى خاص. بل يحتوى التصدير العام على معلومات استشرافية خالصة، ووصف المخطوط، ما نشر منه من قبل، مراحل حياة المؤلف، وأسلوب المناجاة والكتابة الذاتية، مع وضعه فى إطار الأدب الوجودى فى القرن الرابع الهجرى، ومقارنته مع كافكا، بالإضافة إلى فهرس تصويبات فى النهاية^(٤٥).

كما تخلو أجزاء الحيوان لأرسطوطاليس من تحديد للهدف العلمى أو الحضارى. ويحتوى التصدير العام على مادة استشرافية خالصة مثل موضوع الكتاب وعنوانه،

وتاريخ تأليفه وتحليل مضمونه ومخطوطاته اليونانية وشروحه العربية ومخطوطاتها القديمة^(٤٦).

وقد ظهر تحقيق كتاب الشعر من منطق «الشفاء»، بمناسبة الذكرى الألفية للشيخ الرئيس. وفي التصدير العام الذي يهدف إلى الحديث عن التحقيق والمخطوط. ينتقد المحقق ابن سينا حاكماً عليه بالنقل دون الإبداع، بسوء النقل دون أمانته، فقد أعلن ابن سينا في مقدمة «منطق المشرقيين» أنه سيصوغ منطقاً جديداً خاصاً بالمشرقيين، ولكن الكتاب نفسه أتى تقليداً خالصاً مكرراً المنطق الصوري الأرسطي. فقد وعد ولم يف. كما يعيب عليه أنه لم يلاحظ (التطهير) (وحدة الموضوع والزمان والمكان)، و(الموازنة بين الملحمة والمأساة) أو (بين المأساة والمهابة)، لأن ذلك يتطلب العلم بالمسرح، وهو ما لم يتحقق لابن سينا ولا للمترجمين، لاهتمامهم بالفلسفة والطب والعلم، والحقيقة أن الموقف الحضاري مختلف بين الفلاسفة القدماء وبين فلاسفة الغرب الحديث. كان الهدف قديماً هو قراءة الوافد من خلال الموروث وليس معرفة الوافد على ما هو عليه. كما يفعل الاستشراق تحت تأثير النزعة التاريخية والوصفية. ويصعب الأمر أكثر بتحديد خصائص عامة للشعر القومي على التقابل، الشعر اليوناني والشعر العربي، الإرادي في مقابل العاطفي، الموضوعي ضد الذاتي، الفعل في مقابل الانفصال، والعمل في مواجهة اللذة مما يوحى بشيء من العنصرية^(٤٧).

و«شطحات الصوفية» ليس له هدف علمي خاص، وكان من المزمع إصداره في عدة أجزاء ولم يصدر إلا الأول «أبو اليزيد البسطامي»، ويضم دراسة قبل التحقيق. وتتساءل الدراسة عن أسباب الشطح: الوجودية، الغرابة، غير المؤلف، شد الانتباه، حياة المؤلف، مع إضافة نص من (اللمع) للسراج الطوسي. والتحقيق يخلو من أي تصدير أو استهلال أو مقدمة تبين الهدف منه ووضعه في إطار المشروع الكلي. ربما الغرابة والشهرة وربما النزعة الوجودية^(٤٨).

وقد تكون الغاية علمية بحتة للتعريف بالتراث العربي اليوناني للباحثين العرب والأوروبيين ويعلن عن ذلك - صراحة - في التصدير، وإذا فقد أصلها اليوناني، فإنه

يمكن ترجمتها إلى اللغات الأوربية الحديثة كالفرنسية، لاستفادة الباحثين الأوربيين منها، فالعلم لا يفرق بين وطن ووطن^(٤٩). ثم يتضمن التصدير العام معلومات استشرافية خالصة حول صحة المخطوط المنشور السابق مع ملحق بالنصوص اليونانية لرسالتى الإسكندر الأفروديسى «فى العقل» وفى «أن الهوى غير الجنس، وفيما يشتركان ويفترقان» ومنقولة من نشرة ج.أ. برونز مع فهرس مستفيضة للأعلام الواردة فى النص مع فهرس الكتب ومعجم يونانى عربى بأسماء الحيوان، وبعض المعانى الواردة فى جوامع كتاب أرسطو فى معرفة طبائع الحيوان لثامسطيوس.

وهو نفس هدف تحقيق النصوص الإسلامية من أجل معرفة مذاهب الفلاسفة من مظانها الرئيسية وهو الهدف من نشر «التعليقات»^(٥٠). ثم يتضمن التصدير تحديد النوع الأدبى وهو الإملاء على تلميذه بهمنيار مع ترجمة لحياته وثبت بأعماله ووصف لنسخ المخطوط، وهو نفس الهدف من تحقيق «عيون الحكمة» لابن سينا، فهو يعطى صورة موجزة لفلسفة ابن سينا. والتصدير العام قصير عن شرح الرازى له، مع بعض المعلومات الاستشرافية والمقدمة بالفرنسية^(٥١).

ولا فرق بين معرفة مذاهب المسلمين ومذاهب اليونان للباحثين العرب أو للأوربيين. فإن الهدف من نشر كتاب «البرهان» من الشفاء لابن سينا هو أن اللاتين لم يعرفوه، مع أنه يعبر عن أصفى مذهب لأرسطو فى البرهان، لذلك يتم تحقيقه فى ذكرى ابن سينا الألفية^(٥٢). ثم يتضمن التصدير العام الذى لا يوجد فى الفهرس نظراً لعدم أهميته عند المحقق، معلومات استشرافية خالصة عن الكتاب فى مصدره الأسمى عند أرسطو، ثم فى إعادة عرضه عند ابن سينا، مع بيان أسمائه ومخطوطاته وترجماته، ووصف مخطوط هذا التحقيق دون اكتشاف بعض الدلالات، مثل صمت ابن سينا عن مصادره لأنه تأليف، وتمثل القديم خطوة على إبداع الجديد، ومثل الإعلان عن نية وضع منطق للمشرقيين خاص بهم، ثم جاء تحقيق النية تقليدياً خالصاً، ويضاف - فى النهاية - فهرس المصطلحات الرئيسية وما يقابلها باليونانية.

وهناك تحقيقات أخرى تعلن عن الهدف منها صراحة وبوضوح فى التصدير، فالهدف من التحقيق الحفاظ على النص الأصيل دون التجنى عليه والترخص فيه على نحو إجرامى بتغيير النص بدعوى تصحيحه، وبناء على جهل وضيق الثقافة، وهو ترخص شاع فى البلاد العربية والشرقية فى السنوات الأخيرة، دون معرفة بالمناهج الفيلولوجية أو نتائج الدراسات الكلاسيكية على عدة أجيال، ولا عجب فالشرق مصدر الطغيان والاستبداد الحضارى بالنصوص والمؤلفين الأقدمين، وربما امتد إلى الأقوام والشعوب إعجاب بالغرب، ونفور من الشرق، مثل أستاذه طه حسين فى «مستقبل الثقافة فى مصر»^(٥٢). ثم يتضمن التصدير العام دراسة مستفيضة عن الأمثال، وتقديس الكلمة، وروح الشرق، ومقارنة هذا النوع الأدبى من الأمثال فى الغرب ونفور دون كيخوته منها عن قصد أو عن غير قصد. وهما نوعان: أمثال السلطة، وأمثال المعارضة، عند الصوفية مثل أبى حازم، وأبى سليمان الدارانى. ومعظم أمثال اليونان وحكمهم منحولة، تعبر عن روح الشرق كما مثلتها روح الهلينية المتأخرة وهى ألد أعداء الروح اليونانية.

ويضم التصدير العام لكتاب «فن الشعر»، لأرسطوطاليس - مع الترجمة العربية القديمة وشروح الفارابى وابن سينا وابن رشد - مادة استشراقية للتعالم مثل فن الشعر لأرسطو فى النقد الأدبى الأوروبى وهو خارج الموضوع، النقد الفيلولوجى وكتاب فن الشعر. وكثير من العناوين الفرعية لا دلالة لها، مع الإكثار من الشواهد باللغات الأجنبية وذكر المراجع ومكان إقامته بسويسرا، مما لا يحق للباحث والعالم الزاهد فى مطالب الدنيا. وتحليل كتاب «الشعر» مجرد عرض لا قراءة فيه بعد اكتشاف مرجوليوت للترجمة العربية القديمة، بالإضافة إلى فهارس الأعلام والمواد والمصطلحات الواردة فى نص كتاب الشعر لأرسطو. ويزداد التعامل بإعطاء ترجمة حديثة بدلاً من الترجمة القديمة. وبالرغم من اختلاف الموقف الحضارى للترجمتين، فالترجمة القديمة تمثل واستيعاب، والترجمة الحديثة نقل ومطابقة، لبيان أن المترجم الحديث أكثر دقة وموضوعية من المترجم القديم، مزيدة فى العلم ونقصاً فى الوعى الحضارى التاريخى، ويأخذ المترجم الحديث العناوين الفرعية لتقسيم الفقرات من

الترجمات الغربية الحديثة.

ويزداد الأمر صعوبة عندما يتهم المترجم الحديث المترجم أو الشارح القديم بالبعد عن النص الأصلي والتحريف فيه زيادة مرة ونقصاناً مرة أخرى، متهماً «تلخيص ابن رشد» بأنه «فاسد»^(٥٤)، لا يفيد مطلقاً فى إيضاح فكر أرسطو، بل يبتعد عنه كل الابتعاد» وكان قصد ابن رشد حذو أرسطو الفقرة بالفقرة، كما يفعل المترجم الحديث، وليس قراءته وتأويله من أجل تمثله والإبداع فيه. ويتعجب من إعادة قراءة العرب كتاب الشعر كما يتفق مع الجانب الإلهي، وهو صب الوافد فى الموروث كعملية حضارية طبيعية. ويعتبر العرب شارحين مع أنهم مؤلفون فى نفس الموضوع الذى ألف فيه أرسطو، ومكملون له فى ثقافات أخرى، لذلك يستبدلون بالشعر اليونانى الشعر العربى. أما المحقق فإنه يرى أن ابن رشد حاول تطبيق قواعد أرسطو على الشعر العربى، وأضلعه الترجمة، فترجم التراجيديا بالمديح، والكوميديا بالهجاء، وظن أن الأمر كذلك فى الشعر العربى. فأكثر الشواهد فيه وهى فاسدة، لأنها تقوم على أصل فاسد، وكان يعتذر كلما عصت عليه. والحقيقة أن العرب لا يشرحون أرسطو لفظاً بلفظ، وعبارة بعبارة، ولكنهم يقرأون ويؤولون ويعيدون بناء الشعر، ابتداء من الشعر العربى، من أجل توسيع نطاق الشعر وتطبيقه على أكثر من شعر قومي. فليس فى هذا الاستبدال للشواهد الشعرية أى تعسف أو تزيف لأرسطو. فأرسطو هو الوسيطة والشعر العربى هو الغاية، أرسطو هو الفرع وابن رشد هو الأصل. والترجمة هى وضع معانى الوافد فى لغة الموروث. فالتراجيديا مديح والكوميديا هجاء. ومن الطبيعى ألا يساير التلخيص الأصل. ولكن لا يعنى عدم التطابق هذا أنه غير مفيد لمعرفة معانى أرسطو لأن التلخيص تعميق وإكمال. ويقسو المترجم على الشراح العرب إلى حد إصابته بالآلم وخيبة الأمل منهم، لأنهم لم يفيدوا من أرسطو كما أفاد الأوروبيون منه فى عصر النهضة، وكما أفاد العرب أنفسهم من سائر مؤلفات أرسطو خارج كتاب الشعر. والحقيقة أن العرب أفادوا من كل مؤلفات أرسطو، بما فى ذلك كتاب الشعر، مما ساعد على نشأة النقد الأدبى وتنظيره. كما يتمنى المحقق ويتحسر على عدم استطاعة الشراح العرب الاستفادة من كتاب الشعر

لأرسطو، لذلك لم تنشأ لديهم المأساة والملهاة في عصر ازدهاره في القرن الثالث ولا لتغير وجه الأدب العربي كله^(٥٥).

وقد تكمن أهمية الكتاب في أنه أول نص في موضوعه مثل كتاب «مختار الحكم ومحاسن الكلم» للمبشرين فانتك فهو، أول كتاب عربي في تاريخ الفلسفة. ويتلو نشر النص العربي نشر الترجمة الإسبانية القديمة، وهو ما لم يكن ممكناً قبل نشر النص العربي أو الرجوع إليه مخطوطاً، ومن ثم تصحيح نشرة إسبانية سابقة لم ترجع إلى الأصل العربي لأنه لم يكن محققاً من قبل. ونشر النص العربي وترجمته الأسبانية يعتبر مساهمة في إحياء التبادل الثقافي العربي الأسباني في القرن الثالث عشر. وبفضل (المعهد المصري للدراسات الإسلامية) في مدريد الذي حمل الشعلة المقدسة من جديد^(٥٦). ثم يتضمن التصدير العام معلومات استشرافية خالصة عن التعريف بالمؤلف والكتاب ومخطوطاته وترجماته ومصادره في «نوارد الفلاسفة والحكماء وأداب المعلمين القدماء» لحنين بن إسحق و«تاريخ فرفوريوس» و«كتاب تراسلوس» لثاؤون الأفلاطوني و«تاريخ النحوى وحياة الفلاسفة» لديوجانس والكلمة الروحانية» لابن هندر، بالإضافة إلى فهرس أعلام للأسماء والأماكن.

وقد يكون الهدف من التحقيق هو رد الاعتبار لصاحب النص بعد أن هضمه قومه حقّه، كما هو الحال في (تلخيص البرهان) لابن رشد^(٥٧). وهو نفس الهدف من تحقيق (تلخيص الخطابة) وبنفس العبارة النمطية. وبعد ذلك يقدم تلخيص البرهان معلومات استشرافية خالصة، وذكر نصوص مترجمة إلى اللاتينية كما يفعل المستشرقون، وكان اللاتينية هي الأصل، وإضافة هوامش نقدية مستفيضة، ووضع عناوين فرعية لفقرات النص بين معقوفين، أسوة بالنشرات الأوزبية الحديثة. ويحيل إلى شرح كتاب القياس للفارابي، وإلى تعليقاته على أنا لا طيقا الأولى، ويغفل بعض الدلالات، مثل حذف الترجمة اللاتينية للعبارات الدينية مثل (الحمد لله) و(البسملة)، أى الجانب القيمي في النص، مما أدى - بعد ذلك - إلى أزمة العلم في الغرب، بتفرقة بين حكم الواقع وحكم القيمة. كما يغفل دلالة ذكر الإمام مالك في الشرح.

أى استعمال الفقه كمادة محلية. وقراءة الوافد من خلال الموروث، ويكتفى المحقق فقط بالتعريف به.

وكان الهدف من نشر «فضائح الباطنية» للغزالي التعرف على المذهب من مصادره والرد عليه. فلقد لعب المذهب دوراً خطيراً فى التاريخين السياسى والروحى للإسلام، منذ القرن الثالث الهجرى، ولا يزال حياً حتى اليوم^(٥٨). ونظراً لأهمية المذهب فقد عقد المؤلف العزم على الكتابة عنه، وهو - بالفعل - ما صدر فى الجزء الثانى من «مذاهب الإسلاميين» عن الإسماعيلية والقرامطة والنصرية والدروز^(٥٩). وبين ارتباط فرق الشيعة بالتيارات والأهداف السياسية والاجتماعية، مع التركيز على عقائد الإسماعيلية وآرائهم فى الواجبات نحو الأئمة والتوحيد والمبدع الأول وعالم الدين والأخريات، وعقائد النصيرية والدروز، والحاكم بأمر الله. ويعتمد اعتماداً على المنهج التاريخى الفيلولوجى، والتصدير أقرب إلى تاريخ الأفكار دون موقف أيديولوجى، ويدعوى الأمانة والموضوعية.

والهدف من إعداد مؤلف عن «مؤلفات الغزالي» هدف علمى خالص، وهو تقديم الأداة الضرورية الأولية لحصر مؤلفات الغزالي والتحقق من صحة نسبها إليه، ومن أجل نشر ما لم ينشر منها، وإعادة نشر ما نشر منها غير محقق، ثم تأتى الدراسات بعد ذلك على هذا المفكر العظيم^(٦٠). فقد أعد الكتاب فى الذكرى المئوية التاسعة لميلاده. ويخصص المحقق تصديراً عاماً عن مؤلفاته الصحيحة، حسب تاريخ التأليف، والشكوك فيها، والمنحول، شكا أو يقيناً، وبعض كتبه التى لها عناوين مغايرة، والمجهولة، والمخطوطات المنسوبة إليه والملاحق، ومقارنة بينه وبين أرسطو فى الحضور الفلسفى فى التاريخ، على مر العصور. كما يذكر التصدير تاريخ الدراسات الاستشراقية عن الغزالي، وفترات حياته، ووضع مؤلفاته فيها، مع الرموز والاختصارات العربية والأجنبية، والفهارس، وفهرس عناوين المخطوطات والكتب ذات العناوين اللاتينية والعبرية.

وإعداد دراسة عن مخطوطات أرسطو فى العربية من نفس النوع الاستشراقى

كأداة للبحث، وهو أصغر أبحاثه، ويعتمد على أبحاث جوردان، وفستفولد، واشتيتشنيدر، وفنرش، وميلر، مما يدل على خطة بحث المحقق^(٦١).

وهو نفس الهدف من «مؤلفات ابن خلدون»، بدلاً من الدراسات المقتضبة المتكلفة التي تعقد مقارنات بينه وبين غيره، مثل ماركس وكومت، مما يأباه التطور التاريخي للفكر الإنساني، ولا تزيد في قيمة ابن خلدون شيئاً. أما تحقيق النص والتعرف على مصادره ووضع معجم لألفاظه ومصطلحاته فإنه يقدم الأداة الضرورية لدراسة فيلسوف اجتماعي عظيم، اعتبر تونبي مقدمته أعظم كتاب ألفه العقل الإنساني^(٦٢). ويذكر المعدُّ الدراسات عنه وصحة نسبة كتبه ومؤلفات الشباب الضائعة. إنما الإشكال في المقدمة التي كتبها عدة مرات، إضافة وزيادة، على مدى ثمانية وعشرين عاماً. واحتياج معرفة مصادره إلى دراسة خاصة، اعتماداً على الاكتشافات الحديثة مثل كتاب أورسيوس عن تاريخ العالم. فقد اعتمد ابن خلدون على مصادر مكتوبة عن تاريخ البربر، وليس فقط على روايات شفاهية.

ومن مظاهر النشر العلمي كتابة ظهر الغلاف الثاني من اليسار باللغات اللاتينية في الترجمات العربية القديمة، أو بالفرنسية في الدراسات الحديثة، والقليل منها بالأسبانية. ويظهر العنوان اللاتيني في القاهرة وليس في الكويت أو لبنان^(٦٣).

خامساً: المشروع الفلسفى النهضوى (الأنثى):

وربما أن الفيلسوف الشامل صاحب مشروع نهضوى كبير استثنافاً لمشروع النهضة الأول الذى لا ينكره ولا يرتبط به ولا يطرده. ومع ذلك هو حاضر فيه مسار حياته بنية عمله. وكلاهما مشروع. فهناك صلة بين حياته وعمله وعصره - كما هو الحال عند جميع الفلاسفة - وإن لم تبد بوضوح عند الفيلسوف الشامل الذى يعرض عمله ويطوى حياته، يعلن إنتاجه ويسر بحياته إلى نفسه فى مفارقة بين الخارج والداخل، بين الحديث إلى الناس والحديث إلى النفس.

ويتجلى هذا المشروع الفلسفى الكامل فى ثلاثة ميادين للبحث:

أولاً: البحث فى التراث العربى القديم عن طريق تأسيسه - أولاً - ومعرفة مكوناته - ثانياً - عوداً إلى الجذور والمصادر التاريخية، وربما تاركاً المجال لجيل آخر لتطويره واستمراره، طبقاً لظروف عصر آخر، وبناء على متطلبات مرحلة تاريخية أخرى، وهذه هى الجبهة الأولى، ثقافة الأنثى فى زمنها الماضى، وهى التى تظهر المشروع الفلسفى النهضوى للأنثى.

ثانياً: الاستفادة من تجربة الغرب والتعريف بتياراته ومؤلفيه فى الفكر والأدب تدعيماً للمشروع، المثالية الألمانية، والرومانسية الشعرية. فنهضة مصر والعرب فى حاجة إلى هاتين النزعتين: الإنسانية كما تجلت فى المثالية، والوجودية كما ظهرت فى الرومانسية، فقد كان الأنثى فى مساره التاريخى منفتحاً على الآخر منذ اليونان القديم حتى الغرب الحديث، متمثلاً له، ناقداً لحدوده ومكملاً له ومعيداً إليه الاتزان، من أجل خلق أنثى جديد متجدد، يعبر عن نفسه بلغة العصر، وهذه هى الجبهة الثانية: ثقافة الآخر فى زمنها المستقبلى، وهى التى تبرز المشروع الفلسفى التاريخى للآخر.

ثالثاً: العمل على نهضة مصر، بالإبداع الفلسفى مثل (الزمان الوجودى)، والأدبى فى الشعر والقصة واليوميات، وإن غاب التحليل السياسى والرؤيا السياسية والعمل

السياسى. هذه هى القاعدة التى تتفاعل عليها الجبهتان الأولى والثانية، ثقافة الأنا فى زمنها الحاضر. وهى التى تبرز المشروع الفلسفى الإبداعى لتفاعل الأنا والآخر. ويبرز المشروع الفلسفى النهضوى تدريجياً فى تصدير الأعمال ومقدمتها واستهلالاتها التى تضع العمل فى إطاره، وتبين الهدف منه الذى يصب فى المشروع الكبير، فيكون الهدف - أولاً- مجرد إحياء تراث القدماء، هؤلاء الأفاضل المغفورين. للاعتراف بفضلهم وجيل أعمالهم. وكأن القدماء فى حاجة إلى شهرة عند المحدثين^(٦٤). ومع ذلك فإنه علمى، لأن إنكار جهود القدماء يؤدى إلى إلغاء التراكم العلمى الضرورى للإبداع العلمى، كما أنه حضارى لأن الاعتراف بجهود القدماء، يشبذ الهمة من أجل إبداع المحدثين. ويقتصر التصدير العام فى الجزء الأول على شرح لفظ السماع: أى المحاضرات، تشرح النص أكثر مما تشرح الترجمة، ضمن رؤيا كلية لأرسطو تبين الإحاطة والتعاليم، واقتراح أنه من عمل جماعة وليس من عمل فرد، كما تركز على قضية النسبة، وهى مشكلة أوروبية ناتجة عن صحة الأناجيل والشك فيها. كما يذكر الترجمات العربية والشروح والتعليقات، ما عُرف منها وما لم يعرف، فالشهرة لها قانونها الخاص، مع ذكر البلد والتاريخ واسم الناسخ والمنسوخ. كما هو معروف فى وجوه النقل، وكأن الهدف إشهار المغفور وليس العلم، مثل ابن السمع وابن عبرى ومتى بن يونس وأبى الفرج بن القرب.

وقد يكون الهدف إبراز حكمة اليونانيين، أحد كنوز حكمة الأمم، فما يتم للتراث العربى يتم أيضاً للتراث اليونانى، فكلاهما تراث إنسانى واحد، وهو هدف لليبرالية المصرية فى عصر أحمد لطفى السيد أستاذ طه حسين أستاذ الفيلسوف، وتأصيلها فى مصادر الليبرالية الغربية عند اليونان مباشرة كما فعل الغرب الحديث. لذلك ترجم أحمد لطفى السيد كتاب السياسة لأرسطو من الترجمة الفرنسية الحديثة لبارتلمى سانت هيلير، دون قراعتها وتأويلها وإعادة بنائها وتركيبها، كما كان يفعل القدماء فى ترجماتهم للنصوص اليونانية^(٦٥).

وعندما يكون الهدف علمياً خالصاً دون ربطه بالمشروع الفلسفى النهضوى

الكبير، أو بالوطن، على نحو مباشر. ويكون العلم - في حد ذاته وبطريق غير مباشر - فيه تأسيس لأحد جوانب المشروع النهضوى وتأسيس للوطن.

قالهدف - كما يبدو من نشر الترجمة العربية القديمة لمنطق أرسطو - هو بعث التراث اليونانى عند العرب وبيان ما به من دقة وعناية. فقد ترجم عدة مرات، وهو أيضاً الاستعانة بها فى دراسة التراث اليونانى حالياً، خاصة من حيث دقة المصطلح الفنى ومراجعته على الأصول اليونانية والترجمات الحديثة. فنشر الترجمة العربية القديمة له هدفان: هدف أسمى لمعرفة قدرة القدماء على نحت المصطلح الفنى، وهدف فعلى للاستفادة منها فى إحكام نشرنا الفنى، متجاوزين النشر الأدبى إلى النشر الفلسفى، ولا يعنى ذلك العود إلى الماضى والوقوع فى السلفية بل الاستفادة من الماضى وتجاوزه إلى المستقبل فلا خوف على التجديد من الماضى^(٦٦).

ولما كان العلم أحد الموجهات الرئيسية فى النهضة العربية المعاصرة فقد حقق المؤلف «دراسات ونصوص فى الفلسفة والعلوم عند العرب» ضمن تقويم عام لتحقيق التراث اليونانى المترجم إلى اللغة العربية. فبعد أن أتم نشر الترجمات العربية القديمة يمكن بعد ذلك دراسته لاستخلاص النتائج الخاصة بالثقافة العربية فى الماضى والمستقبل^(٦٧). فدراسة الماضى من أجل الوعى بالمستقبل من أجل الانتقال من التراث اليونانى إلى التراث الأوروبى الحديث والمعاصر. فكما نقل القدماء أمهات الفكر اليونانى ينقل المحدثون أمهات الفكر الغربى الحديث والمعاصر، ثم شرحه وتحليله وعرضه مواكبةً للفكر العالمى. يقوم المحقق هنا بدور المترجمين العرب القدماء، بمفرده ودون حاجة إلى ديوان الحكمة، وهو رئيس نفسه دون حاجة إلى رئاسة حنين بن اسحق^(٦٨). وفى كلتا الحالتين تهتم الحضارة العربية بأعلى ما وصل إليه الفكر الإنسانى، تستوعبه لتتجاوزه. وما أسهل استيعابه لقيامه على العقل والتجربة، وهما أساس الوعى، وفى نفس الوقت تجاوزه بالحياة الروحية، وليست - بالضرورة - الروح الغيبية المناهضة للعقل فى الفكر الشرقى. أما إعادة الكرة مع اليونان قديماً من أجل إعادة الترجمة، كما فعل الأوربيون المحدثون، فهو عمل لا

طائل منه ولا فائدة. فالعصر لم يعد عصر اليونان والثقافة لم تعد ثقافتهم. وقد قام الأوروبيون بذلك لأن الثقافة اليونانية إحدى مصادر الفكر الغربى. فليس الأمر مجرد تقليد لما يقوم به الغربيون لنقوم بمثله^(٦٩). ومن الطبيعى أن يتم ذلك بحرية تامة، بعيداً عن توجه السلطات السياسية، ومن متخصصين يتقنون اللغتين اليونانية والعربية ويحيطون بدقائق الفلسفة، ولكن هذه المرة مع الفلسفة الغربية فى العصور الحديثة. فالعصر عصرها^(٧٠). وينقد المحقق مجموعة من العلماء المزييفين فى تاريخ العلوم عند العرب الذين يهرولون إلى المؤتمرات ببيع بعض الوريقات الضئيلة بجوار العلماء الأفاضل ندا لندا^(٧١). والهدف من «أفلوطين عند العرب» بيان مأساته فى العالم العربى وحظه التعيس فى الخلط بينه وبين أرسطو، دون تجاوز هذا الحكم التاريخى طبقاً للنزعة التاريخية التى سادت فى الاستشراق الغربى فى القرن الماضى، بناءً على سيادة المدرسة التاريخية الألمانية والفرنسية عليه^(٧٢). فقد أراد الوعى الجمعى الحضارى إكمال أرسطو بأفلوطين حتى يصبح كاملاً جامعاً بين العقل والقلب، بين الدنيا والآخرة، وكما حاول الفارابى فى «الجمع بين رأى الحكيمين: أفلاطون الإلهى وأرسطوطاليس الحكيم». لذلك تمت نسبة «أثولوجيا» وهى أجزاء من «التاسوعات» إلى أرسطو، وأسس عليها الفلاسفة علم الربوبية، وكتب فيها الفارابى «رسالة فى العلم الإلهى». وليس غريباً أن يعطى أفلوطين لقب الشيخ اليونانى. وهنا حضر المستشرق وغاب الفيلسوف. ويتضمن باقى التصدير معلومات مكتبية، والمقارنة مع النقل المسيحى كما يفعل المستشرقون مع حضارتهم الخاصة، ودراسة متقابلة بين النصين اللاتينى والعربى دون تحليل دلالى لمنطق الزيادة والنقصان مثل دلالات العبارات الخاصة بالبيئة الدينية الإسلامية كالبسمة والحمدلة. وتعبّر الترجمات اللاتينية عن موقف حضارى مختلف، الرؤية المسيحية للنص الأفلوطينى. ويرجع فقدان الدلالة إلى فقدان الوطن والخصوصية الحضارية والعمل مع الاستشراق خارج حدود الثقافات وهو - فى حقيقته - سيطرة مفاهيم الثقافة الغربية ومناهجها وأهدافها على باقى الثقافات. كما يغلب على هذا التصور علاقة المركز بالمحيط.

فالليونان المركز ومصر المحيط، وأخذ المحيط ثقافة المركز العقلية وردّها - بفضل روح الشرق - روحية إلى المركز من جديد. والإسراف في إظهار المعرفة باللغات - القديمة والحديثة - فيه إحساس بالتفوق على الآخرين في وسائل البحث العلمي، عن وعى أو لا وعى. صدقاً كان أم افتخاراً. والهدف من «المثل العقلية الأفلاطونية» هو إثبات أن الروح الأرسطية كانت بعيدة عن روح الحضارة العربية لأنه كان يونانياً خالصاً. أما أفلاطون فقد سرى فيه الروح الشرقي، فكان أقرب إلى روح الحضارة العربية من أرسطو الذي لم يستطع العرب تقبله إلا بعد أن طعم بعناصر من الأفلاطونية المحدثه^(٧٣). هذا هو التكامل من أجل بناء نموذج الحكمة الخالدة التي تجمع بين أرسطو وأفلاطون. وقد روج الصوفية لأفلاطون وليس الحكماء، باستثناء أبي بكر الرازي، مما يدل على أن النزعة العامة في الفلسفة الإسلامية ظلت أرسطية. إنما المسيحية في بدايتها في عصر أباء الكنيسة هي التي اختارت أفلاطون قبل التحول إلى أرسطو بعد بونينيوس في القرن السادس الميلادي. هذا كله من منظور إشراقي يرجع الداخل إلى الخارج وإبداعات الحضارة الإسلامية إلى حضارات سابقة عليها ومجاورة لها، التصوف إلى الفرس، والفلسفة إلى اليونان، والفرق إلى الفرق غير الإسلامية، والأصول - ممثلة في القياس الشرعي - إلى منطق أرسطو. والحقيقة أن هذا تصور مسيحي للدين بوجه عام، ولروح الإسلام بوجه خاص، راج في الاستشراق وفلسفات التاريخ العنصرية الغربية التي تجعل الإسلام تعبيراً عن روح الشرق السحرية، في مقابل عقلانية اليونان، مع أن تمثل أرسطو في التراث الإسلامي قد تم لاتفاق المذهبيين الذين يقومان معاً على العقل والطبيعة والإنسان والتوازن والوسطية. كما أن نظرة عنصرية مازالت تقوم على التفرقة بين العقلية السامية والعقلية الآرية ولا يخلو التصدير - في النهاية - من فهارس استشراقية للأعلام وأسماء الكتب الواردة في النص.

وقد يكون الهدف الفلسفي النهضوي صريحاً وواضحاً ومروياً، بحيث يتوارى الهدف الفلسفي العلمي، فلا يزعم المؤلف أنه قادر على توخي الدقة المطلوبة، بل

مجرد الاقتراب منها والسعى بها نحو مزيد من التدقيق والعناية، مما يوحى بتواضع شديد يفارق ما عرف عن صاحبه بالاعتزاز العلمى الذى يصل - أحياناً - إلى درجة الغرور. والهدف الأسمى هو المشروع الفلسفى النهضوى لتأسيس النزعة الإنسانية ذات الأصول العربية القديمة، من أجل بعث حضارة جديدة مرجوة. وهو ما حاوله فى التأليف فى تأصيلها أيضاً فى «الإنسان والوجودية فى الفكر العربى» بالرغم من تصويره للإنسانية على النمط الغربى وقراءة الآخر فى مراة الأنا وليس تحديد مفهوم جديد نابع من تراث الأنا، وقراءة الأنا فى مراة الآخر^(٧٤). والتصدير العام يركز على قضية الانتحال طبقاً للنزعة التاريخية فى القرن الماضى. والانتحال هو قمة الإبداع الجماعى التاريخى. فلا تهم الصحة التاريخية للنص بل إكمال النص الأول الصحيح تاريخياً بنص إبداعى حتى يكتمل النموذج المثالى للفكر. فالماهية تخلق الواقعة. فلا يهم أرسطو التاريخ بل أرسطو الحضارة، لا يهم أرسطو الفرد بل أرسطو الوعى الجمعى. فانتحال كتاب التفاحة ونسبته إلى سقراط أو أرسطو إنما هو إبداع على نموذج فيدون. فأرسطو هو المتأثر والشرح العرب هم المؤثرون، أرسطو هو المعلول والحضارة الإسلامية هى العلة. ولا فرق فى ذلك بين تراث يونانى وتراث لاتينى، فقد جمعت النزعة الإنسانية العربية بين تراث أثينا وتراث روما^(٧٥). ثم يتضمن التصدير مادة استشراقية عن الترجمة العربية القديمة التى تمت فى منتصف القرن الرابع الهجرى، وهى النشرة الوحيدة لكتاب لاتينى. فقد ترجم التاريخ أيضاً، وليس فقط الحكمة مثل الطب والجغرافيا.

كانت الترجمة عن اللاتينية وليس فقط عن اليونانية، وفى المغرب وليس فقط فى المشرق، وحتى فترة متأخرة وليس فقط فى القرن الثانى. وهو من مصادر ابن خلدون فى كتابه «تاريخ اليونان والرومان»، وأفاد منه كثير من المؤرخين العرب، لذلك أورد المحقق ملحقاتاً للنصوص التى اعتمد عليها ابن خلدون. وكأن النص اللاتينى هو الأصل والترجمة العربية هى الفرع، والأهم هو أن النص العربى تأليف بالنسبة للنص الأسمى لما فيه من زيادة. فلما كانت الترجمة من أجل خليفة المسلمين فى

قرطبة وموجهة إلى جمهور إسلامي أدخل المترجم تاريخ اليهود والنصارى. ومن ثم ليس الأصل هو النص اللاتيني والفرع هو الترجمة العربية، لأن الترجمة تأليف جديد في بيئة حضارية في لغة تصنع موضوعات تناسبها وتزيد معرفتها. ولا يخلو التصدير من بعض التعالم مع أن الهوامش مأخوذة من الاستشراق. كانت مشكلة الاستشراق تحريف الكتب المقدسة، وليست قراءة المسلمين لهذا النص التاريخي والإضافة عليه.

وتكشف الترجمة العربية عن البيئة الدينية المحلية وتعبيراتها، مثل الجاهلية وأدعيته، مثل: رحمة الله، مما يدل على أن الترجمة تأليف غير مباشر، وهي نفس النزعة الإنسانية العالمية التي سادت التصوف الإسلامي عند العلاج وابن عربي وابن سبعين، وهي نتيجة طبيعية لوحدة الوجود، فلا يوجد إلا الله، ومن ثم لا يوجد فرق بين إنسان وإنسان أو بين قوم وقوم أو بين بشر وبشر. فحب الصوفية شامل للإنسانية كلها. وللوجود كله، لا فرق بين الأفراد ولا بين مستويات الوجود^(٧٦). ويشمل التصدير العام مادة تقليدية عن التحقيق، وحياة المؤلف ومذهبه، ومقارنته مع هيجل، وقائمة بأسماء الكتب المنسوبة إليه دون فهرس أو ثبت بمؤلفات المحقق، ربما لأنها في مطبعة الدولة.

وقد يكون الهدف من الاشتغال بالتصوف - تأليفاً وتحقيقاً وترجمة وإعداداً - هو بعث الحياة الروحية، والنفاذ إلى صميمها، والدفاع عنها ضد الهجوم عليها. بل إن المؤلف يدعو إلى قيامها كرد فعل على النزعات التأويلية المغالية التي استنفدت قواها في مرحلة تطور الدين وتأسيسه عقلياً والبرهنة عليه منطقياً. فالتياران ضروريان العقلي والقلبي، النظري والذوقي، والحياة الدينية هي هذا التوتر القائم بينهما. ولا غنى لأحدهما عن الآخر، وإلا تحجر العقل ووقع القلب في الخرافة والسحر. والتناقض جوهر الإبداع الفكري والحضاري^(٧٧). ويضم الكتاب دراسات خمساً ثلاثاً لماسنيون، وواحدة لكوربان، والثالثة نص للسهروردي^(٧٨). ويركز المترجم في التصدير على أهمية الدين الحي ضد التحجر والقوانين والنزعات السنية والسلفية

ويحظى ماسنيون بمقدمة طويلة عن حياته، وأبحاثه، ومنهجه الاستنباطي، بعيداً عن النزعة التاريخية وتخصصه في التصوف، والحلاج، وفريد الدين العطار. وله محاضراته في الجامعة المصرية ١٩١٢ - ١٩١٣ ويأمل في نشرها، وقد نشرت بالفعل، ولا يرى المترجم غضاضة في التحاق ماسنيون بالجيش الفرنسي في سوريا وفلسطين وقليلية ودخول القدس مع النبي ١٩١٧، وقد عين عضواً بمجمع اللغة العربية في مصر ١٩٢٢-١٩٥٦، ثم مراسلاً حتى وفاته. وينتهي الكتاب بفهرس أعلام وكتب أسوة بالكتب الأجنبية، باستثناء التصويريات. واقتفى المترجم أثر المؤلف حتى في هوامشه دون زيادة أو نقصان.

وتقاسم النزعة الإنسانية في الحضارة العربية في الحياة الروحية في الإسلام، ولكن المؤلف يجعلها الحياة الشرقية، خاصة الحياة الإيرانية، معتمداً على شخصية السهروردي، التي تنبعت إلى أصولها العنصرية، فاتصلت بالينابيع الإيرانية لتستمد منها المضمون الروحي للعقيدة، اعتماداً على المصدر العنصري الأجنبي. فجمع بين الأصليين: الطابع العنصري الفارسي، والروحانية الشرقية. والحقيقة أن ذلك ترداد واستدعاء لتحليلات كوربان لأعمال السهروردي، وإرجاعه إلى المصدر الإيراني القديم وإخراجه من دائرة التصوف الإسلامي الداخلي. ويدفع المترجم هذا الرأي ويخرجه من حيز القومية القديم والممثل في أساطير الفرس وسيرة أبطالهم عند كوربان إلى حيز العنصرية الحديث^(٧٩).

ولا ينسأ المترجم: هل الفرس هم أصحاب النزعة الإنسانية في الحضارة العربية أم التصوف الإسلامي الفارسي والهندي والعربي على وجه العموم؟ هل الفرس وحدهم أصحاب النزعة الروحانية الشرقية أم أن باقي الشعوب قد ساهمت في ذلك تحت لواء التصوف الإسلامي؟ هل الفرس هم الشرق أم تشارك فيه باقي الشعوب، الهند وآسيا الوسطى وجنوب شرق آسيا، بل والجناح الآسيوي للعالم العربي كله بالرغم من امتداد شمال أفريقيا حت الشاطئ الجنوبي للبحر الأبيض المتوسط وأوروبا في شماله؟ يركز المترجم إما على دور الفرس في التصوف

الإسلامى: سلمان الفارسى، والحلاج والسهروردى، كما يفعل كوربان وماسنيون،
وإما على الدور الشيعى، فالشيعة تمثل - أولاً - تياراً روحياً قبل أن تكون تياراً
سياسياً، وهو ما يعارض تاريخ نشأة التشيع كحركة سياسية، أولاً، ثم التحول إلى
حياة باطنية لمقاومة الفقه السننى التشريعى التبريرى لسلطة الدولة.

وبالرغم من القسوة على الحضارة العربية القديمة بأنها كانت سجين اليونان
باستثناء النزعات الحرآنية، والعروبية، والنصوفية الغربية الحديثة، باعتبارها قد
تحررت من اليونان إلى فاوست وبرومثيوس طليقاً، إلا أن المترجم يتحول إلى
فيلسوف للتاريخ، يحاول بعث الحضارة العربية فى مرحلة تاريخية جديدة تتقابل فيها
مع الحضارة الأوربية وهى فى مرحلة النهاية، نهاية الألف الثانية. وربما تبدأ مرحلة
بداية الألف الثالثة، نتعامل معها كما تعاملت الحضارة العربية الأولى مع الحضارة
اليونانية دون أن نمر بنفس التجربة الأليمة التى مر بها القدماء^(٨٠).

والحقيقة أن هذا الوصف لمسار التاريخ صحيح فى نصفه الأول، أن الحضارة
الأوربية على مشارف النهاية، وأن الحضارة العربية الجديدة قد بدأت. الأولى فى
نهاية الألف الثانية، والثانية فى منتصف الألف الثانية، ولا توجد مظاهر أمل جديدة
فى الحضارة الغربية لألف ثالثة بعد سيادة مظاهر العدمية والشك والنسبية
واللأدرية وسيادة التحليل والتفكيك، وموت الإله، ثم موت الإنسان. والعلم له قوته
الدميرية والمال يقلب على نفسه فى الرأسمالية الغربية. وتجربتنا الحضارية العربية
الأولى لم تكن أليمة أو بائسة بل ساعدت على إنشاء العقلانية والإنسانية تخفيفاً من
الشعائرية والقطعية. وقد أكملنا الحضارة اليونانية ووضعنا فيها الروح، ومزجنا
أرسطو بأفلاطون وجمعنا بين أفلاطون وأرسطو، ووضعنا المنتحلات لعمل فلسفة
خالدة أبدية. لماذا يسميها المترجم (العربية) وليست (الإسلامية)؟ هل هى نزعة قومية
تكشف عن انتساب المترجم إلى (مصر الفتاة) ونزعتها الإرادية التى تفسر -
أيضاً- إعجابه بالرومانسية الألمانية والتصوف والروح والتصور الحيوى للتاريخ،
بعيداً عن عقل اليونان وحكمته، وتفضيل نيتشه على أرسطو؟

وكان الهدف من ترجمة «روح الحضارة العربية» لهانز هينرش شيدر مع إضافة تعليقات من وضع المترجم هو البحث في روح الحضارة العربية، في حين أن العنوان الحرفي الألماني «الشرق وتراث اليونان» أو «الشرق والتراث اليوناني». ويبرر المترجم في التصدير هذه الترجمة الحرة للعنوان بعدم دقة عنوان الشرق الجغرافي واختلافه بالنسبة للجغرافيا والتاريخ. والأفضل منه منطقة الحضارة العربية. والترجمة مشتقة من اشبنجلر في تحديده روح الحضارات وتطبيق ذلك على روح الحضارة العربية. حضارة الكهف، وهو المعنى المقصود من أجل ردنا إلى الحياة الجادة المستوية، والطريق المستقيم الذي يقود إلى الغاية المنشودة دون صلف أو مراء^(٨١).

لم يكن غرض المترجم تقديم تراث اليونان لذاته، لأنه أيضاً لم يكن غرض القدماء لذاته، بل لصياغة الحضارة العربية طبقاً لظاهرة التشكل الكاذب التي عرضها اشبنجلر وكررها المترجم في كتابه عن «اشبنجلر»، وفي استعماله لها في تصديره لترجمة «روح الحضارة العربية»، فهي عامل سلب لا إيجاب، أخذ الصورة ومنع الإبداع، تبني الشكل وخنق الروح والصلة طردية في التأثير عكسية في الأصالة. لذلك ظهر التصوف من أجل الانعتاق من اليونان وتجاوزهم أو التخلف عنهم. وكان الصراع شديداً بين التأثر باليونان والخضوع لهم كما فعل الفلاسفة، والتحرر منهم، والوثب خارجهم كما فعل الصوفية: تأثر الفارابي والسهروردي والحلاج وابن سينا والرازي الطبيب، وأبدع الصوفية: كالبيسطامي والحلاج والرازي الفيلسوف. بل إن ابن عربي في رأي المترجم لا يكاد يخرج عن اليونان المتأخرة التي زحفت عليها الحضارة العربية الناشئة. وقد شاهد عند أهل الأدب محاولات التوفيق، والحرب سجال كما هو الحال عند ابن المقفع والجاحظ والتوحيدى. كما شاهد الدين بما تفرع منه من أصول دين وفقه وحياة باطنة. فقد تكون كل شيء في هذا الصراع بين اليونان والأصالة، بين الخارج والداخل، بين النقل والإبداع^(٨٢).

لقد اختار المترجم هذا الكتاب لأنه بحث في صميم الحضارة العربية تحت تأثير اشبنجلر، ويعبر عن آراء المترجم، فأهمية التراث اليوناني للحضارة العربية أكثر من

أهميته بالنسبة للحضارة الغربية الأوروبية الفالوستية، لأن مصير الحضارة العربية كان أوثق ارتباطاً - وبدرجة هائلة - بالتراث اليونانى من الحضارة الغربية. فقد أدخل التراث اليونانى الحضارة العربية فى قالب وهى مازالت وليدة ناشئة فانطبع بطنابه - قبولاً أو رفضاً - بحيث كان من المستحيل الفكك منه. أما الحضارة الغربية فقد استعملت التراث اليونانى كذريعة للوثوب، ثم طرحته جانباً مكتشفة النزعة الإنسانية المتجددة فى كل عصر منذ عصر النهضة حتى فنكلمان وجوته وصولاً إلى بيجر صاحب مجلة الحضارة القديمة وجماعة جوديه فى فرنسا. ومازالت الحضارة القديمة تلعب دور المثير فى الوعى الأوروبى للوثب منها والثورة عليها، دون التقيد بها والعبودية، لها حتى أصبح (فالوست) هو رمز الغرب وليس (أبولو) رمز اليونان، أما العرب فإنهم لم ينسوا التراث اليونانى أبداً وظل عنصرأ دائماً فى حياتهم الفكرية حتى نشأ تيار يحاول التخلص منه: الرازى الطبيب بدعوته إلى الحرائية، والجاحظ بدعوته إلى العروية، والتوحيدى والسهورردى المقتول بدعوتهما الصوفية وتأسيس نزعة إنسانية تصدر عن الروح العربية الأصيلة^(٨٢).

هذا الوصف لعلاقة الحضارة اليونانية بالحضارتين العربية والأوروبية مجرد وصف أسطورى أيديولوجى رومانسى ألمانى. فالحقيقة أن ثقل الحضارة اليونانية فى الغرب مازال كبيراً، مثل العرب إن لم يكن أكثر. فعقلانية القرن السابع عشر والتنوير فى القرن الثامن عشر عود إلى العقل اليونانى ضد إيمان العصر الوسيط. ومثل التنوير، العقل والطبيعة والعلم والإنسان، إنما هى صياغات جديدة لمثل أفلاطون وأرسطو. إنما الجديد هو التقدم، أى التاريخ، والعودة إلى اليونان فى النزعة الإنسانية لا تدل على النسيان بل على البعث ضد روح نيتشه، ومازال أبولو، أى العقلانية والترشيد، هو أهم خصائص الوعى الأوروبى وسبب انتصاراته، فى حين أن ديونيزيوس أدى إلى العنصرية والحرب والاستعمار والسيطرة، ثم العدمية كما جسدها نيتشه.

أما الحضارة العربية فلم تسجن نفسها داخل الحضارة اليونانية. بل استعملت

لغتها وألفاظها ومصطلحاتها، وهى لغة العصر، أما العقل والعلم فنابعان من الوحي الجديد. بل ظهرت تيارات معادية للمنطق اليونانى، نقداً ثم رفضاً، وظهرت تيارات أخرى تغلب حكمة فارس. بل إن التصوف كله حركة لاعقلانية متمردة على العقل. وإذا كان أحمد لطفى السيد وطه حسين من دعاة اليونان، فإن الأدب الرومانسى الحديث مثل جماعة أبولو، والشعر الحديث إبداع عربى أصيل. ولا تعارض بين الداخل والخارج من أجل تكوين ثقافة إنسانية متكاملة.

ويضيف المترجم ملحقاً على كتاب «روح الحضارة العربية»، مراجعة لكتاب «تراث العرب» إعداد نبيه أمين فارس (برنستون ١٩٤٤) ويحيى جيلا جديداً من المستشرقين يتسم بالموضوعية والنزاهة على عكس الجيل القديم الذى كانت تحركه بواعث غير علمية، عوداً إلى الاستشراق النزيه الأول فى النصف الثانى من القرن الماضى، بفضل المستشرقين الأوروبيين الذين هاجروا إلى أمريكا، بالرغم من أن الاستعمار والعنصرية قد بلغا أوجهما فى القرن الماضى، وظهور نظريات السامية والآرية عند ليون جوتييه ورنيان فى فرنسا. وميزة هذا الاستشراق الجديد إعطاء صورة شاملة عن تراث العرب ومشاركة العرب فيه أسوة باشتراك علماء الهند فى الاستشراق الهندى، وبالرغم من ضالة نسبة المشاركة، وإحلال الدراسات العربية الإسلامية محل المصرىات والآشورىات والهنديات والعبريات والسورىانيات حتى وصلت الآن إلى (رابطة دراسات الشرق الأوسط MESA) فى الولايات المتحدة.

ويعرض المترجم فصول الكتاب وينوى الرد على المستشرقين (خاصة جوليس أوبرمان فى كتابه «أصول الإسلام») فى مجال آخر مما يدل على أن الرد على المستشرقين كان أحد بواعثه الأولى فى أواخر الأربعينيات قبل أن تتجلى فى أواخر الثمانينيات وأوائل التسعينيات بالفرنسية فى كتابيه «الدفاع عن القرآن ضد منتقديه» باريس ١٩٨٨، «الدفاع عن حياة النبی محمد ضد مهاجميه» (باريس ١٩٩٠)^(٨١). والقصد من الترجمة العربية إغراء القراء بقراءة الكتاب الذى لا ينفع الأوروبيين وحدهم بتكوين صورة دقيقة عن التراث العربى بل ينفع العرب أيضاً بإدراك

ويستمر المترجم فى نقد الاستشراق فى ملحق ثانٍ لعرض ومراجعة كتاب «الإسلام فى العصر الوسيط» لفون جرينباوم بعد إيواء أمريكا لحركة الاستشراق الأوروبية، بعد هجرة العلماء اليهود الألمان إليها هرباً من الاضطهاد النازى. وفى هذه المرحلة من الاستشراق بدأت التركيبات بعد الأبحاث الجزئية نظراً لخطورة التركيبات قبل معرفة الأجزاء التفصيلية. وقد جمع الكتاب بين الميزتين، مع التركيز على عوامل التمثل والاستبعاد، والقبول والرفض. ويرد المترجم على منهج الأثر والتأثر الغالب على الدراسات الاستشراقية، بما فى ذلك الآداب الشعبية، واعتبار «ألف ليلة وليلة» يونانية المصدر فى صورة عربية. كذلك ينقد الجهل والتعصب اللذين يكمنان أحياناً وراء أخطاء المستشرقين. وينقد اندفاع المؤلف نحو أحكام لا يؤيدها العلم والتاريخ لبعده عن الوثائق الجديدة التى تؤكد وجود الجانب الذاتى الشخصى فى الإسلام المتهم بالتجريد والعمومية والشمول، ويُقصد بذلك التوحيد، ونظراً لما تمثله المسيحية من تجسد وعينية. كما ينقد المترجم المؤلف بإهماله عنصر الجنس وكان المترجم أكثر قومية إلى حد التفسير العنصرى للتاريخ، عرب وفرس، والمؤلف أكثر إنسانية. كما ينقد الإطالة والاستطراد والاستشهادات بالنصوص الطويلة^(٨٦). ويظل الهدف من الترجمة هدفين: **الأول** إعطاء الغربى صورة دقيقة للحياة الروحية فى الإسلام فى إطاره العالمى، وإعطاء العربى - فى لغته - صورة عن نفسه وعن حياته الروحية^(٨٧).

والثانى إثارة هذه المسائل اليوم ليس فقط لهذا الغرض العلمى: فهم الماضى، ولكن من أجل الإعداد للمستقبل فى هذه اللحظة، لحظة الوثبة الكبرى التى تشاهدها البلاد العربية اليوم كى تعيد التوازن فى وعيها القومى بين مسارها العربى والمسار الغربى، بعد أن اختل هذا التوازن منذ انهيار الإمبراطورية الإسلامية الأولى فى القرن الثالث عشر الميلادى. وبالرغم من إحساس المترجم بالتاريخ وبالمسأرين المتميزين للوعى العربى الإسلامى والوعى الغربى، إلا أنه يضع المسار العربى ضمن

تحقيب مسار الوعي الأوروبي مؤرخاً له بالميلادى، ويعنى به نهاية القرون السبعة الأول عصر الريادة الأول فى الماضى، واستعداداً لعصر الريادة الثانى فى المستقبل^(٨٨).

وقد خصص الفيلسوف المترجم كتاباً بأكمله «التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية»^(٨٩) لترجمة مجموعة من دراسات كبار المستشرقين ألف بينها وترجمها عن الألمانية والإيطالية، مع مقدمة فى الفهرس وتصدير عام فى النص لهذا التقابل الذى يقرب إلى حد العنصرية الحضارية بين التراث اليونانى والتراث الإسلامى، بين النقل والإبداع، بين الروح العربية والروح اليونانية، مع إصدار بعض الأحكام العامة. يسمى المترجم كالعادة الحضارة الإسلامية (الحضارة العربية) وأحياناً (الحياة الروحية الإسلامية)، فإما قومية عربية، وإما روحية صوفية، وكأن لا شىء عقلياً نظرياً بينهما. ويرى أن الحضارة الإسلامية لم تأخذ من الحضارة إلا ما هو غير جوهرى، مع أن الحضارة الإسلامية أخذت لب الحضارة اليونانية مثل العقل وأكملته، وأن العلوم هى القدر المشترك بين الناس، وليس الفنون، أو الروح التى تفهم على نحو مخالف، وأن روح الحضارة الإسلامية أخفقت فى معارضة الروح اليونانى فى نتاج آخر، بالرغم من رد الفعل الإسلامى على التراث اليونانى ومحاولة وضع منطق للمشرقيين وحكمة للإشراق وفلسفة مشرقية، عند الفلاسفة والصوفية، ووضع منطق تجريبى جديد عند الفقهاء ونقد المنطق اليونانى. ويضع المترجم - تقليداً للمستشرقين الأربعة الذين نقل عنهم - تقابلاً عنصرياً حضارياً بين روح الحضارة الإسلامية وروح الحضارة اليونانية. الأول فناء الذات فى الكل وإنكارها، والثانى إثبات الذات واستقلالها بالرغم من وجود التصوف ومحمد إقبال وحال البقاء. الأول نافٍ للفلسفة اليونانية والفن اليونانى وعدم إبداع فن إسلامى، والثانى مثبت للفن مبدع له بالرغم من وجود الفنون الإسلامية فى العمارة والزخرفة «الأرابيسك» ووجود ابن رشد الشارح الأعظم للفلسفة اليونانية، حتى أصبحت الفلسفة والوحى سواء. الأول يتصور المكان خلاء غامضاً، فالهندسة زندقة، والثانى يتصور المكان جسماً

وبالتالى نشأت فنون العمارة والنحت، بالرغم من وجود فن العمارة الإسلامى. الأول لا يالف العدد والثانى يالفه بالرغم من إبداع العرب فى فن الحساب. الأول يتصور الفلك الزمان، والثانى المكان، ولا أفضلية لتصور على آخر إن لم يكن للزمان فضل فى معرفة الأوقات. الأول يعتبر المنطق لغة، والثانى يعتبر المنطق تصوراً، مع أن منطق اللغة أحد فروع المنطق الحديث. الأول عملى، والثانى نظرى، مع أن المنطق للاستعمال أحد اتجاهات المنطق الحديث.

هذا التحليل كله يعود إلى التقابل بين العقلية السامية والعقلية الآرية، وهى التفرقة العنصرية التى سادت عند رينان وجوتيه فى القرن الماضى.

لم تكن الترجمة عن الاستشراق مجرد هدف علمى واحد بل كانت متعددة الأهداف: المساهمة فى الدراسات الإسلامية من الباحثين العرب، الرد على المستشرقين، إطلاع الغربيين على الصورة الحقيقية للتراث العربى من خلال المقدمات والتعليقات على النص المترجم، إعطاء العرب صورة عن أنفسهم تجلت فى تراث القدماء، الإعداد لوثبة جديدة فى النهضة العربية المستقبلية. ففى تصدير المترجم لكتاب فلهاوزن «أحزاب المعارضة السياسية الدينية فى صدر الإسلام، الخوارج والشيعة» يبين مميزات المنهج النقدى لروايات المؤرخين المسلمين مثل الطبرى، ومراجعة رواياته، كما يستحسن اعتداله فى تلمس المصادر اليهودية للفرق دون مبالغة جولدزيهر، وكذلك إنصافه لبنى أمية. ثم ينقد الكتاب بأنه سى العرض ويصعب استخلاص الخطوط العامة منه، كما لاحظ مستشرق آخر هو سوفاجيه، بصرف النظر عما إذا كان هذا النقد من المترجم أم من المستشرق. والموضوع نفسه مختار بعناية فى ثقافة تتجه ببينيتها نحو السلطان. وربما كان الدافع لترجمة ثقافة المعارضة هو إحساس لاشعورى عند المترجم بانتمائه إليها نفسياً وإن لم يكن سياسياً. وأحياناً يبدو أثر الاستشراق الغربى عند المترجم فى لغته التى صدر بها الترجمة مثل الكلمة والكتاب المقدس. ولكن يظل الهدف المعلن عنه للترجمة هو إعطاء نموذج لترجمة خالية من التعليقات المسهبة الزائفة السائدة عند المترجمين العرب.

بدعوى الرد على الاستشراق، أو مزايدة فى العلم عليهم تعريفاً بالأماكن والأعلام والحوادث التاريخية وهو حشوزائد لا طائل منه، وأن يعطى للعرب مصدراً ثميناً لمعرفة تاريخ العرب ودعوتهم للمشاركة فى كتاباته وهو ألصق بهم من غيرهم^(٩٠).

أما هدف ترجمة «ابن عربى، حياته ومذهبه» لأسين بلاثيوس فهو بيان فضله على الدراسات الإسلامية عن ابن عربى والغزالى وابن حزم وابن مسرة مع نقد المترجم آفة الأشباه والنظائر ومنهج التأثير والتأثر فى سرعة إطلاق الأحكام^(٩١).

وهناك هدف وسيط للترجمة عن المستشرقين بين العلم - نموذجاً أو تصحيحاً - والتاريخ وثبة جديدة للعرب، وهو الفكر الفلسفى. ذلك كان الهدف من ترجمة مجموعة من دراسات المستشرقين عن «الإنسان الكامل فى الإسلام»^(٩٢). وهو التقريب بين الله والإنسان، بيان إنسانية الله وألوهية الإنسان، لملء الهوة السحيقة بين الخالق والمخلوق، التى انبثقت من حضارة السحر، بتعبير اشبنجلر، ووضع الله والإنسان على طرفى نقيض، مع أن الله وصف نفسه فى القرآن بأنه ﴿أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾. الهدف هو تحرير الإنسان من أسر العبودية لأزلية خارجة عنه مكبله إياه، وإثبات وجوده الإنسانى، لا فرق فيه بين دنيا وأخرة، وإعادة إلى الإنسانية من نطاق اللاإنسانية الذى غرقت فيه، ومن أجل استنباط العبرة اليوم مما وصل إليه القدماء. وهى نفس الفكرة الشائعة عند الصوفية، مسلمين ومسيحيين، شرقيين وغربيين، الله حال فى النفس عند سقراط وأوغسطين دون تجسد فريد متفرد إلا رمزاً للإنسان الكامل. وكان يمكن للمترجم أن يصل إلى الفكرة بدراسته الخاصة للتراث الإسلامى وليس بالضرورة عبر المستشرقين^(٩٣).

وقد يكون الهدف من أحد المؤلفات، وهى لا تتجاوز خمسة، فى التراث القديم، غير معلن، ولكن يمكن قراءته بإرجاع العمل إلى حياة المؤلف. مثال ذلك «شهادة العشق الإلهى، رابعة العدوية». قد يكون الهدف شهرتها، والمؤلف ولوعٌ بالشهرة، وقد يكون قراءة النفس فى سيرة الآخر، والتحول من اللهو إلى الإيمان كما يعترف المؤلف بذلك فى إهدائه «الإنسانية والوجودية فى الفكر العربى» وإهدائه إلى الشيخ مصطفى عبد

الرازق الذى كان بداية تحول المؤلف كذلك من الإلحاد إلى الإيمان. وقد يكون حياً مكتوماً جسدياً وروحياً، دنيوياً ودينياً، إنسانياً وإلهياً. لصاحبة السيرة العطرة ويقتصر التصدير على وصف البصرة (فينيسيا العربية) ودراسة الشخصية على نحو نمطى مع إضافة نصوص وأخبار، منشورة وغير منشورة، مع التحقق من الروايات. وإضافة فهرس الكتب والأعلام^(٩٤).

ولم يكن الهدف - فقط - إبراز إيجابيات التصوف دفاعاً عن الروح العربية الإسلامية فى مواجهة الأسر اليونانى للفلسفة الإسلامية، من خلال الترجمة والتحقيق، بل - أيضاً - عن طريق التأليف، تأليف «تاريخ التصوف الإسلامى من البداية حتى نهاية القرن الثانى» كجزء أول فقط تتلوه دراسات أخرى، عن مراحلها. قرنين قرنين، حتى يمكن تغطية هذا الجانب الأصيل فى الحياة الروحية فى الإسلام^(٩٥). ولكن آفة كل علم إنسانى هى الانحراف به عن غايته وإساءة فهم مقاصده. كانت المرحلة الأولى إشراقة الفجر ونضارة تفتح براعم الروح، ورع وخلق عند الحسن البصرى، وإبراهيم بن أدهم، ومالك بن دينار، والفضل بن عياض، وأويس القرنى، ثم تحول - بعد ذلك - إلى تصوف نظرى عند ابن عربى، وابن الفارض، والصوفية المتأخرين.

وهو تطور حتمى من التجربة إلى الفكر، ومن الحياة إلى العقل. ثم انهيار فى الطرقية، آفة القانون الحرفية، وآفة العلم الطبيعى تطبيقاته فى أسلحة الدمار الشامل، وآفة التصوف المظهر واللباس وليس السلوك المطابق للحياة الروحية. الاعتناء بالظاهر والباطن خراب. والصوفية صفوة مختارة، نماذج سلوك، مثل وقودة، وليس للعامة مثل العلم والابتكار والشعر، أما السلوك الفاضل فلكل الناس. ويعبر المؤلف - مرة أخرى - عن إعجابه بالتصوف الذى يعبر أصدق تعبير عن الروح العربية. كما وجد فيه زكى نجيب محمود تعبيراً عن (الشرق الفنان) فى مقابل (الغرب العالم). وربما ارتبط به المؤلف لا شعورياً، نظراً لما يمثله التصوف من نزعة

رومانسية فردية نخبوية إرادية، كما هو الحال في مصر الفتاة، ولدى نيتشه. وفي التصدير العام مناقشة لمشاكله واشتقاق لفظه والمؤثرات الأجنبية فيه، كما هو الحال في الاستشراق، والكتاب - نفسه - لا جديد فيه^(٩٦).

ويحاول صاحب المشروع النهضوى تأصيل هاتين النزعتين: الإنسانية والوجودية في التراث العربى الإسلامى فى «الإنسانية والوجودية فى الفكر العربى». ويضعه ضمن «دراسات إسلامية» وهو أقرب إلى «مبتكرات» أو الربط بين الجبهتين الأولى والثانية. وربما ساعد على ذلك وجوده فى لبنان وإعطائه هذه المحاضرات كما فعل سارتر فى جنيف فى محاضرة «الوجودية فلسفة إنسانية»، أصبحت بياناً على الوجودية، قصد منها إحياء بعض العناصر الممتازة والخليقة بالبقاء فى تراثنا العربى، من أجل تمثل تجربة حية فى الماضى تساعد على تهيئة حاضر يجمع إمكانات التطور الروحى القومى، فيتصل الماضى بالحاضر فى وثبة خلاقة نحو المستقبل، دون تمجيد للماضى أو ازدراء له، بالرغم مما قد يوحى به هذا التحليل من نبرة روحية قومية أشبه بتحليلات (حزب البعث العربى الاشتراكى) للتراث العربى القومى، انتقالاً من السلب إلى الإيجاب^(٩٧) وهى مجرد صور أولية مازالت تعوزها الشجاعة والحرية والتمرد والخصب قبل الإيغال فى هذا الطريق دون الاكتراث بالمعارضة^(٩٨).

والنزعة الإنسانية فعل أصيل للإنسان لتحقيق إمكانياته من أجل تثبيت الأساس إلى سماء التوثب فى معراج اللانهاية استدعاء للصورة القرآنية «أصلها ثابت وفيها فى السماء»^(٩٩). ولما كان التصوف يواكب النزعة الإنسانية، والتصوف ينبع من أعماق الوجود الأصيل للروح الحضارية، وهى فى دور نشأتها وتكوينها. يمكن استعادة هذه التجربة الروحية لمساعدة الحضارة الناشئة حتى تلتقى مع الوجودية فى الحضارة الغربية المتداعية والحضارة العربية الناشئة، أو بين الحضارة اليونانية والحضارة الأوروبية^(١٠٠). والشعر هو التعبير العاطفى المناظر للتجربة

الصوفية فى الدور الأول للحضارة العربية، لذلك ازدهرت التجربتان معاً فأبدعتا
الشعر الوجودى^(١٠١). ثم يأتى الدين بعد التصوف، والشعر يعبر عن الروح الجديدة
ويعدل الروح القديمة يصل إلى حد النسخ المطلق^(١٠٢).

ويعتمد صاحب المشروع الفلسفى النهضوى على كارل هينرش بكر، فى حديثه
عن الحضارة العربية، فى حديثه عن النزعة الإنسانية فى الفكر العربى أيضاً.
اعتماداً على المستشرقين، حتى فى الإبداع الفكرى. ربما لم يوجد اللفظ «الإنسانية»
واكن وجد المعنى. فالإنسانية - كنزعة - موجودة فى كل حضارة لعل مختلفة، وربما
بأسماء مختلفة، الخصائص واحدة، الإنسان والعقل والطبيعة وتقدم العلم، أى مثل
التنوير. ويعتمد على «الإنسان الكامل» عند ابن عربى والجيلى والسهرودى، وفى
نفس الوقت على أثر الأفلاطونية المحدثه، فالنزعة الإنسانية موجودة فى تراثنا
القديم^(١٠٣). ولا يعنى تأصيل النزعة الوجودية فى التصوف الإسلامى القديم، أى
إنكار لدور كير كجارى وهيدجر وياسبرز. فلو لا معرفة هؤلاء الوجوديين الغربيين لما
أمكن اكتشاف الوجودية فى الفكر العربى. فالحاضر يكشف الماضى عن طريق
قراءته، وهو ما سماه برجسون (ترأى الحاضر فى الماضى). بذلك ترسخ الوجودية
فى الوعى العربى وتفتتح على الحضارة الغربية من أجل روح إنسانية واحدة تتجاوز
الموروث والوافد. حضارة (الأنا) وحضارة (الآخر)^(١٠٤).

ويتحدث عن المعنى الإنسانى فى رسالة النبى، كما يتحدث ميشيل عفلق عن النبى
العربى، فإذا كان محمد كل العرب فإن كل العرب محمد. والإسلام به كل شىء كما
يقول السلفيون المعاصرون، حرية الفكر والكرامة الإنسانية كما جسدها الرسول فى
الاحتفال بالمولد النبوى. فالفيلسوف مفكر مناسبات مثل الوعاظ^(١٠٥).

ويسمى فكرنا (العربى) وليس (الإسلامى) ربما لنزعة وطنية قومية أكثر منها
إسلامية. والحضارة العربية أوسع من الحضارة الإسلامية، تشمل إيران ودجلة
والفرات وبنى اسرائيل. كما هو الحال فى تحديد ميشيل عفلق للعروبة والمدنية

الإسلامية ما هي إلا طور من أطوار الحضارة العربية. وإذا كانت هذه الدراسة أقرب دراساته الإسلامية إلى الابتكار إلا أنها قراءة للغرب في التراث العربي. فالغرب هو المعيار والتراث العربي هو المعار. وتنتهي الدراسة المقارنة بصورة هرمس في الفكر العربي مع نصوص غير منشورة وهو خارج موضوع الكتاب إلا من كونه نقطة التقاء بين الحضارات اليونانية والمصرية والإسلامية^(١٠٦).

وبالرغم من أن «من تاريخ الإلحاد في الإسلام» لا يوضح في التصدير العام الهدف النهضوى منه، إلا أن العبارة الأخيرة فيه توضح ذلك، وهي حرية العقل الإسلامى فى العصور الأولى فهل يمكن أن تعود مرة أخرى^(١٠٧). والكتاب تأليف وترجمة فى آن واحد، بل تزيد الترجمة على التأليف كما^(١٠٨). ولا تذكر الترجمة فى الفهرس بل توضع على أنها تأليف^(١٠٩) بل إن التأليف هو مراجعة لكتابات المستشرقين، وتفكير على تفكير، وهو فى مطلع شبابه فى الثلاثينيات والأربعينيات عندما كان معظم أساتذته من المستشرقين. والجزء الكبير فى الكتاب هو دراسة بول كراوس عن ابن الراوندى^(١١٠). والمنهج المتبع هو المنهج التاريخى، دراسة الشخصيات والظروف الاجتماعية والسياسية التى عاشت فيها، وليس منهجاً فكرياً يدرس ظاهرة الزندقة من الناحية العقائدية أو النفسية الاجتماعية، كما أن وضع جابر بن حيان مع حركة الزندقة والزنادقة دفع للأمور إلى حدها الأقصى. ويعنى بحركة الإلحاد إنكار النبوة والأنبياء وليس نفى وجود الله، وهو ما يميز بين الإلحاد فى الحضارة الإسلامية عنه فى الحضارة الغربية، هو إلحاد معرفى باسم العقل، وليس إلحاداً أنطولوجياً باسم الوجود أو القيمة، والمقدمة عن الروح العربية، تقوم على مفهوم هنريش شيدر، وهى نوع من العنصرية الحضارية، وأحكام عامة تقوم على أسس أيديولوجية موجهة، فلا يمكن الحديث عن روح واحدة للحضارة العربية التى تجمع بين العقل والقلب، بين التأويل والتنزيل، وهو موضوع كان شائعاً وسط الحلقات الاستشراقية فى الجامعة المصرية، نظراً لوجود المستشرقين فى بيئة ثقافية

مغايرة. والعموميات تثير الذهن وتبعث على التفكير. والموضوع غريب على موضوع الكتاب، بل إنه مضاد له، نظراً لأن روح الحضارة العربية فى التصوف، فى حين أن الإلحاد يقوم على الفكر الحر. ولكنه ظل كتاباً جريئاً فى وقته، وأجراً منه أن يعاد طبعه هذه الأيام، فى موجة التكفير فى زمن التفكير.

والهدف من تأليف «مذاهب الإسلاميين» بجزأيه، الأول عن المعتزلة والأشاعرة، أى أهل السنة، والثانى عن الإسماعيلية والقرامطة والنصيرية والدروز، أى الشيعة، ليس فقط هدفاً علمياً، وهو ندرة المؤلفات فى الموضوع، بلغة سهلة، وضرورة الكتابة فيه بعد نشر نصوص المعتزلة وقراءتها طبقاً لمدرسة مصطفى عبد الرزاق، الاعتماد على النصوص والمواجهة بها، بل إعطاء نموذج على حرية الفكر فى أمور العقيدة وحق الاختلاف وعدم تكفير المخالفين فى رأى كما ابتدع الغزالى فى «الاقتصاد فى الاعتقاد» وإضافة جزء أخير فى كتب العقائد الأشعرية عن «فيما يجب تكفيره من الفرق» اعتماداً على الحديث الضعيف الذى يشكك فى صحته ابن حزم، حديث الفرقة الناجية، وبهذا التحرر الفكرى الذى مارسه القدماء - فى الفترة الإسلامية الأولى - على مدى سبعة قرون نستطيع - الآن - أن نمارسه من جديد^(١١١). ويرفض المؤلف أى دعوة للإقصاء والاستبعاد لأى فكر أو رأى أو مذهب، بدعوى أن مذهباً بعينه يمتلك الحقيقة كلها - وحده - على أنه المذهب الصحيح: كما حدث ذلك فى التاريخ. والتاريخ أيضاً شاهد على تعددية الآراء والمعتقدات والمذاهب، سواء فى الشكل أو فى المضمون^(١١٢) والكتاب ضخم بجزائية، يضم مادة معروفة سلفاً. وله تصدير صغير عن نشأة علم الكلام ودواعيه، وأسماء فرق المعتزلة، وعرض لأصولهم الخمسة، والحديث عن أعلامهم مثل أبى الهذيل، والنظام، والجبائى، والقاضى عبد الجبار، والأشعرية، والأشعرى، والباقلانى، وعبد القاهر البغدادى، والجوينى. وفى كل علم عرض جليل الكلام إلى الإلهيات، ودقيق الكلام إلى الطبيعيات.

ويتجلى المشروع الفلسفى النهضوى فى الهدف السياسى المباشر، الدفاع عن الحرية والديموقراطية ضد القهر والدكتاتورية. وقد كان هذا الباعث وراء انتحال بعض النصوص السياسية على لسان اليونان مثل كتابى «سر الأسرار» و«العهود اليونانية». قد يكون الباعث على انتحالها محاربة الدكتاتورية بعد أن اتجه النظام الإسلامى - فى مستهل الخلافة العباسية - إلى صورة الملكية المطلقة، بعد الصورة الأبوية التى كانت فى عهد الخلفاء الراشدين، والنظام البيزنطى الأموى وليس الساسانى الإيرانى الذى أصبح نموذج العباسيين، بعد أن شارك الفرس فى الثورة على الأمويين. وأحياناً يستلهم هذا المنحول الأدب السياسى الإيرانى من أنصار زرادشت ومانى ومزدك، أو من النصارى أنصار اليونان، فقد كان الانتحال عند الفريقين. وفى الكتابين أفكار عصرية، ولو قدر لها أن تسود عند حكام المسلمين لما انهارت دولة الإسلام حتى اليوم، ومن ثم فإن هذه الأفكار عن الحرية والديموقراطية قادرة على أن تحفز العرب والمصريين اليوم على إنشاء دولة الغد العربية الشامخة. والمؤلف يكتب ذلك بعد الثورة المصرية بعام أو عامين^(١١٣)، بالرغم من أن عروبة الثورة لم تكن قد ازدهرت بعد. وربما كان ذلك من أثر (مصر الفتاة) التى كانت تربط مصر بالأمة العربية والإسلامية. ومع ذلك يلاحظ المحقق أن الكتابين أقرب إلى نفسية الحكام، بالرغم من انتشار معانى الديمقراطية والحرية السياسية والمساواة والعدالة - التعويضية أو التوزيعية - قبل أفلاطون وأرسطو.

ويقال إنه أراد أن يختم حياته دفاعاً عن الإسلام ضد انتقادات المستشرقين للقرآن وللنبي، وهو الذى طالما أعجب بالمستشرقين دفاعاً عنهم وترجمة لهم. وبصرف النظر عن الدوافع العملية لهذا العمل الأخير، سواء كان بعداً عن الوطن والعيش فى باريس، والغربة تميل إلى التراث، والهجرة تدفع إلى التمسك بالروح والتراث الروحى للبلد لبعيد، أو الباعث الاقتصادى فى أكثر الدول التى تمول البحوث دفاعاً عن الإسلام ونشره فى مواجهة الغرب، وربما يقظة داخلية، وقد جاوز السبعين، دفاعاً عن الهوية واستعداداً للقاء فى اليوم الآخر. هذا التحول عن الإعجاب بالغرب،

والمستشرقين بوجه خاص، إلى الدفاع عن القرآن ضد منتقديه جعله - وهو فى نهاية المطاف - متكلماً جديداً وسط البيئة الغربية، التى عشقها فى مطلع الشباب، والتحول من نيتشة واشبنجلر وشوبنهاور إلى القرآن والنبي والإسلام، مثل رابعة العدوية وعمر الخيام وأوغسطين. ويعنى بالمستشرقين كل من تكلم ضد الإسلام ابتداء من آباء الكنيسة الأوائل حتى هذا القرن دفاعاً عن صورة الإسلام فى الغرب وتطهيراً لها من أهوائه وانفعالاته، ويحتوى على ثلاثة عشر مقالاً مراجعة نقدية لكتابات المستشرقين ترجم لهم فى البداية وأجل الرد عليهم فى النهاية^(١١٤).

أما كتابه الفرنسى الثانى «الدفاع عن حياة محمد ضد مهاجميه» فهو الحلقة الثانية من السلسلة الجديدة التى أسسها فى فرنسا بعنوان «إسلاميات» وهى تقابل «دراسات إسلامية» فى مرحلة الشباب والنضج. وهى - هذه المرة - موجهة للغربيين عامة، وللمستشرقين خاصة، كما كانت الأولى موجهة إلى المصريين والعرب عامة، وإلى الباحثين خاصة. ويبدأ التصدير بقانون عام «نادراً ما يسعد الناس بالحقائق، خاصة عندما تعارض مصالحهم». وهذا - بالضبط - ما حدث للمستشرقين منذ الدولة البيزنطية حتى الآن، عندما قاموا بتشويه حياة الرسول لأن الإسلام كان يهدد الدولة البيزنطية فى الشرق، كما استولى على ممتلكات الإمبراطورية فى الغرب، منذ يوحنا الدمشقى وتيودور أبو قررة وإلياس وعبد المسيح الكندى، حتى رهبان أوروبا منذ القرن الثانى عشر، حتى اليوم. وقد كانت دراساتهم عن الرسول محملة بالعداء والكذب بدعوى الموضوعية والعلم والبحث التاريخى المحايد والنزىة، كتبوا جميعاً عن «أسطورة محمد». واستمر فى هذا العداء الأب لمانس والسير موير تحقيقاً لأهدافهم الهجومية، وبارتهولد، بلاييف، بيرتلز ولولانهم الماركسى، والأب الدومينكانى ثيرى الذى أخذ الاسم المستعار حنا زكريا لغضبه وأهوائه. الغاية إذن من هذه الدراسة الثانية هى الكشف عن أخطائهم، وتفنيد افتراضاتهم المتسارعة، وتصحيح أحكامهم القائمة على وقائع خاطئة أو جزئية، حتى يأخذ القارئ غير المسلم عن الإسلام وشخصية الرسول صورة أكثر دقة وأكثر عدلاً^(١١٥) وتظهر موقف المؤلف المعادى للاشتراكية وإثبات التباعد بين الإسلام والاشتراكية.

سادسا: المشروع الفلسفى التاريخى (الآخر):

بدأ الفيلسوف الشامل تأملاته الفلسفية فى رسالتين: الماجستير - بالفرنسية - «مشكلة الموت فى الفلسفة الوجودية» التى أشرف عليها لالاند وكوايريه عام ١٩٤٧ وطبعت عام ١٩٦٤ ضمن منشورات كلية الآداب جامعة عين شمس وأجزها فى «الموت والعبقرية». فمن التصدير العام يبدو الفيلسوف وجودياً، يكتب بقشعريرة الفكر الذى يتجلى الموت أمامه على قمة العدم، فيضىء للذات السبيل للكشف عن الحياة المليئة النابعة من غير الوجود سالكة إلى سدرة المنتهى^(١١٦) فيجتمع التحليل الوجودى للبدن مع التصوف وعباراته القرآنية والصوفية، ويحاول الجمع بين ثقافتين: الغربية والعربية الإسلامية، دون وحدة فكر أو موضوع^(١١٧) فبقيت الموضوعات متناثرة تحت عنوان واحد، بالرغم من اختلاف النوع الأدبى بين الفلسفة والشعر واليوميات، ودون هومش أو مراجع. وتبرز أحياناً بعض التحليلات العنصرية مثل الفرق بين الروح السامية والروح الآرية، الأول منفصل والثانى متصل. الشعور بال شخصية فى الأول غامض، وفى الثانى قوى. إنما هى البداية بين الفلسفة والتصوف والعلم.

ويحاول التعريف بالفلسفة الوجودية فى «دراسات فى الفلسفة الوجودية» لإعطاء القارئ العربى فكرة واضحة عن الفلسفة التى أحاطت بها الشائعات، مع أنها فلسفة محددة تماماً، ويطلق عليها لفظ (مذهب) وهى ترفض المذهبية، تقوم على أن الإنسان يوجد نفسه بفعله، دون أن يستنبطه من ماهية مسبقة، وكما عبر عن ذلك سارتر بطريقة أفضل فى «الوجودية فلسفة إنسانية»^(١١٨) يصف سياقها التاريخى فى النصف الأول من القرن العشرين، وهى رد فعل على الفلسفات العقلية والوضعية فى العصور الحديثة كلها. ويعطى نماذج من فلسفات كير كجارد رائد الوجودية، وهيدجر زعيمها، وكارل ياسبرز وأورتيجا وأونامونو وألبير كامى والعارف الروسى برديائيف وسارتر. ثم ينتهى بخلاصة مذهب الوجودى من الزمان الوجودى، وهو نفس النص الذى فى موسوعة الفلاسفة الذى كتبه عن (الفيلسوف عبد الرحمن

بدوى).

ولما كانت الفلسفة التي اختارها هي الفلسفة الوجودية فقد ارتبطت بالأدب عامة والشعر خاصة. لذلك كتب في «الشعر الأوروبي المعاصر» أقرب إلى المقالات المتفرقة، وعرض دون نقد، طبقاً للإعلام، مع ترجمات وتقديم، وكأنه يكتب للموسوعات أو للمناسبات، تعتمد على النصوص أكثر مما تعتمد على الدراسة والتحليل، كتبها بروح المحقق دون مراجع أو هوامش مع علم غزير. تبدو رومانسيته في الاستهلال وتقابل الشعر والآلة، والقلق على مصير الإنسان. ينأى عن الحداثة والاتجاهات الحديثة في الشعر، التي لن يبقى منها الكثير، فهو أقرب إلى الشعر القديم منه إلى الشعر الحديث. فربما يكون الشعر الجديد مجرد هراء بالرغم من التزامه بالوزن والقافية^(١١٩).

كما ألف «الأدب الألماني في نصف قرن»^(١٢٠) مركزاً - فقط - على رلكه وليس على الأدب الألماني كله. ويغيب أى تصدير أو استهلال أو مقدمة لتوضيح الغاية من الترجمة، وصحبها في المشروع الفلسفى النهضوى ككل. وموضوع بعض أجزائها موجود سلفاً في الكتاب السابق. وكان يمكن التركيز على رلكه في مصر وأسبانيا وعلاقته الأخيرة مع السيدة المصرية^(١٢١).

ويعود إلى ينابيع الفكر الأدبى عند اليونان في رباعية مثل فصول السنة، الربيع والصيف والخريف والشتاء، الربيع ما قبل أفلاطون، والصيف أفلاطون وأرسطو، والخريف المدارس الأخلاقية بعد أرسطو، ويتضمن الشتاء نهاية الفلسفة اليونانية في الأفلاطونية المحدثة. كما استعمل أحمد أمين أيضاً صورة الفجر والضحى والظهر لتاريخه الإسلامى.

ليس المقصود مجرد تاريخ الفلسفة اليونانية بل إعادة قراءته من منظور الفلسفة الأوربية الحديثة خاصة اشبنجلر، روح الحضارة، وقراءة العقل اليونانى، بمعنى الروح الهيجلى، بأسلوب إنشائى يصف اكتشاف الإنسان لذاته وبزوغ الضمير الإنسانى عند اليونان وكأن لا شىء قبل اليونان، مصر والشرق^(١٢٢). كما يغيب في

وصف تاريخ الفلسفة العام كل التراث الإسلامى، يبدأ من اليونان وينتهى إلى الغرب الحديث وهو الدّراس الإسلامى والمحقق والمترجم للمستشرقين. ولا توجد مقارنة بين الروح اليونانية والروح الإسلامية، أو بالمقارنة مع الروح الغربية، باستثناء مقارنة بين المصريين الذين يأخذون النتائج واليونانيين الذين يضعون المقدمات. والهدف أيضاً الحضارة العربية، هذه الروح الجديدة حتى تعود الإنسانية إلى عرشها من جديد، بعيداً عن الآلة التى اختنق فيها الإنسان، بفضل هذا الجيل الوثاب الذى يستعيد - عاجلاً أو آجلاً - هذه القيم الإنسانية العليا^(١٢٣).

وتستمر الروح اليونانية وتتطور من الربيع إلى الصيف، أفلاطون وأرسطو. فأفلاطون هو عالم العقل والمثل والروح. هو الحى، الملهم الأكبر لأبناء هذا الجيل، مادة ساذجة تقدم الروح والمثال لهم، تجربة روحية خصبة بعيداً عن متحف التاريخ، فى ثالث متوالد، سقراط وأفلاطون وأرسطو، سقراط الأب وأرسطو الابن وأفلاطون الروح القدس، واعتماداً على الدراسات الفيلولوجية الحديثة، فاللغة تعبير عن الحياة عند اشبنجر ونيتشه، ومنزل الوجود عن هيدجر. ويبدو الأمر وكأن أفلاطون شيخ طريقة وأن أبناء هذا الجيل هم المريدون، نحو غاية روحية سامية^(١٢٤). ويصف المؤرخ الفلسفى مذهب أرسطو على نحو إنشائى بأنه هو الذى أنزل الفلسفة من السماء إلى الأرض، تأمل فى الكون واتصل بالعقل الفعال. وهو مذهب لا يثير الحب ولا الأوهام ولا الحالمين النبلاء ولا الشباب. ولكنه أثر بروحه العلمية. يقدم هذا المارد الفكرى صورة تحليلية دقيقة بمنهج تاريخى يدرك التوتر الحاد والتناقض الخصب حتى تتجدد نفوسنا اليوم بما عانىناه سلفاً من تجربة حية قد تكون أعظم ما عانتها الإنسانية حتى الآن. فكما كان أرسطو لنا فى الماضى يمكن أن يكون لنا فى الحاضر، عاملاً لوثبة حيوية جديدة فى التاريخ^(١٢٥).

وفى «خريف الفكر اليونانى» يودع المؤلف هذه الروح الإلهية الخالدة، والمعجزة الإنسانية الكبرى، والرمز الأعلى للنبل والحق والجمال، بعد أن حقق الصورة العليا للإنسانية، وتجسدت فيه كل القيم الأزلية، وهدت الإنسان سواء السبيل. وعلى

الأجيال القادمة عبادته واستلهامه من أجل تجديده وإعادته اليوم كما كان سلفاً فى زروته فى دورة تاريخية جديدة، وربما فى سنة جديدة لها فصولها الأربعة. وربما بدأنا فى فجر النهضة العربية فى القرن الماضى ربيعها ونحن فى طريقنا إلى صيفها قبل أن يحل علينا خريفها وشتاؤها^(١٢٦).

وتستأنف الروح مسارها من اليونان إلى العصور الوسطى، وهى عصور على غير ما هو شائع عنها أنها عصور ظلام، ينبج منها فجر العلم الحديث بفضل مفكرين أحرار خلصوا الإنسانية من العبودية الفكرية إلى طريق الحرية، فالفيلسوف المؤرخ يتبع مسار الروح فى التاريخ، باعتباره مسار الحرية، فالتاريخ - كما يقول كروتشه معبراً عن الهيجلية الجديدة - هو قصة الحرية^(١٢٧).

وبعد هذا الحماس الرومانسى لكتابة تاريخ أصول الغرب عند اليونان، والإعلانات المدوية عن ضرورة التجديد وإعادة بعث الروح، فإن العالم المدقق يتوارى أمام فيلسوف التاريخ. إذ يخلو «ربيع الفكر اليونانى» من الهوامش، لأنها فى صلب الصفحة، لا فرق بين العلم والمعلومات، وتضطرب قسمة الكتابة لأنه دون فصول أو أبواب. ويكرر مادة تاريخية معروفة وتكون أشبه بالكتب المدرسية أو الجامعية المقررة^(١٢٨).

ويتبع «أفلاطون» نفس التقسيم التاريخى والموضوعى المدرسى^(١٢٩) ويتحول «خريف الفكر اليونانى» - بعد الإعلان الصاخب عن ضرورة استلهاه الروح اليونانى- إلى مؤلف مدرسى عن الرواقية والأبيقورية والشكك، وفى الشتاء عن فيلون والأفلاطونية المحدثة، مع بعض الجدة فى المصطلح الفلسفى فى العصر اليونانى وتاريخه فى الدور الأول^(١٣٠). وبعد الإعلان المدوى فى تصدير «فلسفة العصور الوسطى» عن انبلاج نور جديد يمثل فجر الفكر والعلم الحديث، على غير ما هو شائع عنها من عصور الظلام يتحول الكتاب إلى تاريخ مدرسى، وتتبع عصوره المختلفة ومدارسه المتتالية اعتماداً على جيلسون وجرايمان والديس دف، وأخذ المادة العلمية منها والاعتراف بذلك، دون حرج، حتى فى تصنيف مدارسها الأفلاطونية فى

عصر الآباء، ثم الأرسطية فى العصر المدرسى^(١٣١) دون إشارة إلى أثر الفلسفة الإسلامية إلا فى الرشذية اللاتينية، ثم إكماله فى «دور العرب فى تكوين الفكر الأوروبى».

ثم أتى «دور العرب فى تكوين الفكر الأوروبى» بلا استهلال، إلا استهلالاً بعيداً عن اهتمام المسيحيين بالعلم العربى، يوضح هدفه والغاية منه، وهل هو أقرب إلى الجبهة الأولى، تراث الأنا، أم الجبهة الثانية، تراث الآخر، أم للربط بين الجبهتين بطريقة منهج الأثر والتأثر، أثر الأنا فى الآخر فى مقابل أثر الآخر فى الأنا، سواء اليونان القديم أم الغرب الحديث، بالرغم من حدود منهج التأثير، والتأثر حتى ولو كان استشرافاً معكوساً. يبدو الهدف أحياناً رومانسية الأنا وثقتها بالنفس وأثرها فى التاريخ على الآخر، فيما يسمى بالعصور الوسطى لمسار الآخر، وبالعصر الذهبى لمسار الأنا، وتتجلى رومانسية الأنا فى استدعاء محاصرة الأتراك لفيينا عام ١٥٢٦ ثم عام ١٦٨٣ دون رومانسية الآخر الذى ذهب إلى العالم الجديد فى نفس الفترة التاريخية عام ١٤٩٢. وتتجلى الرومانسية فى أثر العرب فى الشعر الألمانى، وكأن الرومانسية الألمانية فى الفلسفة والشعر - التى جعلها الفيلسوف المؤرخ ذروة الوعى الأوروبى - عود إلى العرب عن طريق الغرب. وكذلك الأثر فى القصص، وهو أكبر الأجزاء. وللعرب معنى واسع يشمل الفرس والهند، مما يتطلب تغيير اللفظ إلى آخر أعم وأشمل مثل الإسلام أو الشرق، كما يفعل الرومانسيون الألمان أنفسهم. وكان لكتابين - بوجه خاص - أثر كبير على أوربا فى العصر الوسيط هما «فصل المقال» لابن رشد و«مشكاة الأنوار» للغزالى، مجرد رصد وعرض للكتابين دون بيان الأثر الفعلى، بل العودة إلى الاستشراق التقليدى وبيان أثر الأفلاطونية المحدثة فى مشكاة الأنوار، بالرغم من أنه يعبر عن تجربة صوفية أصيلة من الداخل، وليس أثراً من الخارج. كما يبين أثر العرب فى تكوين الشعر والموسيقى والمعمار الأوروبى، وفى الفكر العلمى والمعارف العلمية والتصوف والفلسفة مع تطبيق على المصادر الإسلامية للكوميديا الإلهية، والحديث عن ابن خلدون ونظرية العمل والقيمة خارج الموضوع إنما

يثبت قدرة العقل العربى على الإبداع التى تبرز أيضاً من تحليل عبارته «من غير تعاليم أرسطو ولا إفادة موبنران، دون اليونان أو الفرس، ودون مقارنة مع ماركس. إنما يعطى الإحساس بعظمة الأنا فى طورها القديم لعلها تثق بنفسها فى دورها الجديد»^(١٣٢) ثم يدخل موضوعاً معكوساً لبيان دور القارئ فى المقروء والذات فى الموضوع وهو دور العرب فى تكوين التراث اليونانى، فى الحفظ والإضافة وإعادة التوازن وهو ما يسمى بالانتحال.

وبدل ذلك كله على انفتاح العقل العربى على التراث اليونانى والإيرانى والهندي حتى ننتفتح نحن على التراث الغربى المعاصر كى نستعيد المكانة الأولى^(١٣٣). ومع ذلك فالكتاب مجموعة مؤلفة من مقالات سابقة ودراسات قصيرة متعددة ألف بينها عنوان مصطنع، غايته ملء المقرر الجامعى تحت هذا الاسم على أقل تقدير، أو رفع الروح المعنوية أثناء حركة التحرر الوطنى، كما هو سائد فى أدبيات العزة الحضارية والفخر بالماضى والسلفية الحضارية على أكثر تقدير. يضم حدوداً قصيرة المدى لمعلومات عامة دون تدقيق أو تحليل لمنطق التأثير والتأثر. سرعة تأليفه تدل على أنه مدرسى، مجموعة مقالات متناثرة بعضها خارج الموضوع مثل كل ما يتعلق بالعرب والتراث اليونانى تأثيراً وتأثراً، ابن خلدون وأرسطو، معرفة الكندى باليونانية، دوره فى الترجمة، المصادر اليونانية للغزالي، دور موفق الدين البغدادي فى إحياء التراث اليونانى، هو أسوأ الكتب تأليفاً، وهو تأليف على المؤلفات السابقة وتكرار مقدمتها، وعلى دراسات المستشرقين الذين لهم سبق فى هذا الميدان لمجرد تضخيم الكتاب لغاية التدريس. وهو أقرب إلى الثقافة العامة منه إلى الدراسات المتخصصة. والسؤال هو: إذا كان كذلك صحيحاً، دور العرب فى تكوين الفكر الأوروبى، فلماذا هذا الانبهار الشديد بالغرب والتحامل الشديد على الشرق، إعطاء الآخر أكثر مما يستحق وإعطاء الأنا أقل مما يستحق؟ وبمجرد انتهاء سلسلة الينايبع عن مصادر الوعى الأوروبى تبدأ «سلسلة الفلاسفة» من «خلاصة الفكر الأوروبى» عن نشأة الوعى الأوروبى وتطوره ابتداء من النهاية إلى البداية من اشنبجلر ارتداداً إلى

نيتشه، إلى شوبنهاور، إلى شيلنج، إلى كانط، ولكن البداية التاريخية كانت «نيتشه» وهو أول كتاب ألف بعد عامين من تعيينه معيداً بالجامعة عام ١٩٣٩ وهو مازال في سن الثانية والعشرين، والذي يعبر عن فلسفته ومزاجه وشخصيته واختياراته حتى ولو كان على لسان الآخرين قبل الماچستير «مشكلة الموت» في ١٩٤١، والدكتوراه «الزمان الوجودي» في ١٩٤٣، وتمت مناقشتها عام ١٩٤٤. وهو وقت اندلاع الحرب العالمية الثانية ونهوض ألمانيا متحدة العالم. فإذا كانت الحرب العالمية الأولى قد هيأت لمصر ثورتها السياسية عام ١٩١٩ فإن هذه الحرب الثانية قد تدفعها إلى ثورتها الروحية. ولم يتحقق حلم الحالم فقد تحققت ثورة اجتماعية في ١٩٥٢ بعد سبع سنوات من نهاية الحرب كما اندلعت ثورة ١٩١٩ بعد عام واحد من نهاية الحرب الأولى. ومع ذلك يحلم الحالم بثورة روحية، الوطن في حاجة إليها، ثورة على قيمه وأوضاعه، استبدال بقيمه الثابتة القديمة قيماً متحركة وثابتة جديدة كلها قوة وحياة، وتعبير عن ضمير صادق طموح نحو العلو والسمو، وشعور حي نابض مبدع فما يقدره الآباء لا يقدره الأبناء. فساد الشك في القديم عند أبناء هذا الجيل لم يصل إلى حد التذبذب والقنوط^(١٣٤).

بل إن الأمر يقتضى تغيير النظرة كلها إلى الحياة والكون والوجود بدلاً عن النظرة القديمة وعوضاً عنها، تكون متفقة مع العصر محققة لمقتضياته مستجيبة لمطالبه، تحل متناقضاته وتحل مشكلاته، بعيداً عن الحلول الساذجة أو الوهمية التي تلغى المشاكل ولا تواجهها أو الحلول القديمة التي أدت إلى ضياع الأمة وفنائها. القصد - إذن - من مشروع «خلاصة الفكر الأوروبي» هو عرض العقل الأوروبي وهو يناضل من أجل تكوين نظرة جديدة في الحياة وفي الوجود لخلق إنسانية جديدة ممتازة وحضارة متفوقة، وكيف يخلق ويبدع ويغير صور الوجود، فيتغير معها سواء في مرحلة الينايبع، أى مصادر الوعي الأوروبي، أو في مرحلة التكوين، بداية وتطوراً ونهاية، مما جعل الوعي الأوروبي تياراً متدفقاً ومستمراً ومبدعاً للحياة^(١٣٥). ولا يعنى ذلك استبدال تقليد بتقليد، وسيد بسيد، بل دراسة تجارب الآخر والتأمل

فيها وكيف تم الخروج من القديم إلى الجديد، ومن الماضي إلى المستقبل، ومن التقليد إلى التجديد، ومن النقل إلى الإبداع. لذلك تم اختيار نماذج ممثلة لهذا الفكر الأوروبي تبين تطور الفكر الإنساني، مفكرين وفلاسفة وشعراء فلاسفة، أقدرهم على التفكير وأقربهم إلى روح العصر، وأكثرهم أثراً فيه، وأشدّهم عناية بالإنسانية، وأخصبهم في وضع المشكلات واقتراح الحلول، وأجرؤهم على حرية الفكر ونبذ القديم واقتراح الجديد، بين البداية والنهاية، بين الإعلان والتحقيق، بين الحياة والموت، فمسار الوعي الأوروبي ليس مطرد النمو والارتقاء. فيه أيضاً مد وجزر صعود وهبوط، نهضة وانهار. وأول نموذج لهذا الفكر هو نيتشه، فيه القوة والعنف والتناقض والاضطراب. وفي نفس الوقت خصب وحياة قد تثير في النفس قلقاً أو شكاً يكون عاملاً إيجابياً لليقظة من الوهم بفضل الفكر الحر والنظر إلى الأشياء والتأمل في العالم.

واضح أن مقدمة «نيتشه» تضع ملامح المشروع كله، الخروج من التخلف إلى التقدم ومن السقوط إلى الارتفاع ومن الانهيار إلى النهضة^(١٣٦)، في خط متقابل مع مسار الوعي الأوروبي من النهضة إلى الانهيار، ومن الارتفاع إلى السقوط، وهو نموذج نيتشه أو برجسون للانتقال بالأمة من القديم إلى الجديد. وهو ما استمر في مشروع «التراث والتجديد» في جبهته الأولى لإعادة بناء العلوم القديمة، من العقيدة إلى الثورة، ومن النقل إلى الإبداع، ومن الفناء إلى البقاء، ومن النص إلى الواقع، ومن النقل إلى العقل. وهو أهم تصدير عام يضع ملامح المشروع كله. ونظراً لأن صاحبه كان ابن الاثنين وعشرين ربيعاً فقد غلب عليه الإنشاء والخطابة والمآينبيات والتكرار والإسهاب، وكأنه داعية من الحداثيين لا يختلف عن داعية السلفيين إلا في الاتجاه، إلى المستقبل أو إلى الماضي. وبه نفس القطعية وأحادية الطرف في الحديث عن الإنسانية الحقيقية، والنظر الصحيح. وبعد جوالى ستين عاماً انتهى هذا المشروع إلى الخلط بين الموضوع والمنهج، بين المادة والصورة، بين المشكلة والحل، فحدث التقليد للغرب واتخاذ نمطاً للتحديث عند التيارات الرئيسية الثلاثة في الفكر العربي المعاصر: الإصلاح الديني الذي يبدأ من الدين، والتيار الليبرالي الذي يبدأ

من الدولة، والتيار العلمى العلمانى الذى يبدأ من الطبيعة.

وانتهى الأمر إلى تقليد الغرب، ونقل المشكلة والحل معاً، مع أن المشاكل قد تكون خاصة بكل حضارة وكذلك الحلول. فليس بالضرورة هدم المقدس هو حل لمشكلة المقدس الدينى كما تم فى بداية العصور الحديثة فى الغرب، بل يمكن إعادة قراءته وتأويله بحيث يصب فى الحياة، لأنه نابع منها ويعود إلى الواقع لأنه إجابة على أسئلته. لقد انتهى الأمر إلى أخذ الإشكال والحل، المادة والصورة، الموضوع والمنهج، البدن والروح، دون اعتبار الغرب مجرد تجربة للتأمل فى خصوصيتها. فتم تعميم التجربة الغربية وأصبحت نموذجاً ومثالاً على غير مثال سابق بدعى الثقافة العالمية والكونية، والعولمة تغطية شرعية جديدة للهيمنة السياسية والاقتصادية القديمة، وبحجة ثورة المعلومات وحرية السوق. ومن الطبيعى أن ينتهى تبني الفكر فى الموضوع إلى تبني المنهج، فكل حضارة مادية تحمل قيمها معها. فلا توجد حضارة أو علم خالياً من القيمة. ومن هنا نشأت ضرورة وضع «علم الاستغراب، للقضاء على ظاهرة التغريب فى ثقافتنا المعاصرة، وتحويل الغرب من كونه مصدراً للعلم كى يصبح موضوعاً للعلم.

لقد ظن البعض أن كل هذا الحديث الحيوى الوثاب هو حديث عن ألمانيا وليس عن مصر، نظراً لأن المذكور هو الوطن. ولكنها لغة القومية الألمانية التى استمرت عند المثاليين الألمان حتى اشبنجر وهيدجر، والتى أدت إلى الحرب العالمية الثانية. والفيلسوف المؤرخ يتحدث بضمير المتكلم الجمع متوحداً مع الأمة ومتحدثاً بلسانها. ومع ذلك أتى الكتاب أقرب إلى النفحة البدوية منه إلى نيتشه التاريخ، وقراءة للأنا من خلال الآخر وللآخر من خلال الأنا كما فعل الطهطاوى مع فلسفة التنوير. لذلك جاءت أقسام الكتاب الداخلية وعناوينه فضفاضة شاعرية ثنائية الطابع، تعبر عن هذا الصراع بين القديم والجديد، مع مقتبسات دالة فى أول كل قسم كشعارات له^(١٣٧).

ويظل السؤال: وماذا بعد هذه النفحة الأولى من ابن الثانية والعشرين وهو الآن ابن الثمانين؟ هل انتقل من الفيلسوف إلى مؤرخ الفلسفة لهجرته من البلاد، وإيثاره العلم على الوطن، فأصبح العلم بلا وطن، والوطن بلا علم.

وينتقل الفيلسوف المؤرخ منذ «نيتشه» إلى «اشبنجلر»، من الغزو إلى الحضارة، في نفس عام حصوله على الماجستير عام ١٩٤١ وهو ابن الأربعة عشرين ربيعاً من أجل استخلاص الدرس منه، حتى ولو كان قاسياً على دعاة الانحلال دون تحديد هويتهم في الغرب أم في الشرق، كما لم يحدد من قبل هوية دعاة القديم عندنا، هل هم أنصار التقليد بوجه عام، أم الإخوان المسلمون، مع أنهم كانوا يلتقون مع مصر الفتاة في الإسلام الوطني في شخصية حسن البنا وفتحى رضوان. الهدف هو التخلص من وهمين: الأول: الماضى العريق والتقاليد والعودة إلى الماضى البعيد، إلى حضارة المتاحف، فلا قديم بلا جديد، والثانى: التقدم المطرد نحو غاية واحدة: المستقبل. وكلاهما وهم لا فرق بينُ بينهما، فالماضى مستقبل فات، والمستقبل ماضى أت. والدرس هو أنه لا إنسانية، بل مجموعة من الحيوانات المفترسة بلا تأثر ولا تقاليد، بل طفرة وخلق، انقسام وعزلة، ودورات مغلقة ووجود حى. ليس للتاريخ موضوع إلا الانتصار والفعل. ففي البدء كان الفعل وليس الكلمة. إلى هذا الحد يبلغ الجمع بين نيتشه واشبنجلر، وكأنه يكتب لنفسه إرضاء لذاته بصرف النظر عن الجمهور^(١٣٨) ويوظف الفيلسوف المؤرخ فكرة انهيار الغرب عند اشبنجلر من اجل اعلان نهاية الآخر وبداية نهضة الأنا. ويخاطب القارئ وكأنه نداء للأمة أو بيان للناس^(١٣٩). وقد استمر هذا الإحساس لدى ابن الثمانين لم يتغير، إحساس بنهاية الغرب وبداية الشرق، لذلك قدم «اشبنجلر»، وترجم اشفيتسر في «فلسفة الحضارة» والتي تتعنى نهاية حضارة الغرب، دون التطرق إلى باقى الشواهد عند هوسرل وماكس شيلر وبرجسون وتوينبى وغيرهم.

وكاد هذا الحماس لاشبنجلر، كالحماس لنيتشه، ينسى الفيلسوف المؤرخ أصول الصنعة. فما يهمه هو المضمون وليس الشكل، الفكرة وليس المصدر أو المرجع، الاتجاه وليس الإحالات والهوامش. لذلك غابت عن الكتاب الهوامش أو أسماء الأعلام وفهارس الأماكن التى تعود عليها فى تحقیقاته ومؤلّقاته فى الجبهة الأولى، بل وغاب

فهرس الموضوعات، فلا تهم بنية الموضوع بل الأفكار السيالة والروح المتدفقة. فهو يتحدث عن نفسه بلسان الآخر، ومن ثم فهو يعبر ولا يدرس، يدعو ولا يحلل، مثل فشته وإقبال والأفغانى. كما تغيب المصادر والمراجع الأجنبية والعربية. بل إن الأسلوب أقرب إلى الإنشائيات العامة منه إلى التعريب أو العبارة الشارحة، العبارة الوسط بين الترجمة والتأليف، ودون فصول وأبواب كما يفعل أبناء البشر^(١٤٠). وقد تأثر معظم جيلنا بنيته واشبنجلر خاصة (التشكل الكاذب) من خلال المؤرخ الفيلسوف.

ويأتى «شوينهور» بعد «اشنبجلر» أيضاً بعد عام واحد (عام ١٩٤٢) وقبل الحصول على الدكتوراة فى ١٩٤٣ مع تصدير عام وإهداء حماسى إلى من أرفقهم القلق والشر فى أصل الكون وينشرون الخلاص من تعاسة الألم. والخلاص بالفن. ولا خلاص فى الحياة إلا الخلاص من الحياة. وهو اختيار فردى يختاره الفيلسوف المؤرخ كى يحيا الوجود روحياً بعمق^(١٤١) ولا يخرج الكتاب عن العرض المبسط لكتاب شوينهور الرئيسى «العالم إرادة وامتثال» فى قسمين دون أبواب وفصول. الأول العالم امتثال وفيه الخلاص بالفن. والثانى العالم إرادة، إرادة الحياة فى الوجود كخطيئة، ودون مصادر أو مراجع أو هوامش أو إحالات، بل مجرد عبارات شارحة انطباعية، عين على العبارة الأجنبية فتخرج من العين الأخرى عبارة عربية، ضد الزمان والمطلق والعقلية، ولكن الجديد هو تقريب شوينهور عن طريق أبى العلاء المعرى والخيام، كما فعل القدماء فى تلخيصاتهم عن اليونان واستبدال الأمثلة العربية بالأمثلة اليونانية من أجل تبليغ رسالة التشاؤم للقارئ العربى من الداخل. وليس فقط من الخارج^(١٤٢).

ثم ينشغل الفيلسوف المؤرخ فى الجبهة الأولى تأليفاً وتحقيقاً وترجمة وإعداداً. ويعود إلى الجبهة الثانية بعد أكثر من عشرين عاماً لاستئناف خلاصة الفكر الأوروبى رجوعاً إلى الوراء، ابتداء من شلينج إلى هيجل إلى كانط. وكانت النية كتابة

المثالية الألمانية فى ثلاثة أجزاء: فشته، وهيجل، وشلنج، فأصبح فشته وهيجل فصلين تمهيديين لكتاب شلنج. وكان الدافع إليه هو رد الفعل على عصر طغيان الاقتصاد على الفكر، والإنسان الاقتصادي على الإنسان العاقل، والقيم المادية على القيم العقلية، والكم على الكيف، والبطون على القلوب. لذلك يقدم رواد المثالية الألمانية فشته وهيجل وشلنج كصفوة من كبار مفكرى الإنسانية والمثالية الألمانية^(١٤٣).

ثم يتحول الكتاب إلى عرض مبسط للرواد الثلاثة، بداية بحياته ثم فلسفته، وأقرب إلى العرض منه إلى التحليل^(١٤٤). ولا توجد خاتمة. وتذكر المصادر والمراجع باللغة الألمانية مع أن المؤلف قرأها بالفرنسية. وعادة ما تخلو من المراجع الإنجليزية.

وبعد ذلك بربع قرن يصدر ثلاثية هيجل «حياة هيجل» ١٩٨٠ ثم بعدها بخمسة عشر عاماً «فلسفة القانون والسياسة عند هيجل»، «فلسفة الجمال والفن» ١٩٩٦. وتأتى «حياة هيجل» دون تصدير عام، كما جرت العادة ودون تحديد للهدف. وغلب عليه تاريخ الفلسفة المدرسى والكتاب الجامعى المقرر، وهو تكرار للفصل الثانى فى كتاب «شلنج». وتخلو من الهوامش والإحالات وتغيب دلالة المادة كما تغيب المقارنات مع مسار الفكر الأوروبى، من أجل بيان وحدة المشروع وتحقيقه على مراحل. قد يكون السبب فى ذلك غياب الأستاذ عن الوطن فجاء العلم بلا وطن، وأصبح الوطن يتساءل عن العالم أين هو، ولو لتكريمه والاعتراف بفضله، فالوطن لا ينكر الجميل وإن أنكره المواطن^(١٤٥).

وجاءت «فلسفة القانون والسياسة عند هيجل» على نفس المنوال، دون استهلال أو تصدير أو مدخل يضعه فى صلب المشروع، باستثناء تنبيه واحد لمعنى بريطانيا العظمى عند القارئ العربى^(١٤٦). ولا توجد محاولة للتعريب إلا فى الفصل الأول عن المصطلحات العربية لألفاظ الحق والقانون والواجب ومترادفاتها فى اللغات الأجنبية. ولا توجد مقارنات مع أى فلسفة عربية قديمة أو حديثة. ويتتبع نفس القسمة الثلاثية لفلسفة الحق: القانون المجرد (الملكية والعقد والظلم) والأخلاق النظرية

(القصد، أو المسؤولية، النية أو السعادة، الخير أو الضمير) والحياة الأخلاقية (الأسرة والمجتمع المدني والدولة)، والعبارة الشارحة أكثر من الترجمة وأقل من الإبداع. وتخلو أيضاً من الهوامش والإحالات باستثناء الإحالات إلى كتبه^(١٤٧).

وفى الثالث «فلسفة الجمال والفن عند هيجل» يغيب التصدير العام أو الاستهلال الذى يضعه كحلقة فى إطار المشروع كله ودون فصول تمهيدية توضح نشأة الكتاب فى حياة المؤلف، باستثناء هامش واحد عن الفرق بين خصائص الشعر الأوروبى والشعر العربى. وهناك تصدير عام به معلومات عن الموضوع وليس الإطار العام للمشروع. بل يتضمن التصدير العام معلومات عن باو مجارتن مؤسس علم الجمال وفنكلمان وأفلاطون وأرسطو وكانط وشلنج ونيجل، وأهمية نص هيجل عن علم الجمال وأثره. ولا توجد إحالات إلى حضارات أخرى^(١٤٨) ويقتصر الأمر على مجرد عرض على طريق العبارة الشارحة، ويبرر المؤلف استعمال هذا المنهج - وهو العبارة الشارحة - بأنه لاستيعاب النص تبعاً لمدرسة مصطفى عبد الرزاق، ونظراً لسهولة، نظراً لأنه محاضرات تتحدث عن أمور حسية عينية، وتميل إلى كثير من الشواهد والقرائن، وهى الأعمال الفنية، وتغيب الهوامش والإحالات والمراجع، باستثناء التصدير العام الذى يذكر بعض المراجع الألمانية والفرنسية فى آخره وليس فى آخر الكتاب وبعض الهوامش. وتتضمن التعريف ببعض المصطلحات مثل Sareccens وتشير إلى المسلمين فى البلاد العربية السعيدة، خاصة اليمن، وبعض التعريفات للألفاظ وبعض الإحالات معظمها إلى ترجمات الفيلسوف المؤرخ السابقة خاصة فى الأدب الألمانى^(١٤٩). وتنتهى ثلاثية هيجل دون التعرض لمؤلفات الشباب، التى منها نشأ المذهب، أو لظارهيّات الروح، أو لعلم المنطق، أو الموسوعة الفلسفية، أو فلسفة التاريخ، أو فلسفة الدين، أو حتى لأثره على العالم العربى، أو ترجماته السابقة إلى العربية.

وبعد ثلاثية هيجل تأتي رباعية كانط عوداً من اللاحق الى السابق، فى مسار ارتدادى نحو المنابع والأصول. الأول منها «امانويل كانط» وهو يعادل «حياة هيجل» ولكنه هذه المرة يشمل حياته ومؤلفاته بالإضافة إلى فلسفته. وبدلاً من التصدير يأتى تنبيه يحدد إطار هذه الرباعية الجديدة، وهو إطار تاريخى خالص يتحول فيه الفيلسوف المؤرخ إلى مؤرخ للفلسفة، بعيداً عن المشروع الفلسفى النهضوى الذى بدا فى تصديراته السابقة للجبهتين الأولى والثانية. فكانط هو أرسطو العصر الحديث، وكلاهما قمتان للفكر الفلسفى، ويتحول مؤرخ الفلسفة إلى مؤرخ كى لا كىفى. فإذا كان قد أصدر خمسة عشر كتاباً عن أرسطو فلا أقل من إصدار أربعة كتب عن كانط (١٥٠)

وهو مجرد عرض لنقد العقل الخالص، قسماً قسماً، وفقرة فقره، الحساسيه والتحليلات (التصورات، المبادئ، الجدول، المنهج) فى الباب الأول الذى يصف تطور نظرية المعرفة من لينتتز حتى كانط ثم مراحل كانط الثلاثة، ما قبل النقدية، والنقدية، وهى التى يعرض فيها لنقد العقل الخالص. ولا يتحدث عن ما بعد النقدية التى تشمل فلسفة القانون والسياسة، وفلسفة التربية والدين. ولا يوجد باب ثان لأنه تحول إلى جزء ثان عن الأخلاق لعرض «نقد العقل العملى». والمادة معروفة ومتوافرة، مجرد عرض دون وجهة نظر أو قراءة أو موقف، كما سيحدث فى جيل تال، تسهلاً للمعلومات وتوفيرها، والثقافة الفلسفية وإرسائها. ويخلو من المقارنات. ولا توجد إحالات إلى الجبهة الأولى. إلا مرة واحدة، إن الرسول كان يمزح ولا يقول إلا حقاً. إلا أنه وربما فى تقديم حياة كانط يوجد بعض الحوار الفكرى من أجل القضاء على أسطورة شاعت عنه: العقل البارد، العزوبية، العزلة، المعاداة للمرأة، البخل، الجفاف العاطفى، البعد عن السياسة. ويظل السؤال: هل كانط أم هيجل هو أرسطو المحدثين: أليس كانط أقرب الى أفلاطون منه إلى أرسطو؟

والثانى «الأخلاق عند كانط» يخلو من أى تصدير أو استهلال أو مقدمة ليضعه فى إطار المشروع العام ويبين الهدف والغاية منه (١٥١). بل يتحول إلى تأليف مدرسى ومقرر جامعى صرف. يبدأ بمسئلة الميتافيزيقا. من الأخلاق الشعبية إلى ميتافيزيقا

الأخلاق . ثم يعرض مذهب كانط الخلقى، الإرادة الخيرة، الواجب، ثم الانتقال من ميتافيزيقا الأخلاق إلى نقد العقل العملى، بتحليلاته وجدله ومنهجياته. وهو مجرد عرض لكتابى كانط «أسس ميتافيزيقا الأخلاق» و«نقد العقل العملى»^(١٥٢) ويخلو من أى إشارات للجبهة الأولى ودون مراجع أو فهارس، مع الاعتماد على الترجمات الفرنسية.

والثالث «فلسفة القانون والسياسة»^(١٥٣) وقد كتب بنفس الطريقة، التحول من المشروع الفلسفى النهضوى إلى المشروع الفلسفى التاريخى الخالص. فالكتاب يخلو أيضاً من تصدير أو استهلال أو مقدمة لوضعه فى المشروع الكلى . ويقتصر على عرض فلسفة القانون الدولى والسياسة، اعتماداً على «مشروع السلام الدائم»، «النزاع بين الكليات الجامعية» . ثم يقحم فلسفة التاريخ من المقالات التى نشرت بعد وفاة كانط، وفلسفة الجمال، تحليل السامى والفن اعتماداً على «نقد ملكة الحكم». ويميل إلى كتاب «نظرية القانون» لكانط فى ترجمته الفرنسية . ويخلو من الفهارس وقائمة المؤلفات التى عُرف بها الفيلسوف المؤرخ فى كل كتاب . ولا توجد إحالات إلى الجبهة الأولى إلا فى هامش واحد حول زواج المتعة وكيف أنه كان معروفاً عند شعوب أخرى قبل الإسلام.^(١٥٤)

ويصبح المشروع الفلسفى التاريخى مشروعاً للعلوم الفلسفية مثل: الفلسفة العامة، وعلم الأخلاق، والمنطق الصورى والرياضى، ومناهج البحث العلمى. فقد كتب الفيلسوف «مدخل جديد إلى تاريخ الفلسفة» من أجل بيان حقيقتها وحدودها ومنهجها وغايتها، كما يتصورها الفلاسفة الغربيون ، وللتأكيد على أهميتها فى الثقافة الإنسانية وإدراك معنى الحياة وسر الوجود . ثم يبين المشكلات الثلاث الرئيسية فيها : الوجود، والمعرفة، والإلهيات، دون تفسير لماذا استبدل بلفظ (القيم) لفظ (الإلهيات) وإدخال الدين والبراهين على وجود الله، بدلا من الأخلاق التى تضم مباحث: الحق والخير والجمال، وربما الدين أو المقدس . ويركز على آراء المعاصرين لبيان منزلة الفلسفة فى الفكر الإنسانى مما يشجع الناس على معرفتها والتفكير فى مسائلها ونهج نهجها، دون ربط ذلك بأزمة الفكر أو مشروع النهضة^(١٥٥)

وينتهى المدخل بفلسفة لبعض العلوم الجزئية، وهو أكبر الأقسام، ويختار اللغة والتاريخ دون غيرهما من العلوم . وتظهر الثقافة العربية فى اللغة وحدها وكأنها ثقافة لغة ليست لها مواقف فى المعرفة والوجود والإلهيات والتاريخ^(١٥٦)

والهدف من «الأخلاق النظرية» هو البقاء على مستوى النظر دون العمل الذى عادة ما ينزلق إلى مستوى الوعظ والإرشاد، ومن أجل إدراك عمق المعانى الأخلاقية وتأملها فى سلوك الإنسان^(١٥٧) فالغاية هنا نظرية وليست عملية، فردية وليست اجتماعية، أخلاقية وليست نهضوية تاريخية. ثم يتحول الكتاب إلى كتاب مدرسى محض، وجامعى مقرر عن معنى الأخلاقى والمدارس الخلقية، والمعانى الرئيسية فى الأخلاق: مثل الضمير، والقيمة، والواجب، والفضيلة، والمسئولية، والحياة الخلقية^(١٥٨). والكتاب يخلو من المراجع والفهارس . ومع ذلك يحاول تعريب المادة، إما عن طريق بيان الأصل الفارسى لكلمة الأئين التى اشتقها ليفى بريل، أو عن طريق الإحالات إلى الثقافة العربية لإضافة مزيد من التحليل للعقل والإنسان والتواضع والسخاء^(١٥٩).

والهدف من «المنطق الصورى والرياضى» هو مجرد العرض الشامل عبر العصور، أقرب إلى تاريخ المنطق منه إلى علم المنطق، مع مجرد تعليقات جزئية دون أخذ موقف شامل أصيل . فالمؤلف يعترف بأنه حامل بضاعة ليس صاحبها، لم يشأ أن يدخل فى الحساب فلسفته الخاصة التى أعلن عنها فى «الزمان الوجودى» لأن المنطق الذى يمكن أن ينبثق عنها مازال فى طور التكوين . والحقيقة أن السبب الأسمى هو صعوبة أخذ مواقف وجودية من المنطق نظراً لطابعه الصورى والرياضى. كما أن المشروع الهضوى للفيلسوف الوجودى بدأ فى الانحسار والانكماش لصالح المشروع الفلسفى التاريخى^(١٦٠) وبلغ حجم المنطق الصورى أربعة أضعاف المنطق الرياضى فماذا المنطق الصورى متوافرة عند أرسطو، المقدمات والأحكام والقياس، فى حين أن المنطق الرياضى يتطلب معرفة دقيقة بالرياضيات لم تتح للفيلسوف الرومانسى، ولكنه يحاول تعريب المنطق واللجوء إلى

المنطق العربى من أجل زيادة المادة أكثر من تنويعها، ومرة واحدة يتم إحصاء المراجع الأجنبية عن المنطق لإبراز كم العلم والمعرفة (١٦١)

وعلى نفس المنوال يأتى «مناهج البحث العلمى» من أجل توجيه البحث العلمى الذى لم يثمر بعد فى العالم العربى . وهى غاية عامة تتوارى فى الكتاب لصالح المادة العلمية التقليدية المدرسية الجامعية، وقسمة العلوم إلى رياضية وتجريبية وتاريخية، والمناهج إلى استدلالية وتجريبية واستقرائية أى تاريخية ونقد الروايات . ويضطرب التقسيم، فالمنهج الاستدلالى فى الفصل الأول دون الفصول التالية. وله عنوانان مرة فرعى، وفى النهاية يضيف المنهج فى علم الاجتماع بلا تبرير أو أساس معقول. ويعتمد على التراث الغربى وحده دون ابتكار أو رأى أو نقد أو موقف، وكأنه لا توجد إسهامات للمسلمين فى الموضوع وقد عرفوا بالمنهج التجريبى وبالمناهج النقدى فى علم الحديث (١٦٢) .

وقد ساندت المشروع الفلسفى التاريخى عدة ترجمات لنصوص أصلية معاصرة مثل «الوجود والعدم» لجان بول سارتر، دون مقدمة أو تصدير أو استهلال لوضع النص فى إطار المشروع كله، خاصة إذا كان النص صعب الأسلوب وإذا كان اتجاهه غير ما اختاره الفيلسوف المؤرخ فى بداية حياته نبراساً له وهو هيدجر. ولا توجد هوامش شارحة إلا فيما ندر مثل الأبوخية، والأنا وحدى، أو التعريف بالأماكن والأشخاص أو التذكير بحكاية ردها ديرو أو المقارنة مع الثلاثة أخوة فى الرواية المشهورة بين أبى على الجبائى والأشعرى (١٦٣) . كما ترجم «فلسفة الحضارة» لألبير شفيتر دون مقدمة ولا فهرس (١٦٤) . وهو كتاب عن انهيار الحضارة الغربية فيه من روح اشبنجلر وربما يكون هذا هو الدافع لاختياره الجزء الأول من الكتاب عن انحلال الحضارة وإعادة بنائها، ويشمل مسئولية الفلسفة عن انهيار الحضارة ، وعوائق الحضارة فى حياتنا الروحية والاقتصادية، والحضارة طابعها الجوهرى أخلاقى، والطريق إلى إعادة بناء الحضارة، والحضارة والنظرة إلى العالم. والجزء الثانى عن الحضارة والأخلاق يشخص أزمة الحضارة فى الأزمة الروحية، ويؤرخ

للنظرة الكونية المتفائلة عبر التاريخ الأدبي، منذ اليونان حتى العصر الحديث، وعن أسس الأخلاق عبر العصور مع إبراز دور شبنجلر وجوته وشليرماسر وهيجل وشوبنهاور ونييتشه وهم أبطال الفيلسوف المترجم ونماذج .

وتتحدث الفصول الأخيرة عن طريق الخلاص: التفاؤل وإرادة الحياة وتكميل الذات وتوفير الحياة والطاقت الحضارية، وهى نفس المفاهيم التى أسس عليها الفيلسوف المبدع اختياراته الفلسفية الأولى منذ عهد الشباب فى بواكير مشروعه الفلسفى النهضوى .

ولكن يضيف الفيلسوف المترجم عدة تعليقات فى الهوامش نظراً لأن تاريخ تأليف الكتاب كان عام ١٩٢٣ وقد تجاوزته الأحداث خاصة قبل إلقاء القنبلة الذرية على اليابان فى نهاية الحرب العالمية الثانية. تقتصر التعليقات على تحديث الوقائع وتعريف بعض المصطلحات والألفاظ المترجمة وتخريج المؤلفين مثل برجسون وسبنسر وتحديد العصور، ولكنه لا يقارن مع الحضارة الإسلامية فى أى موضوع مشابه أو مخالف .

ولمساعدة المشروع الفلسفى التاريخى ترجم الفيلسوف المترجم كتاب بنروبى «مصادر وتيارات الفلسفة المعاصرة فى فرنسا» دون تصدير أو استهلال أو تنبيه يبين الغرض من الترجمة، وكأن الغاية مجرد عرض الثقافة الفرنسية الفلسفية فى مصر . ولاتوجد مراجعة لقسم التيارات الفلسفية إلى ثلاث تيارات: **الأول**: الوضعية التجريبية ذات النزعات العلمية، مع الوضعية الوطنية والكاثوليكية، مع التيار النفسى والتيار الاجتماعى، **والثانى**: المثالية النقدية والمعرفية التى تضمن نقد العلم، والنزعة العقلية النقدية، **والثالث**: الوضعية الميتافيزيقية الروحية^(١٦٥) .

ولمساعدة دراساته الفلسفية الأربعة فى العلوم الإنسانية: الفلسفة، والأخلاق، والمنطق، ومناهج البحث، فإنه قام بترجمة «النقد التاريخى» للمؤرخين الفرنسيين لا نجلوا دسينيويوس بعنوان «المدخل إلى الدراسات التاريخية» وكان الباحث هو أن النقد التاريخى ومنهج التاريخ لم ينفذ بعد النفاذ الكافى فى الدراسات العربية، مما جعلها فقيرة، سواغى تحقيق النصوص أو فى دراسة التاريخ^(١٦٦) . ثم يضيف إليه

نصوصاً أخرى مثل: «نقد النص» لبول ماس، «التاريخ العام» لكانط، مع ملاحق أيضاً مترجمة مثل «نظرة فى التاريخ العام بالمعنى العالمى» لكانط، «من مقال فى المنهج» لديكارت، «خطبة فى التاريخ» لبول فاليرى . وهى نصوص خارج الموضوع، ربما الغرض منها زيادة حجم الكتاب واستعماله مقررأ جامعياً فى مادة «فلسفة التاريخ» أو لسد فراغ فى الثقافة العربية. ولا يعرب المادة، بالرغم من وجود عديد من الدراسات التاريخية والنقد التاريخى فى الحضارة الإسلامية، ولكنه يضيف تعريفاً بالمؤلفين وبأهمية نصوصهم .

وربما تدخل سلسلة «الروائع المائة» - التى لم تكتمل كلها بعد - فى هذا الإطار المساند للمشروع الفلسفى التاريخى عن طريق الترجمة . ولما كان لا يوجد فرق بين الفلسفة والأدب فقد غلب عليها جميعاً. ولما كان الفيلسوف المترجم من أنصار الرومانسية الألمانية فى الفكر والأدب فكانت معظم الاختيارات من الأدب الرومانسى الألمانى . ولما كان من المعجبين بالألمان، فقد غلبت المؤلفات الألمانية على الأسبانية ثم الفرنسية .

فمن الأدب الألمانى تأتى أربعة أعمال لجوته «الأنساب المختارة»، و«الديوان الشرقى للمؤلف الغربى»، «جوتس فون برلشنجن» «فاوست». وبالرغم من أن أن الدافع إلى ترجمة «الأنساب المختارة» هو الدرس المستفاد منها، الزهد والعزوف والاستشهاد، للخلاص من المآزق الوجودية، إلا أن الموضوع نفسه قد يكون هو الباعث اللاشعورى^(١٦٧) فالعنوان يدل على جيولوجيا الوراثة، على طريقة أفلاطون فى «الجمهورية» مما يدل على نزعة نخبوية لم ترق بعد إلى مستوى التفوق العنصرى . ولكن المترجم لا يكشف عن هذا الدافع اللاشعورى، ويشرح القصة ويفسرها على نحو فنى متجاوزا التفسير الطبيعى والأخلاقى، باستثناء إبراز موضوع المصير بالمعنى اليونانى، وهو من الأفكار الرومانسية تعبيراً عن فورة الحياة وقدر الإنسان. ويمدح الفيلسوف المترجم الناشر لسعة اطلاعه، ويقارنه بحال النشر فى العالم العربى فى عصره الزاهر . وربما يقصد منذ القرن الماضى، وإنشاء المطبعة الأميرية فلم يكن هناك نشر فى الحضارة العربية الإسلامية فى عصرها الأول^(١٦٨)

وتعتبر ترجمة «الديوان الشرقى للمؤلف الغربى» نموذجاً دالاً للروائع المائة .
فبالرغم من أنه لا يوجد تصدير أو استهلال أو تنبيه يبين الباعث على الترجمة
ووضعها داخل المشروع الفلسفى النهضوى العام، إلا أن الموضوع نفسه يكفى
اجتماع الشرق والغرب فى الرومانسية، أو اجتماع فارس ممثلاً للشرق وألمانيا ممثلاً
للغرب فى حكمة إنسانية واحدة . فقد اكشف هيجل الشاعر الرومانسى رومانسية
الشرق كما اكتشف شليجل وشلنج الشهرة للفرديوسى ، وكما أعجب شاتوبريان
بعبقرية المسيحية، وكما قام لامارتين برحلة الشرق، وكما كتب فكتور هوجو
المشروعات . أعجب جوته بحافظ . وهجرت روحه من الغرب إلى الشرق موطن الدين
والتصوف . فلا فرق - فى هذه الحالة - بين جوته والفيلسوف المترجم، كلاهما يمثل
اللقاء بين الشرق والغرب، كما فعل جوته نفسه فى الجزء النثرى وشرح القصائد
داخل الديوان . كلاهما مستشرق ومستغرب فى أن واحد . ويظهر إبداع الفيلسوف
المترجم صاحب الترجمة الشرقية للشاعر الغربى فى ترجمة قصائد جوته فى بعض
منها شعراً إلى العربية . وهو صاحب ديوانين من الشعر «مرآة نفسى» و«نشيد
الغريب» فى مبتكراته.

ومشكلة خلق القرآن يقرضها شعراً، يحول كتب الاستشراق والتاريخ إلى شعر،
أى يحول الماضى المتمنى إلى تجارب حية فى الحاضر، فيصبح الشعر أكثر دلالة من
التاريخ، وفى الوقت الذى كان فيه الاستشراق تاريخاً وعنصرية حوله جوته إلى
تجربة صوفية روحية إنسانية يظهر فى أشعار جوته صدق الاعتزال، ولكن الصدى
الأكثر للتصوف الإسلامى . فهو - مثل إقبال - يحول آيات القرآن والأحاديث النبوية
إلى شعر^(١٦٩) ويذكر جوته فى جزئه النثرى الشارح محمد والخلفاء و العرب ومحمود
الغزنوى وفرديوسى وحافظ الرومى وسعدى وأنورى ونظامى وعمر بن عبد العزيز
وقصص الأنبياء مثل يوسف وزليخا^(١٧٠) وواضح عظم حضور زليخا رمزاً للعشق
والحياة . وربما يأتى جيل آخر لكتابة «الديوان الغربى للشاعر الشرقى» على مستوى
الفكر مثل «مقدمة فى علم الاستغراب».

وبالرغم من أنه لا يوجد تصريح بالهدف من ترجمة مسرحية جيته «جيتس فون

برلشنجن» إلا أن بطلها يدافع عن المستضعفين وهو لص شريف يقطع الطريق ويفرض الأتاوات ، وهو صورة رومانسية للبطل الشعبى. ومقدمة الفيلسوف المترجم تقتصر على تقديم شخصيات المسرحية وشرح أسماء الأعلام والمصطلحات وذكر المراجع، اعتماداً على شرح فنتشر، شارح مؤلفات جيته^(١٧١).

وتتجلى البطولة الإنسانية كلها ممثلة فى الرغبة فى المعرفة، فى ترجمة مسرحية (فاوست) فى ثلاثة أجزاء، ويضم الجزء الأول كله مقدمة المترجم^(١٧٢) ويظهر فيها التقابل المعروف منذ إخوان الصفا بين العالم الأصغر والعالم الأكبر، والصراع بين العلم والدين، بين الإنسان والله، بين الحرية والظغيان . فجوته فيلسوف الشعراء وشاعر الفلاسفة، مثل الفيلسوف المترجم . بها بعض الهوامش الشارحة، لكن ترجمتها نثراً أفقدتها ذوقها الشعرى .

وبعد جوته يأتى برشت، وترجمة عدد من مسرحياته: «الأم شجاعة وأولادها»، «الإنسان الطيب فى ستسوان» دون تصدير يضع الترجمة ضمن الإطار العام للمشروع كله، إذ تقتصر المقدمة على لوحة حياته وعرض مسرحية «الأم شجاعة» والتي تدور أثناء حرب الثلاثين عاماً بين البروتستانت والكاثوليك. والشخصية المحورية أم فقدت أولادها الثلاثة فى الحرب ، وهى بائعة طعام متجولة اعتمدت على نفسها فى البقاء . والثانية «الإنسان الطيب» تدور أحداثها فى الصين . والشخصية الرئيسية فيها الخير والشر، والتفاؤل والتشاؤم - وهى موضعاك قريبة من الفيلسوف المترجم - البطولة، والصراع بين الخير والشر، كما صوره الأدب الرومانسى، لافرق فى ذلك بين أديب برجوازي مثل جوته، وأديب اشتراكي مثل برشت^(١٧٣).

ومع الأدب الألماني يأتى دور الأدب الأسباني فى رائعته «دون كيخوته» لثريانتس، وواضح أن هدف الفيلسوف المترجم هو إعطاء نماذج من أدب البطولة المعروف فى الغرب مثل الإلياذة، والقداسة فى «الكوميديا الإلهية»، والإنسانية فى «فاوست»، والتهكم فى «دون كيخوته»، التهكم على البطولة الزائفة، هدفها تحطيم الزيف والسخرية من الفروسية لافتقارها إلى الحقيقة التاريخية، ومناهضة الكلاسيكية. وقد

كانت كتب الفروسية شائعة في ذلك الوقت، يقرأها كل الناس ، يشجعها الأمراء ويمستكروها العقلاء. هاجم البلديات والأديرة ومحاكم التفتيش وأدعياء الشجاعة والحكمة والتقوى. هاجم النقابات والقضاء والكتاب والشعراء ورجال الدين والنبلاء في عصره كما فعل موليير في مسرحه وسيرانو عند إدموند روستان . وهو مثالي النزعة توحد معه الفيلسوف المترجم كما توحد مع باقى أبطال أعماله المترجمة، وأبطال الأدب برومثيروس وهاملت، البطولة الحقيقية ضد البطولة المزيفة. وربما كان الفيلسوف المترجم هو دون كيخوتة مصر و العرب، إذ يرفض في التصدير العام النجاح الوضيع في واقع الحياة الذي يرمزله سنشو بانثا، وطوبى للنجاح البطولى لدون كيخوته فأيهما أبقى في التاريخ: نجاح البدن أم نجاح الروح؟^(١٧٤) وفيه أيضاً التقاد الثقافتين العربية والغربية . فقد أسر المؤلف في الجزائر خمس سنوات وتعلم العربية، والرواية بعض مصادرها العربية «سیدی حامد بن الأبل» وبها شخصية المتحلق العربي «المنتشاي» وقد استطاع الفيلسوف المترجم ترجمة الشعر الأسباني إلى شعر عربى، مع استعمال بعض الآيات القرآنية مثل «كل من عليها فان» وإضافة بعض الهوامش للتعريف بالأعلام .

وفي نفس الموضوع تحت ترجمة «حياة لثريودى نورمس»^(١٧٥) لمؤلف مجهول أسباني وذات أصول عربية، وهى حكاية شعبية أوردها الأبشيهى فى «المستطرف» من خلال «المحاسن والمساوى» للبيهقى، و«الأغانى» للأصفهاني، و«حدائق الأزاهر» لابن عاصم، بأسلوب المقامات عند الهمذاني والحريري، وقد كانا معروفين فى الأندلس، وهى نموذج آخر للقصة الصعلوكية وما تمثله من واقعية ودلالة حضارية على نقد الكنيسة وتحريم تناول الكتب، ويتضمن التصدير العام المعلومات الاستشراقية الضرورية حول النص، والترجمة ، وطبعاته، مع بعض الهوامش والمراجع^(١٧٦).

سابعاً: المشروع الفلسفى الإبداعى (الواقع)

وهو الجانب الأهم فى حياة الفيلسوف الشامل، والأضعف كما وكيفاً. وهو الجانب الأول زمانياً فى حياة الفيلسوف وهو مازال فى العشرينات. لكنه لم يستمر، واتجه إلى التاريخ على حساب الفلسفة، وإلى الكم على حساب الكيف، بصرف النظر عن الأسباب الخارجية والدوافع الذاتية على هذا التحول الذى جعل صورة الفيلسوف الشامل - المحقق، والباحث، والمؤرخ، والمترجم، والمعد - أكثر من الفيلسوف المبدع. وكان لديه إحساس بأن الإبداع جزء من نشاطه. وأفرد له قسماً خاصاً بعنوان «مبتكرات» بجوار «دراسات أوروبية»، «خلاصة الفكر الأوروبى» «دراسات إسلامية»، «ترجمات الروائع المائة». وقد كانت النية صادقة، فقد تم الإعلان عن تسعة مبتكرات بين الشعر والقصة واليوميات والتأملات والفلسفة ولم يصدر إلا أربع منها^(١٧٧). ويتبع الفيلسوف المبدع فى «هموم الشباب» الأسلوب المستعار، والتباعد بين المؤلف الشاب وصاحب الهم، وهو نموذج لهذا الجيل الشاك المتوثب نحو المجد الباحث عن البطولة. وإن رأوا فيه الغموض والإسراف فى القلق والقسوة، فليبقوا على صفائهم وبراعتهم، بشرط ألا ينسوا وضع باقة من الورود على قبر الشهيد^(١٧٨) أما الإهداء فإنه أيضاً مجهول الجهة باسمها ولكن معلوم بوصفها، وهى الأفعى الرهيبة التى أوقعت الشاب فى الخطيئة فأخرجته من برجه العاجى وهو أعزل، وأنزلته إلى قاع الحياة فغاص فيها وهو لا يحسن السباحة، ويطلب من الله لها الغفران، ويوقع باسم: شهيد الشباب^(١٧٩). والسؤال هل هذا حقيقة أم خيال؟ ألا يتشبه بأوغسطين والخيام ورابعة العدوية؟. وإن كان حقيقة فمن هذه الأفعى الرهيبة؟. وهل هذه التجربة الأولى هى التى منعت من الزواج؟. وأين الآن هذا الشاب الشهيد ولماذا تحول إلى صانع كتب؟.

وهوموم الشباب هى يوميات موزعة على أقسام: الأول بلا عنوان، والثانى أيضاً بلا عنوان، ولكنه يحتوى على عناوين فرعية مثل «اعترافات ساقطة» و«يوميات إحدى بنات الهوى» والأقسام الأربعة التالية بلا عنوان. فهو أقرب إلى حديث النفس، فى

محاولة لتأسيس أدب فلسفى عن طريق اليوميات كما فعل جابريل مارسيل فى «اليوميات الميتافيزيقية». تعبر عن حياة مثقف بين الكتب، وتضع التقابل بين الأنا الفردى والآخر الاجتماعى. ويستعمل ضمير المتكلم المفرد: قلت لنفسى. يغيب عنه الحوار باستثناء حوار قصير مع النفس.

وهو أقرب إلى تحليل الشعور الإنسانى الوجودى بالخطيئة والخلاص، ليس فقط على المستوى الدينى، بل أيضاً على المستوى الاجتماعى والسياسى. وكما هو الحال فى الأدب الوجودى الذى يجتمع فيه الدين بالجنس بالسياسة. وهى المحرمات الثلاثة فى الثقافة العربية المعاصرة، والبواغث الأوروبية على الفكر والإبداع. فهو مناجاة للمسيح، وإدانة للخطيئة، إدانة بنات الهوى، مع أن المسيح سامح مارية المجدلية «من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر». والحرية الجنسية جزء من الأدب الوجودى، كما هو الحال عند جان جينيه وجان بول سارتر وسيمون دى بوفوار. يحاور الشاب إحدى بنات الهوى لرؤيتها وليس لمعاشرتها، كما فعل سارتر فى «طفولة رئيس» مما قد يوحي بأن الشاب مقلد للأدب الوجودى وهو فى بداية الطريق. وفى نفس الوقت يتمرد على الدين ويسخر من ابن الإله ومخلص البشر، فيما يعتقد المسيحيون، وينقد الوثنية التى لم تتغير ويدعو إلى إصلاح أعياد الميلاد. ويرر المتدينون كل شر على الأرض مثل الإحباط الذى أصاب الشباب الأوروبى بأنه عقاب إلهى، وكفارة كبرى. وما أبعد الدين عن الحياة، رؤية الأرامل تطرد الإيمان من كل قلب.

ويظهر الأدب المكشوف كما هو الحال فى الأدب الوجودى. فيصف النهدين. ويرسم صورة المومس الفاضلة كما فعل سارتر. وتصاب المرأة بالسعال من شدة الفقر والسهر والبرد، كما هو الحال فى غادة الكاميليا، وكما فعل أيضاً محمد حسين هيكل فى «زينب» ضحية للحب الطاهر.

وتظهر السياسة فى الحديث عن الوطن، مصر والعرب، ومقارنته بالغرب. فيقارن بين الاستعمار الحالى والحروب الصليبية واستعذاب لذة الجهاد، وتشبيهه بدر ولسن بأنه موسى العصر، وتعريف الاستعمار بأنه اقتلاع الشعوب الكبرى للشعوب الصغرى باسم حماية المواصلات، وتربية الدول الصغيرة والوصاية على الشعوب

القاصرة، ومناطق النفوذ، وصيانة التجارة والتوازن الدولي، وينقد الجرب مثل فولتير، والرقص ممنوع بأمر البرجوازي المحافظ.

وتظهر الثقافة العربية الإسلامية في اليوميات، خاصة التشبيهات المستمدة من القرآن الكريم، وما أكثرها، مثل: «كواعب أتراباً» لوصف ثلاث فتيات، فكر عقلى وقدر، «فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم أدبر واستكبر». فتذبذب وتحير ذلك هو العذاب الأكبر. «فهل من مدكر»، «عسى أن يهدينى ربى من أمرى رشداً»، «نفسى لأماره بالسوء»، «لا شرقية ولا غربية»، «لا جناح على»، «فصبر جميل». «فؤاد أم موسى». وكما تظهر بعض التعبيرات الدينية مثل: وأيم الله، إن شاء الله، على بركة الله، أمرك والله، استغفر الله، قاتلهم الله، رحمها الله، أناشدكم الله، أو يا إلهى.

كما تظهر البيئة الدينية ومصطلحاتها مثل: التصوف، التوحد الأكبر، المطعم بلدى فى حى إسلامى، الروح الشرقية والعطور والبخور، مددكم يا آل البيت، إتقان العربية لطول إقامته فى الشرق العربى، واستعمال بعض الأمثال العربية، وفجأة يظهر طريق الهرم ومينا هوس العربى الفرعونى. كما يترجم أشعار كارمن شعراً عربياً. فالشباب شاعر كذلك (١٨٠).

وتظهر هموم الفكر والوطن فى التقابل بين الأنا والآخر. وبالرغم من أن المكان لا يهم فى رأى الشباب الشهيد، باریس أو أسبانيا، ولا توجد ذكرى للوطن، كما كتب هیکل «زینب» فى سويسرا، إلا أن الوطن حاضر فى التقابل بين الشباب المصرى العربى والشباب الأوروبى، وبين الجو العربى الشرقى، والجو الغربى الأوروبى، فبنات الهوى يعشن فى جو البارات الأوروبى. ويقارن الشباب الشهيد بين المصرى والشرقى عامة، وبين الأجنبى فى السكر، أى على قاعدة الآخر. ويصف طبائع الشعوب، الأستراليين والأترک فى المراقص. لقد تحول الشباب الأوروبى من الطموح إلى الإحباط. أما الشباب العربى فقد كان أسوأ حالا. فلم يشارك أبأوه فى الحرب، فلم يحظوا بنشوة النصر. وللأوروبى أمل بعد الحرب، ونحن بلا أمل. وتراث الغرب جديد للحرية، وتراثنا عتيق، أشلاء صامتة باعدت بينه وبين نفوسنا آلاف السنين.

الشباب المصرى فى حالة من العدم للروح ومنجذب نحو الغرب. ترك الثورة الفرنسية للشيوخ وكذلك تحرير المرأة والسياسة، وكأن الشاب الشهيد يدعوهم إلى أخذ مصيرهم بأيديهم. فى الأدب والفن والدين تياران، الأول إلى الماضى، والثانى إلى المستقبل.

وجيل الشباب لا يقبل التوسط بل يدعو إلى الأطراف، القنوط أو الثورة. القتال فى الصحراء الغربية إهانة لكرامتنا. ويعترف الشاب بأنه روى للناس قصة أسطورة أندين لفوكيه لهدف بعينه. وتنتهى اليوميات من الراوى إلى القارئ، وزيارة إلى سجن المستشفى لصديق بتهمة قلب نظام العالم القديم ولحماسه لنيئتسه، يظهر الواقع بلا فلسفة، إلا فى أقل القليل، فى الإشارة إلى تداخل الحرية والضرورة فى الفعل الإنسانى كما هو الحال عند هيجل.

و«الحدود والنور» خطابات متبادلة مع سلوى من نفس النوع الإبداعى فى الأدب الوجودى. مهدى إلى سلوى، ابتهاج واعتراف، سواء كانت شخصية حقيقية أم من صنع الخيال. يعبر عن غربة الروح مثل التوحيدى، غربته فى وطنه، وغربته فى العالم. وبه تقابل الأحوال، كما هو الحال عند الصوفية بين الوثنية والتوحيد. فهو وثنى فى توحيده، وموحد فى وثنيته. توحيده حرية الخالق بإزاء المخلوق، وتوحيد غيره عبودية المخلوق للمخلوق، وعلى التبادل^(١٨١)، فالتوحيد إعلان للحرية وليس للعبودية، وثنيته تقوم على اللمس وليس على البصر، على الجسد وليس على الروح. وحياته ليست لشراء الوهم. والمكان ذكرىات باريس وسويسرا وأسبانيا (طليطلة) ولبنان ودمشق، حيث أثار لا مارتين وجبران خليل جبران، وموكب الأجداد والفن فى طليطلة. بل إنه يزور المقابر كما فعل كير كجارد، بين رينان وغادة الكاميليا. ويستعمل آية قرآنية «**الهاكم التكاثر حتى زوتم المقابر**» مما يدل على البواعث الإسلامية عنده فى مطلع الشباب، التى ستجعله أكبر محقق للترجمات العربية القديمة، وللترجمة عن المستشرقين، ومن كبار الدارسين للتراث الإسلامى ويثنى على أستاذه ماسنيون وحبه للشرق الإسلامى. ولا توجد ذكرى للوطن أو صورة، له كما فعل الطهطاوى فى «تخليص الإبريز» إلا أن سلوى الحبيبة مصرية وليست أوروبية.

ويمثل «الزمان الوجودي» الإبداع الفلسفي في مرحلة الذروة، والفيلسوف المبدع مازال في منتصف العشرينات. وتظل نموذجاً لرسالة الدكتوراه المبتكرة بالرغم من اعتمادها على هيدجروبرجسون، والفيلسوف المبدع على وعى بمذهبه في الوجود. فغاية الوجود أن يجد ذاته وسط الوجود، ووجوده زمان^(١٨٢). وينقسم إلى قسمين الوجود بالزمان والوجود الناقص، وكأن الوجود بالزمان هو الوجود الكامل، والوجود الناقص هو الوجود خارج الزمان. وينقسم الوجود بالزمان إلى قسمين: الواقع والإمكان، والزمان اللاوجودي، وفيه نقد لهيجل وأرسطو وأفلاطون وأفلوطين ونيوتن وليبنتز وكانط وأينشتين وكاسيرر، وميل أكثر لا وغسطين وبرجسون.

وينقسم الوجود الناقص إلى قسمين: التناهي الخالق أقرب إلى هيدجر، والتاريخية الكيفية. كما يعتمد الفيلسوف المبدع على مادة من الثقافة العربية الإسلامية من خلال اشبنجلر عن الروح السحرية العربية، والتصور الديني للتاريخ، الماضي والمستقبل، الماضي لارتباطه بخطيئة آدم والمستقبل لأن به الخلاص. والحاضر معبر من الماضي إلى المستقبل. فالتاريخ له بداية ونهاية. ويحيل إلى التراث العربي، (التنبية والأشراف) للمسعودي، و(المعتبر) لأبي البركات و(رسالة الحدود) لابن سينا، و(رسائل جابر بن حيان)، و(الأربعين) و(المحصل) للرازي. كما يعتمد على الاستشراق^(١٨٣).

ويصف الفيلسوف المبدع نفسه في «موسوعة الفلسفة» تحت «بدوي» بأنه فيلسوف مصري ومؤرخ للفلسفة، فلسفته هي الفلسفة الوجودية في الاتجاه الذي بدأه هيدجر. وقد أسهم في تكوين الوجودية بكتابه «الزمان الوجودي» الذي ألفه عام ١٩٤٣. وتمتاز وجوديته عن وجودية هيدجر وغيره من الوجوديين بالنزعة الديناميكية، التي تجعل للعقل الأولوية على الفكر وتستند في استخلاصها لمعاني الوجود إلى العقل والعاطفة والإرادة - معاً - وإلى التجربة الحية، وهذه بدورها تعتمد على ملكة الوجدان بوصفها أقدر ملكات الإدراك على فهم الوجود الحي. وقد أحاط علماً بكل تاريخ الفلسفة وتعمق في مذاهب الفلسفة المختلفين والألمان منهم بخاصة. لكن أقوى تأثير في تطوره الفلسفي إنما يرجع إلى اثنين: هما هيدجر ونييتشه دون ذكر

لاشبنجلر وشوينهور وبرجسون وجوته.

وفى الدراسة التى كتبها الفيلسوف الموسوعى عن نفسه فى موسوعة الفلسفة تحت «بدوى» لخص فلسفته فى خطوطها العامة، اعتماد على ملخص الرسالتين اللتين قدمهما قبل المناقشة عن «مشكلة الموت» للماجستير (بالفرنسية) و«الزمان الوجودى» للدكتوراه. مشكلة الموت هى التى تحولت - بعد ذلك - إلى «الموت العبقريّة» فى معظمها. ويبدأ بقسمة الأشكال إلى: موضوعى وذاتى، الموضوعى فى الخطيئة، والذاتى فى الحرية. ثم يبين عناصر مشكلة الموت، ثم المشكلة الحقيقية للموت، وكيف تكون مركزا لمذهب فى الوجود، وأخيرا المعنى الحضارى لهذه المشكلة. أما «الزمان الوجودى» فإنه يبدأ بتقسيم الوجود إلى مطلق ومعين. يتصف المطلق بأنه أعم التصورات، غير قابل للحد وغير معروف الماهية. وهو ليس وجوداً حقيقياً إلا عن طريق التجريد. أما الوجود المعين فهو وجود الفردية، وهو الوجود الحقيقى، والفردية هى الذاتية، والذاتية تقتضى الحرية، والحرية معناها وجود الإمكانية، والموجود المعين إما وجود الموضوع أو وجود الذات (كانط) أو الوجود فى ذاته، والذات هى الأنا المريد، وهو المعنى الباطنى لمقالة ديكارت، لأن الفكر من أفعال الإرادة. يتم الشعور بالذات فى فعل الإرادة كما هو الحال عند مين دى بران. لذلك تتشابه معانى الذات والإرادة والحرية. والحرية تقتضى الإمكانية. والذات إما مريدة حرة دون إمكانية لم تتحقق بعد، أو ذات مريدة حرة حققت بعض إمكانياتها. والوجود الحقيقى الأصل للذات هو الوجود الماهوى، الصلة بين الذات ونفسها، حالة صوفية وصفتها القديسة تيريز الابليه. والشرف فى مرتبة الوجود يتناسب عكسياً مع الاتصال بالغير أو بالأشياء، والذات التى تتحقق بالحرية هى الآتية عند هيدجر. وعدم تفسير الوجود على أساس الزمان هو العلة فى إخفاق كل مذاهب الوجود. فقد قسمه الفلاسفة إلى وجود يخضع للزمان، كأحداث الطبيعة والتاريخ، وقسم لا يخضع له، كالنسب الرياضية. وقسمه آخرون إلى وجود بالزمان فإنّ وجود أزلّى، وبينهما هوة لا يمكن عبورها، أو يمكن عن طريق المتوسطات. الوجود زمانى وهذه هى الثورة الكوبرنيقية الجديدة. وقد وضع الفلاسفة مذاهب فى الزمان، الطبيعى (أرسطو)

والذاتى أو المعرفى (كانط)، الحيوى (برجسون). وفى علم الطبيعة هناك مذهبان، الزمان المطلق (نيوتن) والزمان النسبى (أينشتين). ثم يضيف سمتين للزمان: مشاققة الوجود لنفسه، وتجاوز العقل المنطقى إلى الوجدان، مثل عثمان أمين فى الجوانية. والوجود توتر جدلى بين العاطفة والإرادة والفعل. ويحاول الفيلسوف المبدع وضع هذا الوجود الذاتى فى مقولات مثل كانط على النحو التالى:

عاطفة

أصل: تألم	حب	قلق
مقابل: سرور	كراهية	طمأنينة
وحدة متوترة: تألم سار	حب كاره	قلق مطمئن

إرادة

أصل: خطر	طفرة
مقابل: أمان	مواصلة
وحدة متوترة: خطر آمن	طفرة متصلة

ويلاحظ المنهج الجدلى الوجدانى، الطرفان ثم الجمع بينهما.

ويتم الوصف ليس على المستوى النفسى وإلا تم الوقوع فى النزعة النفسية، بل على المستوى الوجودى. التألم مصدره الحد من تحقيق الإمكانيات، يتدرج طبقاً لمقدار المقاومة، والتضحية أعلى درجاته، نقطة التلاقى بين الألم والسرور. والإيثار هو المركب من الحب والكراهية، والمركب علاقة متوترة وليس جمعاً هنيئاً عادلاً. الدرجة العليا فى الحب أثره، واجتماع الحب والكراهية هى الغيرة. الثالث الأول يكشف عن الماضى، والثانى عن المستقبل، والثالث عن الحاضر. والقلق درسه كيركجارد وهيدجر. والجمع بينه وبين الطمأنينة فى المصير. ويتكرر الثالث فى الإرادة. فالحياة بوجه عام هى الوجود فى حال الخطر، كما قال نيتشه. والوجود طفرة وقفرة كما يقول كيركجارد. هذا هو منطق التوتر، وهو نقيض الهوية، توتر الوجود مع ذاته أساس منطق جديد غير اتساق الفكر مع نفسه، أساس المنطق القديم. وإذا كان

برجسون قد نفى العدم، وإذا كان الفلاسفة قد خلطوا بينه وبين الخلاء، فإنه أصل الحرية، كما هو الحال عند سارتر. والاتحاد بين الوجود والعدم فى الزمان باعتباره أنية. وأتات الزمان وحدة متصلة تعبر عن التوتر فى الوجود. ومن ثم ينتهى التحليل كله إلى نتيجتين: الأولى أنه لا وجود إلا مع الزمان وبالزمان، وهذا ما يسمى بتاريخية الوجود، والثانية أن كل أنية من أتات الزمان مكيفة بطابع عاطفى إرادى. فالزمان كيفية، وهى ما تسمى بالكيفية التاريخية. هذه هى الخطوط العامة لفلسفة الوجود. تحتاج إلى تفصيل فى مستقبل المشروع الفلسفى حتى يمكن تحقيق غاية الوجود^(١٨٤). وبالتالي يكون السؤال: لماذا لم ينجز الفيلسوف المبدع مشروعوه الفلسفى الإبداعى وتحول إلى مؤرخ للفلسفة محقق للنصوص، مترجم ومعد؟.

ومن «الزمان الوجودى» ينتقل الفيلسوف المبدع إلى تطبيق فلسفته على الأخلاق فى صيغة سؤال: «هل يمكن قيام فلسفة وجودية؟» والإجابة بطبيعة الحال بالنفى الجذرى أكثر من إجابة سيمون دى بوفوار التى حاولت تأسيس أخلاق للاشتباه. فالأخلاق تقويم، والتقويم معيار، والمعيار ذاتى أو موضوعى، والموضوعى مطلق أو نسبى، المطلق عند العقليين سواء من الله أو من وحدة الوجود، والنسبى عند الوضعية، وهذا يفترض الغيرية والتساوى بين الأفراد. والمعيار الذاتى يتعلق بتحقيق الذات نفسها، ذات فرد مثل شترنر، منفصل، متفرد، دون مقياس مشترك، لذلك نقد كيركجارد الواجب الكانطى والموضوعية الدينية. ومن ثم تستحيل إقامة الأخلاق ميتافيزيقيا وأنطولوجيا، وقد تعدد موقف الوجوديين من الأخلاق بين الإنكار - مثل كيركجارد منتقلا من الأخلاق إلى الدين، وتجاوزها إلى البحث الميتافيزيقى، مثل هيدجر - والإنكار والإمكان مثل ياسبرز ونييتشه.

يقول كيركجارد وياسبرز باللا أخلاقية، وهيدجر بمعزل عن الأخلاق، مثل السقراطية والمسيحية. وعندما سارتر الوجود لذاته ناقص ومن ثم تستحيل أخلاق الكمال، وبالتالي تستحيل إقامة أخلاق وجودية. ويبين الفيلسوف المبدع استحالة قيام أخلاق الواجب والالتزام والضمير والفضيلة والخير والسعادة والإيثار والشخصية والمسؤولية والإخلاص والرحمة، إذا إنها تقوم على فقد الحرية والمشاقة والشعور بالوجود. ويصف الوجود الذاتى بالتوتر والحرية والفعل الدائم والتحرر من كل قيد أو شرط. والشعار هو «افعل ما شئت مادام جديداً».

وهكذا تنتهى الملحمة، ملحمة التحقيق والترجمة والتأليف والإعداد والإبداع

الفلسفى من أوسع أسانذة الفلسفة فى مصر ثقافة وأغزهم إنتاجاً. فاق القدماء والمحدثين فى المثابرة على التأليف حتى أصبحت حياته الخاصة هى حياته العامة. مهد لأجيال قادمة سبيل المعرفة، وعرض لهم الفلسفة على الاتساع فى كل مجال. تربى على مؤلفاته الكثيرون حتى ولو لم يروه. وبسبب هذا الفراغ الفلسفى فى مصر نشأ المشروع الفلسفى عرضاً وليس طولا، على الاتساع وليس فى العمق، فى المساحة وليس بالارتفاع. غطى المشروع كل شىء: التراث القديم تحقيقاً وتأليفاً، والتراث الغربى تقديماً وعرضاً، والواقع المعاش تعبيراً وإبداعاً. وبسبب ملء الفراغ الفكرى أنتشر المشروع أفقياً لا رأسياً، فلم تُتَح لصاحبه الفرصة للتعمق وتطوير الجانب الإبداعى فيه الذى بزغ وهو ابن العشرينات ولم يستمر حتى الثمانينات. وتركه صاحبه عرضة للذبذبات والبواعث المتناقضة، بين تغيير المكان والتنقل فيه، وسد جميع الفراغات، مادام السوق الفلسفى يبتلع كل إنتاج.

إشكاله أنه فضل العلم على الوطن، فتحجر العلم وضاع الوطن، وفضل الذات على الموضوع، فانطوت الذات وتضخمت من الداخل، وغاب الموضوع بعد أن ابتلغته الذات، كما هو الحال فى النرجسية. وفضل الفرد على الجماعة فاقترب الفرد من خريف العمر ولم تتأسس حوله جماعة أو مدرسة يعيش من خلالها الفرد أعماراً وأعماراً. وفضل الدنيا على الآخرة، الدنيا بما فيها من شهرة وكسب، والآخرة تطلب إنكار الذات والزهد فى الدنيا. وفضل الغرور على التواضع، فأزاح الناس من حوله ليفسحوا له المجال للتمدد والانتشار بلا أرض ولا وطن. أراد أن يكون فى العالم طبقاً لمقولة الوجوديين: «الوجود فى العالم»، وانتهى إلى مقولة الصوفية: «العالم فى الوجود».

هذا هو التكريم: الحوار بين الأجيال بعيداً عن المدح الأجوف والتملق الزائف: قتل الخراصون. قد يحزن الأستاذ وقد يغضب ولكنها - فى نهاية الأمر - شهادة تليد له، تعلم منه، واستأنف مشروعه، وارتكن إليه فى من النقل إلى الإبداع، بفضل تحقيقاته لترجمات العربية القديمة، فكلنا، شئنا أم أبينا، جزء منه.

أحب أفلاطون، ولكن حبى للحق أعظم.

الهوامش

- (١) بالمقارنة الكمية مع كتابة المؤلف عن نفسه (٢٥ ص) سقراط (٤ ص) برجسون (٢٠ ص) ديكارت (١١ ص) رسل (٨ ص) سارتر (٧ ص) كانط (٢٤ ص) ماركس (٦ ص) هيدجر (١٤ ص) ياسبرز (٨ ص) ولا يفوقه كما إلا أرسطو (٣٥ ص) أفلاطون (٣٧ ص) فشته (٣٠ ص) وهيكل يكاد يساويه (٢٦ ص).
- (٢) أرسطوطاليس: (فى النفس، الآراء الطبيعية) المنسوبة إلى فلوطرخس، «الحس والمحسوس» لابن رشد، (النبات) المنسوب إلى أرسطو، وكالة المطبوعات، الكويت، دار القلم، بيروت، ط٢، ١٩٨٠.
- (٣) أرسطوطاليس: الخطابة، الترجمة العربية القديمة، النهضة المصرية، ١٩٥٩.
- (٤) يحيل فى «مدخل جديد إلى الفلسفة» إلى «الزمان الوجودى»، «دراسات فى الفلسفة الوجودية»، «المنطق الصورى والمنطق الرياضى»، وإلى ترجمته لكتاب بنزوى عن «مصادر وتيارات الفلسفة المعاصرة فى فرنسا» وإلى كريناديس القورنيانى. ويحيل فى «الأخلاق النظرية» إلى كتابه «مذاهب الإسلاميين» وفى المنطق الصورى والرياضى، يحيل إلى «أشبينجر». ويشير فى «هل يمكن قيام أخلاق وجودية؟» إلى «الزمان الوجودى» (٢)، «مشكلة الموت» (مخطوط)، وفى «تلخيص القياس» لابن رشد يحيل إلى تحقيقاته من قبل لتلخيص كتاب «الشعر» فى كتاب «فن الشعر» لأرسطو، وفى تلخيص «البرهان» يحيل إلى كتبه «منطق أرسطو»، و«المنطق الصورى» «الرياضى»، «فى فلسفة القانون والسياسة عند هيجل»، يحيل إلى كتبه مثل «الأخلاق عند كانط»، «الأخلاق النظرية»، شوبنهاور، نيتشه، فلسفة القانون والسياسة عند كانط، فى «فلسفة الجمال والفن عند هيجل»، يحيل إلى ترجماته، مسرحية شو، والديوان الشرقى لمعرفة الألحان بالشعر الفارسى، وفن الشعر لأرسطو، واللصوص لشيلر، وبنون كيوخوته لثرفانتيس وقيلهم تل، وإلى تحقيقه «مختار الحكم ومحاسن الكلم» وإلى بعض مؤلفاته مثل «الأخلاق عند كانط»، الدين والتربية عند كانط، الموت والعبقريّة.
- (٥) الإنسانية والوجودية فى الفكر العربى، وكالة المطبوعات، الكويت، دار القلم، بيروت، ص٩، (هامش).
- (٦) أرسطو عند العرب، دراسة ونصوص غير منشورة، وكالة المطبوعات، ط٢، ١٩٧٨، تصدير عام ص ٦٦-٦٧.
- (٧) إلى العلم الشامخ فى الأدب المعاصر، إلى رائد النزعة الإنسانية فى العصر العربى الحديث، إلى الأديب الذى فتح للأدب العربى آفاقاً عالمية، إلى المفكر الحر الذى ناضل بقلمه وعلمه وعمله من أجل رفع لواء الحرية الفكرية فى مختلف مرافق الحياة الروحية. إلى القلب الكبير النابض مع المستضعفين، الحانى على المحرومين، الثائر للمعذبين والمضطهدين، المكافح فى سبيل كرامة الإنسان، إلى العقل المحيط بشتى فروع الثقافة العالمية، الداعى دعوة التحرر من أغلال التقاليد المتحجرة، والقيم البالية، العامل على تهنية أسباب العلم والنور للناس أجمعين. إلى الناقد الذى أنشأ شرعة قيم جديدة، وابتدع موازين للنقد النافذ إلى عمائق الآثار الفكرية والأدبية. إلى الساحر بفصاحة لسانه، ونصاعة بيانه، وعذوبة موسيقى أسلوبه، وإيقاع كلماته ونبراته، الذى أدخل منهج النقد التاريخى الوثيق فى دراسة الأدب الجاهلى، فزعزع المسلمات التقليدية الموروثة فيما يتصل به. وكشف ما فيه من انتحال، وعما لهذا الانتحال من دوافع وأسباب، ولهذا وضع للنقد الفيلولوجى الأساس، أعنى لكل دراسة فى هذا الميدان، وهو الذى أنشأ أجمل ترجمة ذاتية عرفها الأدب العربى، وهو الذى أسهم بأوفر قسط فى إيجاد القصة العربية، حتى استوت على النمط العالمى. وهو الذى أضاء تاريخ صدر الإسلام، وهو

الذي سعى لنشر التراث الكلاسيكي، واليوناني خاصة، من أجل إخصاب روحى جديد للعقل العربى. إيدانا ببعث روحى جديد مثل أوروبا، وهو الناقد الذى استطاع أن يرسم للأدب العربى طريقه الصحيح. ولهذا أصبح الموقظ الأكبر للعقل العربى. فباسم آلاف الآلاف من المثقفين، وباسم الباحثين والأدباء والمفكرين، إلى طه حسين فى عيد ميلاده السبعين، دار المعارف القاهرة ١٩٦٢.

(٨) «إلى روح أستاذى الأكبر مصطفى عبد الرزاق، بروحك الممتازة، بهرتنى بنور الإيمان. وأنا فى موجة الشباب المتورد، وتجسدت نموذجاً للإنسانية فى بيئة ضاع فيها معناها، فأعدت إلى الثقة بالإنسان، أواه، بالأمس كانت روحى تصرخ من عمائق هاوية العصيان، فلا تجد غيرك يستمع لهذا الصراخ. فمن لى اليوم بمن يردنى من العصيان إلى الإيمان، ومن الثورة إلى الإذعان. وبالأمس كان من أعز أمانى أن أهدى إليك كتيبى بدأ بيد. فهل لى أن أطمع اليوم فى إهدائها إليك روحاً لروح»، «الإنسانية ووجودية فى الفكر العربى»، وكالة المطبوعات، الكويت، دار القلم، بيروت ١٩٨٢.

(٩) وذلك مثل إبراهيم مذكور، عثمان أمين، توفيق الطويل، محمد مصطفى حلمى، محمد على أبو ريان، أبو العلا عفيفى، على سامى النشار... إلخ.

(١٠) ولد فى ١٩١٧/٢/٤ فى قرية شرباص بفارسكو، الدقهلية (دمياط حالياً). حصل على شهادة الابتدائية عام ١٩٢٩. وكان ترتيبه أول المدرسة، و٣٥٤ على القطر من ٢٠.٠٠٠ تلميذ. حصل على الكفاءة من المدرسة السعيدية عام ١٩٣٢، وعلى البكالوريا عام ١٩٣٤. وكان ترتيبه الثانى. وحصل على ليسانس الفلسفة ١٩٣٨. وكان الأول على القسم، تتلمذ على كوايريه ولاند ومصطفى عبد الرزاق وكراوس. وعين معيداً بالجامعة. وحصل على الماجستير تحت إشراف لاند وكوايريه ١٩٤١ فى «مشكلة الموت فى الفلسفة الوجودية». وعين أستاذاً مساعداً ١٩٤٩، وأستاذاً عام ١٩٥٩. وظل رئيس قسم الفلسفة بجامعة عين شمس أكثر من عشرين عاماً ١٩٥٠ - ١٩٧١. أعير لأول مرة عام ١٩٤٧ - ١٩٤٨ إلى كلية الآداب العليا ببيروت التابعة لجامعة ليون. ثم مستشاراً فى برن ١٩٥٦ - ١٩٥٨، ثم أستاذاً بالسربون ١٩٦٧، ثم بليبيا ١٩٦٧ - ١٩٧٢ ثم ب طهران ١٩٧٢ - ١٩٧٤ ثم أعير إلى الكويت عام ١٩٧١ أكثر من عشرين عاماً، غادرها بعدها لتجاوز سن التقاعد إلى باريس. ومازال قاطناً بها فى فندق لوتيسيا بالحى السابع، وقد غير سكنه الآن، ودون عنوان. عين عضواً بلجنة الدستور عام ١٩٥٢. وهاجمه نظراً لأن الفرد الأوجد والبطل التاريخى لا يقيد قانون حركته. والوطن تجسيد له وهو تجسيد لهذا الوطن.

(١١) هذا ما تم الإعلان عنه فى ظهر الغلاف الثانى لكتابى، «فلسفة القانون والسياسة عند هيجل»، «فلسفة الجمال والفن»، والناشرون ثلاثة، دار الشروق، ودار القلم، والمؤسسة العربية للدراسات والنشر.

(١٢) وهو أيضاً نموذج محمد على أبو ريان أستاذ الفلسفة بجامعة الأسكندرية الذى رحل عنا العام الماضى - (١٩٩٦)

(١٣) (أ) مبتكرات: ١- الزمان الوجدى. ٢- هموم الشباب ٣- امرأة نفسى (شعر) ٤- الحور والنور ٥- نشيد الغريب (شعر) ٦- هل يمكن قيام أخلاق وجودية؟

(١٤) (ب) دراسات ١- الموت والعبقريّة ٢- دراسات فى الفلسفة الوجودية ٣- المنطق الصورى والرياضى ٤- النقد التاريخى ٥- مناهج البحث العلمى ٦- فى الشعر الأوروبى المعاصر وخلاصة الفكر الأوروبى: ١- نيتشه ٢- اشبنجلر ٣- شوبنهاور ٤- أفلاطون ٥- أرسطو ٦- ربيع

الفكر اليونانى ٧- خريف الفكر اليونانى ٨- فلسفة العصور الوسطى ٩- المثالية الألمانية (فى ثلاثة أجزاء: فشته وهيجل وشلنج) :

(١٥) (ج) دراسات إسلامية: ١- التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية ٢- من تاريخ الإلحاد فى الإسلام ٣- شخصيات قلقة فى الإسلام ٤- الإنسانية والوجودية فى الفكر العربى ٥- أرسطو عند العرب ٦- المثل العقلية الأفلاطونية ٧- منطق أرسطو (ثلاثة أجزاء) ٨- شهيدة العشق الإلهى (رابعة العدوية) ٩- شطحات الصوفية «أبو يزيد البسطامى» ١٠- روح الحضارة العربية ١١- الإنسان الكامل فى الإسلام ١٢- التوحيدى: الإشارات الإلهية ١٣- مسكويه: الحكمة الخالدة ١٤- فن الشعر لأرسطوطاليس وشروحه العربية. ١٥- الأصول اليونانية للنظريات السياسية الإسلامية. ١٦- أرسطوطاليس: (فى النفس مع الآراء الطبيعية) لفلوطرخس، وكتاب (النبات) ثم (الحس والمحسوس) لابن رشد ١٧- ابن سينا: عيون الحكمة ١٨- ابن سينا: البرهان (من الشفاء) ١٩- الأفلاطونية المحدثة عند العرب ٢٠- أفلوطين عند العرب ٢١- الميشر بن فاتك: مختار الحكم ٢٢- فلهاوزن: الخوارج والشريعة ٢٣- أرسطوطاليس: الخطابة ٢٤- ابن رشد: تلخيص الخطابة ٢٥- مخطوطات أرسطو فى العربية ٢٦- مؤلفات الغزالى ٢٧- مؤلفات ابن خلدون ٢٨- أرسطوطاليس فى السماء والآثار العلوية ٢٩- حازم القرطاجنى وأرسطوطاليس. ٣٠- رسائل ابن سبعين. ٣١- دور العرب فى تكوين الفكر الأوروبى. ٣٢- أرسطوطاليس: الطبيعة (بشروحه العربية القديمة) ٣٣- ابن سينا: فن الشعر (من الشفاء) ٣٤- الغزالى: فضائح الباطنية ٣٥- رسائل الإسكندر الأفروديسى ٣٦- أسين بلاثيوس: ابن عربى.

(١٦) (د) ترجمات: الروائع المائة ١- ايشندورف: من حياة حائر باثر ٢- فوكيه: أندنين ٣- جيته: الديوان الشرقى ٤- بيرن: أسفار أنتشيلد هارولا ٥- جيته: الأنساب المختارة ٦- برشت: دائرة الطباشير القوقازية ٧- ثريانتس: تون كيخوته (أربعة أجزاء) ٨- دورنمات: علماء الطبيعة ٩- مسرحيات لوركا: يرما - عرس الدم - الإسكافية العجيبة ١٠- مسرحيات برشت: الأم الشجاعة وأولادها - الإنسان الطيب فى ستسوان ١١- يونسكو: فتاة الزواج.

(١٧) ١- شفيتسر: فلسفة الحضارة ٢- بنروبى: مصادر وتيارات الفلسفة المعاصرة فى فرنسا ٣- ج.ب. سارتر: الوجود والعدم ٤- رينيه ويج: الفن والنور وقراءة اللوحات.

(١٨) «موسوعة المستشرقين»، دار العلم للملايين، بيروت ط ١، شباط، فبراير ١٩٨٤.

(١٩) «موسوعة الفلسفة»، المؤسسة العربية للدراسات والنشر (جزءان). بيروت ١٩٨٤. فى الجزء الأول يذكر بعض الفلاسفة العرب والمسلمين: ابن باجة، ابن رشد، ابن سينا، ابن طفيل، أبو بركات البغدادى، أبو سليمان المنطقى، حنين ابن إسحق، وعبد الرحمن بن بوى، وفى الجزء الثانى يذكر: مصطفى عبد الرازق والغزالى والفارابى والكندى فحسب.

(٢٠) هذه موسوعة للفلسفة، وهى تلبى حاجة خاصة يستشعرها القارئ العربى، ليس فقط للتخصص فى الفلسفة بل وكل مثقف بعامة، فهى تسعف الأول بما يريغ إليه من معلومات موجزة عن الفلاسفة والمعانى والمذاهب الفلسفية، وهى تزود الثانى بما يغنيه من معلومات هذا الفرع الأساسى من فروع المعرفة الإنسانية، الذى يهيم له التكوين العقلى الحر، ويوسع من أفق تفكيره، ويبث فيه الروح النقدية، ويمكنه من تكوين نظرة فى الحياة وفى الوجود، ويشغل ذهنه بمشاكل الإنسان والكون، وبالجمله يسمو بالجانب الإنسانى حقاً فى الإنسان.. وكل أملى فى أن تكون هذه الموسوعة الفلسفية أداة عمل

ممتاز للباحثين في الفلسفة والراغبين في الإفادة من مناهجها ومذاهبها في السمو بالفكر الإنساني الصحيح.. «موسوعة الفلسفة»، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ج١، ص ٥.

(٢١) دُرِسَ في الجامعة المصرية أزهريون مثل الشيخ مصطفى عبد الرزاق، والشيخ طنطاوى جوهرى، كما دُرِسَ مستشرقون مثل الكونت دى جلازاوسوزيو وماسنيون وكواييره ولانلد وبول كراوس نظراً لارتباط طه حسين عميد الآداب بهذا الجيل من المستشرقين.

(٢٢) بدأ الفيلسوف الشامل مع مكتبة النهضة المصرية قبل أن يغادر إلى الكويت، وقد طبعت له ثلاثة أرباع مؤلفاته، ثم وكالة المطبوعات في الكويت، بالاشتراك مع دار القلم في لبنان، وأخيراً مع دار فارس بعمان، ثم المؤسسة العربية للدراسات والنشر ببيروت، مع نشر محدود مع الهيئة القومية التابعة للدولة. والناشر الأجنبي له هو فران في باريس، بالإضافة إلى كتاب واحد في مدريد.

(٢٣) لذلك كان إصدار هذه التحية المهداة للفيلسوف الشامل في عيد ميلاده الثمانين مجازفة غير مأمونة العواقب، ومخاطرة قد تضر أكثر مما تنفع. ولكن كسر حاجز الصمت، وعبور الهوة السحيقة بين الأجيال، و الفيلسوف والوطن هو المحفز والدافع. وكم من مرة كان العصيان أفضل من الطاعة.

(٢٤) من أجل الاختصار ذكرت (النهضة) فقط بدلاً من النهضة المصرية، و(المطبوعات) بدلاً من وكالة المطبوعات، و(القومية) بدلاً من الدار القومية، و(المشرق) بدلاً من دار المشرق، و(المؤسسة) بدلاً من المؤسسة العربية للدراسات والنشر، و(الهيئة) بدلاً من الهيئة العامة للكتاب، و(العلم للملايين) بدلاً من دار العلم للملايين، و(الشرق) بدلاً من دار الشرق.

(٢٥) الخطابة لأرسطوطاليس، النهضة ١٩٥٩ والمقدمة باريس صيف ١٩٤٩، الطبيعة لأرسطوطاليس، القومية ١٩٦٤ والتصدير بلندن- هولندا صيف ١٩٥٩. في السماء والآثار العلوية لأرسطوطاليس، النهضة ١٩٦١ والمقدمة بباريس صيف ١٩٥٤، أجزاء الحيوان لأرسطوطاليس، المطبوعات الكويت ط١ ١٩٧٨ والتصدير بطهران ١٩٧٣-١٩٧٤، شروح على أرسطو مفقودة في اليونانية ورسائل أخرى، الشرق، بيروت ١٩٧١ والتصدير العام بباريس صيف ١٩٦٨، أورويسوس: تاريخ العالم، المؤسسة، بيروت، ١٩٨٢ والتصدير في روما يناير وفبراير ١٩٧٩، فلسفة العصور الوسطى، النهضة ١٩٦٢، تصدير ١٩٤٢: فلسفة الجمال والفن عند هيجل، المؤسسة، بيروت، الشرق، بيروت، الفارس عمان ١٩٩٦، تصدير عام باريس ١٩٩٣. المنطق الصوري والرياضي، النهضة ط٢. ١٩٦٢ تمهيد ١٩٤٣. النقد التاريخي، النهضة ١٩٦٣، تصدير عام، القاهرة صيف ١٩٦٢. برشت: الأم شجاعة وأولادها، الإنسان الطيب في ستسوان، النهضة ١٩٦٥، تصدير ١٩٦٢. ثريانتيس: بون كيخوته، النهضة ١٩٦٥ تصدير عام، مدريد، برن ١٩٥٥-١٩٥٦. هموم الشباب، المطبوعات ١٩٧٧ ط٣، تنبيه ١٩٤٦، الزمان الوجودي، النهضة ١٩٤٥ تصدير ١٩٤٣، أرسطوطاليس: في النفس، الآراء الطبيعية لفلوطرخس، الحاس والمحسوس لابن رشد، النهضة ١٩٥٤، دمشق باريس، شتاء ١٩٤٩، بيروت، القاهرة صيف ١٩٥٣. أفلاطون في الإسلام طهران ١٩٧٤، بيروت باريس، طهران ١٩٧٣. الأفلاطونية الحديثة عند العرب. النهضة ١٩٥٧ ليدن منشئ، باريس، دمشق صيف ١٩٥٣-١٩٥٤. رسائل فلسفية (الكثلى، الفارابي، ابن باجة، ابن عربي) بني غازي ط٣. ١٩٧٣ والتصدير باريس صيف ١٩٦٨. رسائل ابن سبعين، المؤسسة، القاهرة ١٩٦٥، تصدير عام برن بسويسرا ١٩٦٥. مختار الحكم ومحاسن الكلم للمبشرين فاتك، المؤسسة، النهضة ١٩٥٨ تصدير عام ليون، لندن، القاهرة، مدريد صيف ١٩٥٥، البرهان لابن سينا، النهضة، القاهرة ١٩٥٤ تصدير عام باريس، لندن، القاهرة ١٩٥٢، الحكمة الخالدة

لمسكويه، النهضة ١٩٥٢، تصدير عام باريس، ليدن، الفاتيكان، القاهرة صيف ١٩٥٠ و ربيع ١٩٥٢
تلخيص البرهان لابن رشد، الكويت، المطبوعات ١٩٨٤ تصدير عام باريس ربيع صيف ١٩٨٣. تلخيص
الخطابة لابن رشد، الكويت المطبوعات ١٩٨٤ تصدير عام باريس ربيع صيف ١٩٨٣. تلخيص الخطابة
لابن رشد، النهضة ١٩٦٠ تصدير عام ليدن (هولندا) مدريد (أسبانيا) صيف ١٩٥٩. الخوارج والشيعة
لفلهاووزن، النهضة ١٩٥٨ تصدير برن خريف ١٩٥٦، موسوعة الفلسفة، المؤسسة بيروت ١٩٨٤ (جزان)
تصدير عام، باريس، روما ١٩٧٩-١٩٨١ ربيع الفكر اليوناني، النهضة ١٩٤٦، تصدير عام ١٩٤٢
أفلاطون، النهضة ١٩٥٤، تصدير عام ١٩٥٢.

(٢٦) منطق أرسطو، النهضة ١٩٤٨/١٩٤٩/١٩٥٢ التصدير العام باريس أغسطس ١٩٤٧. الأصول
اليونانية للنظريات السياسية في الإسلام، النهضة، القاهرة ١٩٥٤ التصدير العام باريس وليدن
ومنشن وفيينا ١٩٥٣ التعليقات، لابن سينا، الهيئة ١٩٧٣ والتصدير بينفازي سبتمبر ١٩٧٢. صوان
الحكمة وثلاث رسائل لأبي سليمان المنطقي السجستاني، طهران ١٩٧٤ والتصدير نفس
العام ١٩٧٣/١٩٧٤ (مما يدل على سرعة الإنجاز في إيران). أبو حيان التوحيدي: الإشارات الإلهية
مطبعة جامعة فؤاد الأول، القاهرة ١٩٥٠، تصدير عام دمشق أبريل ١٩٤٩. الإنسان الكامل في
الإسلام، النهضة، القاهرة ١٩٥٠ تصدير بيروت ١٩٤٩. مذاهب الإسلاميين (جزان)، العلم للملايين،
بيروت ج ١، ١٩٧١ تصدير باريس ١٩٧٠ ج ٢/١٩٧٣ تصدير روما وباريس ١٩٧٢. تاريخ التصوف
الإسلامي، المطبوعات، الكويت ١٩٧٥ التصدير العام طهران ١٩٧٤. مؤلفات الغزالي، المجلس الأعلى
لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، القاهرة ١٩٦١ تصدير عام، القاهرة صيف ١٩٦٠ إمانويل
كانط، المطبوعات، الكويت ج ١، ١٩٧٧ تصدير باريس صيف ١٩٧٦ المدخل إلى الفلسفة، المطبوعات
الكويت ١٩٧٥ تنبيه باريس ١٩٧٤ ط ٢، تصدير ١٩٧٨. الأخلاق النظرية، المطبوعات الكويت ١٩٧٥
تنبيه باريس صيف ١٩٧٤ ط ٢. فضائح الباطنية للغزالي، القومية ١٩٦٤ تصدير عام ١٩٦٤.
روح الحضارة العربية لهانز هنريش شيدر، العلم للملايين، بيروت ١٩٤٩، تصدير أبريل بيروت ١٩٤٩.
شخصيات قلقة في الإسلام، النهضة، القاهرة ١٩٤٧، تصدير نوفمبر ١٩٤٦، تلخيص القياس لابن
رشد، الكويت ١٩٨٨، ط ١ تصدير عام باريس ربيع صيف ١٩٨٣.

(٢٧) [إذا لم يحدد مكان الطبعة فهو القاهرة].

- ١- نيته ١٩٣٩
- ٢- التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية ١٩٤٠
- ٣- اشبنجلر ١٩٤١
- ٤- شوبنهاور ١٩٤٢
- ٥- أفلاطون ١٩٤٢
- ٦- أرسطو ١٩٤٣
- ٧- ربيع الفكر اليوناني ١٩٤٣
- ٨- خريف الفكر اليوناني ١٩٤٣
- ٩- الزمان الوجودي ١٩٤٥
- ١٠- من تاريخ الإلحاد في الإسلام ١٩٤٥
- ١١- المثل العقلية الأفلاطونية ١٩٤٧

- ١٢- أرسطو عند العرب ١٩٤٧
- ١٣- الإنسانية والوجودية فى الفكر العربى ١٩٤٧
- ١٤- شخصيات قلقة فى الإسلام ١٩٤٧
- ١٥- منطق أرسطو، ج١ ١٩٤٨
- ١٦- رابعة العدوية ١٩٤٨
- ١٧- شطحات الصوفية ١٩٤٩
- ١٨- منطق أرسطو، ج٢ ١٩٤٩
- ١٩- روح الحضارة العربية، بيروت ١٩٤٩
- ٢٠- الإشارات الإلهية ١٩٥٠
- ٢١- الإنسان الكامل فى الإسلام ١٩٥٠
- ٢٢- منطق أرسطو ج٣ ١٩٥٢
- ٢٣- الحكمة الخالدة ١٩٥٢
- ٢٤- فن الشعر لأرسطو ١٩٥٣
- ٢٥- البرهان (من الشفاء) لابن سينا ١٩٥٤
- ٢٦- عيون الحكمة لابن سينا ١٩٥٤
- ٢٧- فى النفس لأرسطو ١٩٥٤
- ٢٨- الأصول اليونانية للنظريات السياسية فى الإسلام ١٩٥٥
- ٢٩- أفلاطون عند العرب ١٩٥٥
- ٣٠- الأفلاطونية المحدثة عند العرب ١٩٥٧
- ٣١- مختار الحكم ومحاسن الكلم ١٩٥٨
- ٣٢- الخوارج والشيع، لفهاوزن ١٩٥٩
- ٣٣- الخطابة لأرسطوطاليس ١٩٥٩
- ٣٤- تلخيص الخطابة لابن رشد ١٩٦٠
- ٣٥- مخطوطات أرسطو فى العربية ١٩٦٠
- ٣٦- دراسات فى الفلسفة الوجودية ١٩٦١
- ٣٧- مؤلفات الفزالي ١٩٦١
- ٣٨- المنطق الصورى والرياضى ١٩٦٢
- ٣٩- فلسفة العصور الوسطى ١٩٦٢
- ٤٠- مؤلفات ابن خلدون ١٩٦٢
- ٤١- النقد التاريخى ١٩٦٣
- ٤٢- مناهج البحث العلمى ١٩٦٣
- ٤٣- فضائح الباطنية ١٩٦٤
- ٤٤- مصادر وتيارات الفلسفة المعاصرة فى فرنسا ١٩٦٤
- ٤٥- الطبيعة لأرسطو، ج١ ١٩٦٥
- ٤٦- دور العرب فى تكوين الفكر الأوروبى، بيروت ١٩٦٥

- ٤٧- رسائل ابن سبعين ١٩٦٥
- ٤٨- الوجود والعدم ١٩٦٥
- ٤٩- المثالية الألمانية، «شلنج» ١٩٦٥
- ٥٠- فن الشعر، لابن سينا ١٩٦٥
- ٥١- الطبيعة، لأرسطو، ج٢ ١٩٦٦
- ٥٢- مصادر وتيارات الفلسفة المعاصرة، في فرنسا، ج٢، ١٩٦٧
- ٥٣- ابن عربي، لأسين بلاثيوس ١٩٦٧
- ٥٤- المدرسة القورينائية، بنغازي ١٩٦٩
- ٥٥- الفرق الإسلامية في الشمال الأفريقي، بنغازي ١٩٦٩
- ٥٦- الأخلاق عند كانط، الكويت ١٩٦٩
- ٥٧- فلسفة القانون والسياسة عند كانط ١٩٧٠
- ٥٨- مذاهب الإسلاميين، ج١، بيروت ١٩٧١
- ٥٩- شروح على أرسطو مفقودة في اليونانية، بيروت، ١٩٧١
- ٦٠- فلسفة الدين والتربية عند كانط، الكويت ١٩٧١
- ٦١- كردينيادس القورينائي، بنغازي ١٩٧٢
- ٦٢- سونسوس القورينائي، بنغازي ١٩٧٢
- ٦٣- التعليقات لابن سينا ١٩٧٢
- ٦٤- رسائل الكندي والفارابي وابن باجة وابن عربي، بنغازي ١٩٧٣
- ٦٥- مذاهب الإسلاميين، ج٢، بيروت ١٩٧٣
- ٦٦- أفلاطون في الإسلام، طهران ١٩٧٤
- ٦٧- صوان الحكمة للسجستاني ١٩٧٤
- ٦٨- مدخل جديد إلى الفلسفة ١٩٧٥
- ٦٩- الأخلاق النظرية، الكويت ١٩٧٥
- ٧٠- تاريخ التصوف الإسلامي، الكويت ١٩٧٥
- ٧١- إمانويل كانط، الكويت ١٩٧٦
- ٧٢- الأخلاق عند كانط ١٩٧٧
- ٧٣- طبائع الحيوان لأرسطو، الكويت ١٩٧٧
- ٧٤- أجزاء الحيوان لأرسطو، الكويت ١٩٧٧
- ٧٥- الأخلاق إلى نيقوماخوس ١٩٧٧
- ٧٦- فلسفة القانون والسياسة عند كانط، الكويت ١٩٧٩
- ٧٧- فلسفة الدين والتربية عند كانط ١٩٨٠
- ٧٨- حياة هيجل، بيروت ١٩٨٠
- ٧٩- الخطابة لأرسطو بغداد ١٩٨٠
- ٨٠- فلسفة الحضارة لاشفيتسر، بيروت ١٩٨٠
- ٨١- تاريخ العالم لأورسيوس ١٩٨١

- ٨٢- دراسات ونصوص محققة في تاريخ العلوم عند العرب ١٩٨١
- ٨٣- موسوعة الفلسفة بيروت ١٩٨٤
- ٨٤- فلسفة السياسة عند هيجل ١٩٨٦
- ٨٥- فلسفة الجمال والفن عند هيجل ١٩٨٦
- ٨٦- موسوعة المستشرقين
- (٢٨) فاكسر السنوات إنتاجاً ١٩٦٥ (خمس كتب)، ثم ١٩٤٧/١٩٧٧/١٩٨٠ (أربعة كتب)، ثم ١٩٤٣/١٩٤٩/١٩٥٤/١٩٦٢/١٩٦٥/١٩٦٩/١٩٧١/١٩٧٢/١٩٧٥ (ثلاث كتب)
- (٢٩) وهي ١٩٤٤/١٩٤٦/١٩٥١/١٩٥٦/١٩٧٨/١٩٨٣/١٩٨٥/١٩٨٨
- (٣٠) ١- التأليف: شهيدة العشق الإلهي «رابعة العودية» ٢- مذاهب الإسلاميين ج١، المعتزلة والأشاعرة ج٢ الإسماعيلية والقرامطة والدروز، ٣- تاريخ التصوف الإسلامي من البداية حتى نهاية القرن الثاني، ٤- الإنسانية والوجودية في الفكر العربي.
- ٢- التحقيق: ١- شطحات الصوفية، ٢- رسائل فلسفية: (الكندي والفارابي وابن باجة وابن عربي) ٣- الشعر (من منطق الشفاء) ٤- عيون الحكمة لابن سينا، ٥- التعليقات لابن سينا ٦- البرهان لابن سينا (من منطق الشفاء) ٧- الحكمة الخالدة لمسكويه ٨- الإشارات الإلهية للتوحيدي ٩- رسائل ابن سبعين ١٠- صوان الحكمة وثلاث رسائل لأبي سليمان المنطقي المسجستاني ١١- مختار الحكم ومحاسن الكلم للمبشر بن فاتك ١٢- فضائح الباطنية للغزالي ١٣- دراسات ونصوص في الفلسفة و العلوم عند العرب ١٤- تلخيص القياس لابن رشد ١٥- تحقيق البرهان لابن رشد ١٦- تلخيص الخطابة لابن رشد. التحقيق لترجمات العربية القديمة عن اليونانية الصحيحة أو المنتحلة: ١- منطق أرسطو (٣ أجزاء) ٢- الخطابة لأرسطو ٣- في الشعر لأرسطو ٤- الطبيعة لأرسطو (جزءان) ٥- في النفس لأرسطو ٦- في السماء والأثار العلوية ٧- أجزاء الحيوان ٨- طبائع الحيوان ٩- الحيوان ١٠- أرسطو عند العرب، دراسة ونصوص غير منشورة ١١- أفلاطون عند العرب ١٢- الأفلاطونية المحدثة عند العرب ١٣- المثل العقلية الأفلاطونية ١٤- أفلاطون في الإسلام ١٥- الأصول اليونانية للنظريات السياسية في الإسلام ١٦- شروح على أرسطو مفقودة في اليونانية ورسائل أخرى ١٧- تاريخ العالم لأوروسبيوس (عن اللاتينية)
- ٣- الترجمة: ١- شخصيات قلقة في الإسلام ٢- روح الحضارة العربية ٣- الخوارج والشيعة أحزاب المعارضة السياسية والدينية في صدر الإسلام. لفهاوزن ٤- الإنسان الكامل في الإسلام ٥- ابن عربي حياته ومذهبه لأثن بلاسيوس ٦- التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية ٤- الإعداد: ١- مؤلفات الغزالي ٢- مؤلفات ابن خلدون ٣- مخطوطات أرسطو في العربية ٤- نحية إلى طه حسين في عيد ميلاده السبعين ٥- موسوعة المستشرقين ٦- الموسوعة الفلسفية (٣١)

1- Le probleme de la mort, Le Caire, 1965.

2- La transmission de la philosophie Greque au Monde Arabe, Paris, Vrin 1968

3- Histoire de la philosophie Arabe, Paris, Vrin 1997

4- Défence du Coran contre des critiques, L'unicite Paris 1989.

5- Défence de la vie du Prophet Muhammed contre ses detracteurs,

Ed, Alkar, Paris 1990

6- Themes et figures de la philosophie Islamique Paris, 1979.

7- L'Islam va par Voltaire. Herder, Gibbon, Hegel.

(٢٢) (١) الدراسات: ١- الموت والعبقورية. ٢- دراسات في الفلسفة الوجودية. ٣- في الشعر الأوربي

المعاصر، ومن تاريخ الفكر. ٤- ربيع الفكر اليوناني. ٥- أفلاطون. ٦- أرسطو. ٧- خريف الفكر

اليوناني. ٨- كرتايادس. ٩- سينوسيوس. ١٠- فلسفة العصور الوسطى. ١١- دور العرب في

تكوين الفكر الأوربي. ومن الأعلام. ١٢- نيتشه. ١٣- اشبنجر. ١٤- شوبنهاور. ١٥- شلنجر.

١٦- هيجل - حياته. ١٧- فلسفة القانون والسياسة عند هيجل. ١٨- فلسفة الجمال والفن عند

فيجل. ١٩- إمانويل كانط. ٢٠- الأخلاق عند كانط. ٢١- فلسفة القانون والسياسة عند كانط.

٢٢- فلسفة الدين والتربية عند كانط.

ومن العلوم الإنسانية: ٢٣- مدخل جديد إلى الفلسفة. ٢٤- الأخلاق النظرية. ٢٥- المنطق

الصوري والرياضي. ٢٦- مناهج البحث العلمي. ٢٧- الأدب الألماني في نصف قرن. كما أعلن

عن قلوب الفلاسفة وعن برجسون.

ب- الترجمات: (الروائع المائة): ١- ايشندورف: من حياة حائر بائر. ٢- فوكيه: اندين. ٣- جوته.

الديوان الشرقي للمؤلف الغربي. ٤- بيرون: أسفار أتشيلد هارولد. ٥- جوته: الأنساب المختارة.

٦- جوته: فاوست. ٧- برشت: دائرة الطباشير القوقازية. ٨- برشت: الأم الشجاعة. ٩- ثريبتس

دون كيخوته. ١٠- لوركا: مسرحيات. ١١- دورنات: علماء الطبيعة. ١٢- هيلدرلين: هيبرون.

١٣- رلكه: صحائف مالتى برجه. ١٤- برشت: الإنسان الغريب في ستسون. ١٥- يونسكو: فتاة

للزواج. ١٦- رينيه ويج: الفن والنور واللوحات. ومن العلوم الإنسانية: ١٧- لونغوا دسينويوس:

النقد التاريخي. كما أعلن عن ترجمة نيتشه: زرادشت. ١٨- الوجود والعدم. ١٩- مصادر

وتيارات الفلسفة المعاصرة في فرنسا. ٢٠- حياة لثريودي نورمس. ٢١- جوته: جيتس فون

برلشجن. ٢٢- اشفيتسر: فلسفة الحضارة.

(٢٣) وقد استعملنا نفس الطريقة في ترجمتنا: لسنج: تربية الجنس البشري، نماذج من الفلسفة

المسيحية، اسبينوزا: رسالة في اللاهوت والسياسة، جان بول سارتر: تعالي الأنا موجود، باعتبارها

تأليفاً غير مباشر.

(٢٤) قد يصدر مع هذه الذكرى الثمانين مجموع مقالاته في جريدة مصر الفتاة، وهو مازال في

العشرينيات، وهي حوالى خمسة وعشرين مقالاً جمعها الزميل د. أحمد عبد الحليم عطية ويتردد في

نشرها.

(٢٥) المبتكرات: ١- الزمان الوجودي، ٢- هل يمكن قيام أخلاق وجودية ٣- هموم الشباب ٤- مرآة

نفسى (شعر) ٥- الحور والنور ٦- نشيد الغريب (شعر). كما أعلن عن ثلاث قصص ٧- التسلسل

٨- لن أختار ٩- جابر بن حيان

(٢٦) لقد قمنا بثلاث شهادات على العصر طبقاً لتقلباته وأحزانه، الأولى «قضايا معاصرة» جزآن في

عمر الثورة وبعد هزيمة ١٩٦٧ وصدر ١٩٧٦/ ١٩٧٧ أثناء الجمهورية الأولى، والثانية «الدين والثورة

في مصر» (ثمانية أجزاء) في عصر الثورة المضادة أثناء الجمهورية الثانية وصدرت عام ١٩٨٩.

والثالثة «هموم الفكر والوطن» في عصر الجمهورية الثالثة ١٩٨١، حتى الآن، وصدرت بعنوان «هموم

الفكر والوطن» (جزآن) ١٩٩٧.

(٣٧) وكان نجيب محفوظ أيضاً محبباً من ثورة يوليو، وظل وفدياً طول عمره المديد، ولم يتوقف عن الإبداع ولم يفادر الوطن. وكذلك الحال مع محمد حسنين هيكل الذى مازال يؤلف مؤرخاً للثورة بالرغم من إحباطاته المتعددة من مسارها.

(٣٨) بدأت هجرة الأساتذة من جامعة عين شمس إلى الكويت، من مصر إلى الخليج ابتداء من المثل الأول: عبد الرحمن بدوى إلى الثانى فؤاد زكريا إلى جيل باكملة. منهم المرحوم عزمى إسلام، إمام عبد الفتاح إمام، محمود رجب، وقد عاد إلى القاهرة ثم إلى الكويت ثم إلى القاهرة، حسن عبد الحميد (وقد عاد أثناء حرب الخليج) وتم استدراج عبد الغفار مكاوى من القاهرة فى أكبر عملية نزيه للعقل الفلسفى فى مصر.

(٣٩) أرسطوطاليس: فى السماء والأثار العلوية ١٩٦١ تصدير ص (ى، ك)

(٤٠) أرسطوطاليس: فى النفس، الآراء الطبيعية المنسوبة إلى فلوطرخس، الحاس والمحسوس لابن رشد، النبات المنسوب إلى أرسطو، وكالة المطبوعات، الكويت، دار القلم بيروت ط٢، ١٩٨٠ تصدير عام ص١-٥٣.

(٤١) أرسطوطاليس: الخطابة، الترجمة العربية القديمة، النهضة العربية ١٩٥٩- تصدير ص (و - ل)

(٤٢) أفلاطون فى الإسلام، دار الأندلس، بيروت ١٩٨٢ ط٣.

(٤٣) «الأفلاطونية المحدثة عند العرب»، إبرقلس «الخير المحض»، «فى قدم العالم»، «فى المسائل الطبيعية»، هرمس «معاد النفس»، أفلاطون «الروابع»، وكالة المطبوعات، الكويت ١٩٧٧، تصدير ص١-٥٥ الطبعة الأولى لجنة التأليف والترجمة.

(٤٤) ابن رشد: تلخيص القياس لأرسطو، وكالة المطبوعات، الكويت ١٩٨٨، ط١ تصدير عام ص٥-٢٤، طباع الحيوان، ترجمة يوحنا البطريق، وكالة المطبوعات الكويت ط١ ١٩٧٧ أبو سليمان المنطقى السجستاني: صوان الحكمة وثلاث رسائل، طهران ١٩٧٤. والرسائل هى ١- رسالة فى المحرك الأول ٢- مقالة فى الكمال الخاص بالنوع الإنسانى ٣- مقالة فى أن الأجرام العلوية طبيعتها طبيعة خاصة وأنها ذات أنف.

(٤٥) الإشارات الإلهية، مطبعة جامعة فؤاد الأول، القاهرة ١٩٥٠ تصدير عام ص أ - ك.

(٤٦) أرسطوطاليس: أجزاء الحيوان، يوحنا البطريق، وكالة المطبوعات ط١ الكويت ١٩٧٨ تصدير عام ص٥-٣٨.

(٤٧) الشفاء المنطق ٩ الشعر - القاهرة - ١٩٦٦ تصدير عام ص٣-٢١.

(٤٨) شطحات الصوفية ١ (أبو اليزيد البسطامى) النهضة ١٩٤٩ ط٣/١٩٧٨. القيم: النور من كلمات أبى طيفور السهلجى، وهو نص غير منشور فى مناقب وشطحات أبى يزيد البسطامى ينسب إلى السهلجى، كتاب مناقب أبى يزيد، (المسلك الجلى فى حكمة شطح الولى) لعبد الفنى التابلسى بالإضافة إلى ملحق نصوص خاصة بالبسطامى، وثلاث ترجمات له، أبى يزيد فى مرآة الزمان لسبط بن الجوزى، (نفحات الأنس) لعبد الرحمن الجامى، (طبقات الصوفية) لعبد الرحمن السلمى، مع قصة لأبى يزيد مع الراهب.

(٤٩) ولما كانت هذه النصوص كلها - تقريباً - تنشر لأول مرة، وقد فقدت أصلها اليونانى، فقد عزمنا على ترجمتها إلى الفرنسية ليسر على الباحثين الأوروبيين غير العارفين بالعربية - وبخاصة المتخصصين فى أرسطو - الاطلاع عليها، وننشر هذه الترجمة فى كتاب قائم برأسه إكمالاً لما بدأناه فى ملحق

كتابنا عن انتقال الفلسفة اليونانية إلى العالم العربي، شروح على أرسطو مفقودة في اليونانية ورسائل أخرى، دار المشرق، بيروت ١٩٨٦ ص ١٧ تصدير ص ٩
(٥٠) «ونرجو أن يجد فيه الباحثون خلاصة مركزة لمذهب ابن سينا كله»، ابن سينا: التعليقات، الهيئة العامة للكتاب ١٩٧٣ ص ١٠ تصدير ص ١٠-٥.

(٥١) ابن سينا: عيون الحكمة، وكالة المطبوعات، الكويت، دار القلم بيروت ١٩٨٠ ط ٢ تصدير عام
(٥٢) «ولعلمهم (اللاتين) لو عرفوه لوجدوا فيه أصفى عرض لمذهب أرسطو في البرهان، فلهذه الميزة أثرتنا بعثه اليوم خير تحية لذكرى ابن سينا الألفية» ابن سينا: البرهان، النهضة المصرية القاهرة ١٩٥٤ تصدير عام ٩-٥٥.

(٥٣) «متجنبن كل التجنب ذلك الترخص الإجرامى فى تغيير النص، ابتغاء تصحيح مزعوم فرضه الجهل وأمله ضيق الثقافة. وهو الترخص المنتشر فى البلاد العربية والشرقية فى هذه الأعوام الأخيرة، لكل ما كان يمكن أن يتصور منهم غير هذا. وهم الذين لم يعرفوا المناهج الفيلولوجية، ولا ثمار الدراسات الكلاسيكية، التى أنفق فيها العلماء الأوروبيون أجيالاً متطاولة، إنما هو الشرق، موطن الاستبداد و الطفيان حتى على النصوص وعلى المؤلفين الأقدمين» ابن مسكويه: الحكمة الخالدة، النهضة المصرية القاهرة، ١٩٥٢ ص ٦٤ تصدير عام ص ٧-٦٤.

(٥٤) أرسطوطاليس: (فن الشعر) مع الترجمة العربية القديمة وشروح الفارابى وابن سينا وابن رشد، القاهرة، ١٩٥٣ تصدير عام ١١-٥٦

(٥٥) ومن يدري لعل وجه الحضارة العربية كله أن يتغير طابعه الأدبى، كما تغيرت أوروبا فى عصر النهضة، وإلى نحو هذه الغاية قصدنا حتى قدمنا اليوم لهذا الكتاب ولا يسير التاريخ بالتمنى ولا يتغير مساره بالرجبات. المصدر السابق ص ٥٦.

(٥٦) «أول كتاب عربى فى تاريخ الفلسفة استقصى فيه صاحبه أخبار الفلاسفة، وتلاها ينبذ من أقوالهم. فى باب الحكم القصار والأمثال «المبشر بن فاتك: «مختار الحكم ومحاسن الكلم»، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٠ ط ٢ ص ١ هذا وننشر الترجمة الإسبانية الأصلية لكتاب مختار الحكم هذا حسب المخطوطات التى آتينا على بيانها من قبل، وهو أمر لم يكن ميسوراً قبل نشر الأصل العربى للكتاب أو الرجوع إلى مخطوطاته، وبهذا نعالج النقص الذى اعتور نشرة كوست من ناحية، ومن ناحية أخرى نساهم فى إحياء أثر من آثار التبادل الثقافى العربى الأسباني فى القرن الثالث عشر، هذا التبادل الرائع المثمر الذى يود (المعهد المصرى للدراسات الإسلامية) فى مدريد إضامة شعلته المقدسة من جديد» نفس المصدر ص ٦٧ تصدير عام ص ١-٦٧.

(٥٧) «وبهذا نكون قد وفينا هذا الشارح الفيلسوف العظيم ابن رشد حقه المهضوم بين بنى قومه»، تلخيص البرهان، وكالة المطبوعات، الكويت ١٩٨٤ «وفى عزمنا أن نوالى نشر سائر ما فى هذين المخطوطتين من تلخيصات لابن رشد حتى نفى هذا الفيلسوف الشارح العربى العظيم حقه المهضوم لدى بنى قومه العرب، ابن رشد تلخيص الخطابة، النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٠ ص ١٥

(٥٨) «ولا نريد أن نتوسع فى هذا التصدير لأننا عزمنا على كتابة تاريخ الباطنية بمختلف فروعها فى الإسلام اعتماداً على ما تيسر لنا الاطلاع عليه من كتب أصحابها من ناحية، وعلى الردود عليها من

ناحية أخرى، لأن مذهب الباطنية لعب دوراً خطيراً، ليس فقط في التاريخ السياسي، بل وخصوصاً في التاريخ الروحي للإسلام منذ القرن الثالث الهجري، ولا يزال له أنصاره حتى اليوم بين الإسماعيلية في الهند وباكستان وأفريقيا الشرقية، والدروز في سوريا ولبنان، والمذاهب المشهورة العديدة المنشقة على الإسلام» الغزالي، «فضائح الباطنية» الدار القومية، القاهرة ١٩٦٤ ص (١٥)

(٥٩) مذاهب الإسلاميين، دار العلم للملايين، بيروت، تصدير ص ٥-٦.

(٦٠) «وبالجملة فقد قصدنا من هذا البحث أن نقدم للباحثين في الغزالي الأداة الضرورية الأولية التي يستطيعون الاستعانة بها في تحقيق مؤلفاته وحصرها أملين أن ينشر من مؤلفاته الصحيحة ما لم ينشر، وأن يعاد نشر غير المحقق منها نشرأً علمياً دقيقاً، توطئة للقيام بأبحاث علمية سليمة عن هذا المفكر الإسلامي العظيم»، مؤلفات الغزالي، المجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، الذكرى المئوية التاسعة لميلاد الغزالي، القاهرة ١٩٦١ ص ١٩ تصدير عام ص ٩-١٩.

(٦١) مخطوطات أرسطو في العربية، النهضة، القاهرة ١٩٥٩.

(٦٢) «فبالى هذه الناحية يجب أن تتوجه جهود الباحثين في ابن خلدون، فهي أجدى على البحث العلمى من كل هذه الدراسات المختصبة المتكلفة التي تقوم على عقد مقارنات لا معقد للصلة بينها، وادعاء، دعاوى يابها التطور التاريخي للفكر الإنساني، وانتحال مذاهب وآراء في المقدمة لا تثبت لأقل نقد ولن تزيد من قدر ابن خلدون شيئاً، حتى إذا ما تحقق النص واستبان المصادر أمكن وضع معجم بألفاظه واصطلاحاته ففتحاً بهذا كله الأداة الضرورية لفهم هذا المؤرخ الفيلسوف الاجتماعي العظيم الذي أنتج - كما يقول توينبي - أعظم كتاب من نوعه ألفه عقل إنساني في أى زمان ومكان. وإلى الإسهام في إيجاد هذه الأداة الضرورية السابقة على كل دراسة لابن خلدون قصدنا بهذه الدراسة عن «مؤلفات ابن خلدون». مؤلفات ابن خلدون، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٢ ص ١٠-١١.

(٦٣) الغلاف باللاتينية على يسار الكتاب لكتاب الخطابة لأرسطوطاليس وكذلك «الإشارات الإلهية». أرسطوطاليس: «أجزاء الحيوان»، عيون الحكمة لابن سينا، الخطابة لأرسطوطاليس، تاريخ العالم لأروسيوس، أفلوطين عند العرب، أرسطوطاليس: في السماء والآثار العلوية، التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية. والغلاف الثاني لكتاب نيتشه بالفرنسية، كذلك الغلاف الثاني لكتاب «مخطوطات أرسطو في العربية»، «التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية»، الشعر من كتاب الشفاء لابن سينا، رسائل فلسفية (الكندي والفارابي وابن باجة وابن عدي)، أفلاطون في الإسلام، وبالإسبانية «مختار الحكم ومحاسن الكلم».

(٦٤) «ونرجو أن يكون في إحياء تراث هؤلاء الأفاضل المغمورين بعض الاعتراف بأفضالهم وجلال أعمالهم»، أرسطوطاليس: الطبيعة (جزءان)، الدار القومية ١٩٦٤ ج ١ ص ٢٨.

(٦٥) رسائل فلسفية (الكندي والفارابي وابن باجة وابن عدي)، دار الأندلس بيروت ١٩٨٠ تصدير عام ص ٢١-٢٠، دون بيان الفرق بين النشرتين القديمة والجديدة أو اختلاف منهج التحقيق في طريقة إكمال النص بالحد الأقصى (محسن مهدي) أو الحد الأدنى (بدوي) والرسائل منشورة سلفاً، باستثناء رسالتين. ويحتوي التصدير العام على مادة استشرافية. وربما كان الهدف هو إبراز حكمة اليونانيين أحد كنوز حكمة الأمم، وهو هدف الليبرالية المصرية: الارتباط بالغرب وبمصادره.

(٦٦) «ونحن قوم قد تطور لدينا النثر في نهضتنا الحديثة في اتجاه أدبي باعد كثيراً بينه وبين التلاؤم مع النثر الفلسفى الذى يمتاز بالإيجاز والإحكام. ولابد لنا - من أجل إيجاد نثر فلسفى ظاهر القيمة - أن نعود إذن إلى ذلك النثر الفلسفى العربى القديم فنتأثره ونستلهمه كما فعلنا من قبل بالنسبة إلى النثر الأدبى. لهذا ترانا فى حاجة ملحمة إذا إلى الاستعانة بالترجمات القديمة للمؤلفات اليونانية نستغلها ونديم الاطلاع عليها حتى نحقق فى النهاية ذلك النثر الفلسفى الجديد الذى نرنو بأبصارنا المتطلعة بلهفة إلى إيجاده. وليس فى هذا كله ما يدعو إلى أسر المرء لنفسه فى قيود الماضى اللغوى بل هو - على العكس من هذا - يشد من أزر التوثب إلى خلق لغة جديدة لأن العود ها هنا عود استلهم واستيحاء لاعود تقليد واقتصار واكتفاء. فليطمئن للمجدين بالهم من هذه الناحية كل الاطمئنان». منطلق أرسطو، النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٤٨ ج ١ ص ٩.

(٦٧) «الآن وقد أكملنا تحقيق ما وصل إلينا من التراث الفلسفى اليونانى وأتممنا نشره بين الناس فإنه يحق لنا أن ننظر نظرة إلى الوراء وأخرى إلى الأمام، نتأمل فى الأولى عناصر هذا التراث وكيف عرفه العرب، وفى الثانية نستخلص النتائج بالنسبة إلى ماضى الثقافة العربية ومستقبلها على السواء» دراسات ونصوص فى الفلسفة والعلوم عند العرب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ١٩٨١ ط ١ ص ٧.

(٦٨) «والأمر نفسه ينطبق على ما نصبو إليه اليوم من حضارة عربية إسلامية، لكن ليس - فقط - بالنسبة إلى التراث اليونانى بل وأيضاً بالنسبة إلى الإنتاج الأوروبى الحديث والمعاصر. أما بالنسبة إلى هذا الأخير فعلياً أن نصنع صنيع أجدادنا مع التراث اليونانى، فننقل أمهات الإنتاج الفكرى الأوروبى الحديث والمعاصر إلى العربية وتتولاه بالشرح والتحليل والعرض المبين مواكبة لتيار الفكر العالمى» المصدر السابق ص ١٣.

(٦٩) «أما بالنسبة للتراث اليونانى فعلياً أن نصنع صنيع الأوروبيين معه اليوم فنعيد ترجمته من جديد حسب ما وصل إليه التحقيق النقدي لنصوصه» المصدر السابق ص ١٤.

(٧٠) «وينبغى أن يتم هذا كله فى حرية تامة بعيداً عن كل سلطة رسمية وعن كل إشراف متطفل، وعلى أيدى من يتقنون اليونانية ويتميزون بجودة العبارة بالعربية ويحيطون علماً بدقائق الفلسفة اليونانية» المصدر السابق ص ١٤.

(٧١) «إنما الشئ المؤلم حقاً هو أننا لا نعثر فى الربع قرن الأخير على نظراء لهؤلاء العلماء الأفاضل، رغم ازدياد عدد المشتغلين بتاريخ العلوم عند العرب ممن لا عمل لهم غير الترتة فى المؤتمرات والتباهى بالضئيل التافه من الوريقات» المصدر السابق ص ٥٤.

(٧٢) «ما أعجب حظ أفلوطين فى العالم العربى» أفلوطين عند العرب، النهضة ١٩٦٦ تصدير عام ١-٦٦.

(٧٣) «روح مذهب أرسطو كانت بعيدة عن إشباع نوازع الروح فى الحضارة العربية لأنه كان يونانيا خالصاً، أما أفلاطون الذى سرى فيه الروح الشرقى فكان أقرب إلى روح العربية، أرسطو نفسه لم يستطع الظفر بحق المواطن فى الحضارة العربية إلا بعد أن طعم بدماء أفلاطونية وأفلوطينية» المثل العقلية الأفلاطونية، وكالة المطبوعات، الكويت، دار القلم، بيروت، ص ٧-٦١.

(٧٤) «ولسنا نزع هنا فى شئ أننا سرنا عليها بالدقة المطلوبة، فهيهات هيهات. إنما بذلنا الوسع فى الاقتراب منها وكلنا أمل فى اطراء هذه الأعمال البشرية نحو التدقيق وزيادة العناية، حتى نضع بهذا

لبينات الأساس للنزعة الإنسانية ذات الأصول العربية القديمة التي نسترسل بأمانينا إلى إيجادها استهلالاً للحضارة الجديدة التي نرجيها، أرسطو عند العرب، دراسة ونصوص غير منشورة، وكالة المطبوعات، الكويت ط٢، ١٩٧٨، تصدير ص٦-٦١.

(٧٥) «وهكذا جمعت النزعة الإنسانية العربية بين تراث أثينا وتراث روما»، أورويسوس، تاريخ العالم. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ٨٢ ج١/ ١٩٨٢، تصدير ص٥.

(٧٦) «وهذه النزعة الإنسانية العالمية - التي بشر بها الحلاج ومجدها ابن عربي ودعا إليها ابن سبعين - هي نتيجة منطقية لقولهم بوحدة الوجود وأنه ليس ثم إلا الله. فكيف يحق له بعد هذا أن يفرق بين ناس وناس، وبين وطن ووطن. نعم إن حبهم الشامل يشمل الإنسانية كلها بل والوجود كله، وإن نظرتهم وأفاقهم تنتظم الكون بأسره». رسائل ابن سبعين، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، ١٩٦٥، ص١٦.

(٧٧) «أن لنا أن ننفذ إلى صميم الحياة الروحية في الإسلام» شخصيات قلقة في الإسلام، النهضة المصرية - القاهرة ١٩٦٤ ص٣ «لكن ليس معنى هذا أننا نلعن أمثال هذه الحركات كل اللعنة بل لا نرى غضاضة في قيامها. ماذا أقول! بل نحن ندعو إلى إيجادها في اللحظة التي تكون النزعات التأويلية المغالية قد استنفدت إمكاناتها في مرحلة ما من تطور الدين، لكن لا على أن تحل محل هذه الأخيرة بل لتدعوا إلى تأمل نفسها وما قطعت من مراحل ولتزداد من معارضتها ومقاومتها قسوة وصلابة، فلكي يتحقق هذا التوتر الحي الذي بدوره تكون هذه النزعات المغالية نفسها في خطر الجنوح إلى التحجر في تطورها - إن صح هذا التعبير الذي قد ينيبني على شيء من التناقض - كان لابد من الإصابة بهذه الأمراض المؤقتة ولهذا فإننا ندعو إلى الاحتفاظ بكل النزعات المتناقضة حتى يكون في حدة توترها حياة غنية للدين الذي تقوم في أحضانها» المصدر السابق ص (ج - د).

(٧٨) هذه النصوص هي:

- ١ - ماسنيون: سليمان الفارسي والبواكير الروحية للإسلام في البداية
- ٢ - ماسنيون: دراسة عن المنحنى الشخصي لحياة: حالة الحلاج الشهيد الصوفي في الإسلام
- ٣ - كوريان: السهروردي الحلبي مؤسس المذهب الإشراقي
- ٤ - السهروردي: (رسالة أصوات أجنحة جبرائيل) ترجمها من الفارسية بول كراوس وترجم بدوي شرحها الفارسي وفصلاً من مقدمة كراوس وكوريان.
- ٥ - ماسينيون، المباشرة.

(٧٩) إن شخصية السهروردي «قد تنبئت - خصوصاً - إلى أصولها العنصرية فشأت أن تتصل مباشرة باليتاييع الإيرانية الأولى، تستلهمها المقومات الجوهرية لتكوين المضمون الروحي للعقيدة ذات المصدر العنصري الأجنبي، حتى جاء تأكيداً كاملاً في ناحيتين: الطابع العنصري الفارسي، والروحانية الشرقية. لهذا جاء النموذج الأعلى للشرقي بالمعنى العميق الدقيق لأنه هو الذي أقام النزعة الإنسانية في الحضارة العربية مستمدة من أصولها الحقيقية، أعنى الشرقية الخالصة»، المصدر السابق ص (هـ).

(٨٠) «وإذا كان سيقدر لنا - معشر العرب اليوم - أن ننشئ حضارة جديدة فإن مشكلتنا اليوم مع الحضارة الأوروبية الحديثة المعاصرة - وهي الآن في دور النهاية وإفساس الطريق لحضارة مقبلة سيبزغ فجر ربيعها في نهاية هذا القرن أو مطلع الألف الثالث - هي بعينها نفس المشكلة التي عاناها

أسلافنا الذين أنشأوا تلك الحضارة العربية. فهل لنا أن نستنبط العبرة من تلك التجربة الأليمة البائسة التي عاينها أولئك الأسلاف» المصدر السابق ص ١٥-١٦

(٨١) «وأنا زعيم كذلك بأن هذا المعنى - وهو وحده - خليق بأن يردنا إلى الجادة المستوية التي تقادنا صواها البارزة إلى الغاية التي نرغبها في غير ما صلف نافر ولا وراء بدون غناء» «روح الحضارة العربية»، دار العلم للملايين - بيروت ١٩٤٩ ص ١١ «والصلة طردية في التأثير عكسية في الأصالة» المصدر السابق ص ١٢ «وكان الكفاح عنيفاً مريباً شائناً - في الوقت نفسه - بين ضرورة التأثير اللازمة وبين نوازع الأصالة المتوثبة» المصدر السابق ص ١٢

(٨٢) روح الحضارة العربية، ص ١٢-١٣.

(٨٣) روح الحضارة العربية ص ١٤ ص ١٥.

(٨٤) «والمسائل التي يثيرها ما هنا من الخطورة بحيث لا تحتل التلخيص دون المناقشة والرد أحياناً، أما وليس ما هنا مجال لهذا فمن الخير أن ندع الخوض فيها ولو إلى حين»، روح الحضارة العربية، بيروت، دار العلم للملايين ١٩٤٩ ص ١٣٤.

(٨٥) «القصود من الترجمة إغراء القراء بقراءة الكتاب الذي لا يقتصر فقط على الأوروبيين الذين يجدون فيه صورة واضحة للتراث العربي بل يمتد إلينا نحن العرب» المصدر السابق ص ١٣٧.

(٨٦) المصدر السابق ص ١٣٨ - ١٥١.

(٨٧) «خليق أن يعرض للغربي صورة دقيقة للحياة الروحية في الإسلام في إطاره العالمي، وخليق كذلك أن ينقل إلى العربي في لغته كيما يجد فيه نفسه زخرة بمعان تتلمس سبيلها في نطاق الروحية العليا» المصدر السابق ص ١٥١.

(٨٨) «الوثبة الكبرى التي تشاهدها البلاد العربية اليوم بسبيلها خليفة بأن تعيد التوازن مرة أخرى بين العالم العربي والعالم الغربي بعد أن اختل، منذ انهيار الإمبراطورية الإسلامية في القرن الثالث عشر الميلادي» المصدر السابق ص ١٤٥.

(٨٩) التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية، وكالة المطبوعات، الكويت، دار القلم، بيروت ط ٤. ويضم أربعة فصول:

١- وارث ومورث، تراث الأوائل في الشرق والغرب لكارل هينرش بكر.

٢- انتقال التراث: من الإسكندرية إلى بغداد، ماكس مايرهوف، التراجم الأرسطاطاليسية إلى ابن المقفع ليول كراوس.

٣- الدين والتراث: موقف أهل السنة القدماء بإزاء علوم الأوائل لأجنسس جولدزيهر، بحوث في المعتزلة لكارلو ألفونسو نلينو، العناصر الأفلاطونية المحدثة والفنوصية في الحديث لأجنسس جولدزيهر.

٤- معارضة التراث: محاولة إيجاد المسلمين فلسفة شرقية لكارلو ألفونسو نلينو مع ملحق وتراجم للمستشرقين الثلاثة، بكر، جولدزيهر، نلينو.

(٩٠) وما نحن أولاء نقدم هذه الترجمة لدراسته الرائعة عن الخوارج والشيعية، تقديمها خالصة من فصول التعليقات الزائفة التي انتشرت بيننا، عادة حشو ترجمات كتب المستشرقين بها، انتشاراً يدعو إلى بالغ الأسف، ونرجو أن تكون للقارئ العربي مصدراً ثميناً من مصادر العلم بتاريخ العرب والإسلام ونموذجاً يحتذى مناهجه حين البحث في هذا التاريخ الذي لم نكُن نحن الباحثين العرب أن نسهم فيه بما يُعتد به حتى اليوم، مع أنه تاريخنا نحن، وأخلق الناس بالمساهمة فيه»، فلهاوزن: الخوارج

- والشيعة، النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٨ ص (ك).
- (٩١) أسين بلاثيوس: ابن عربي، حياته ومذهبه، وكالة المطبوعات، الكويت، دار القلم، بيروت ١٩٧٩ تصدير ص ٧-٢٠.
- (٩٢) وهما دراستان: نظرية الإنسان الكامل عند المسلمين، مصدرها وتصديرها الشعبي لهانز هنريش شيدر، الإنسان الكامل في الإسلام وأصاليته المنشورية للوى ماسنيون، بالإضافة إلى نصوص غير منشورة حققها المترجم وملحق خطبة البيان، الإنسان الكامل في الإسلام، دراسات ونصوص غير منشورة، النهضة، القاهرة، ١٩٥٠.
- (٩٣) «بين تأليه الإنسانية وتأسيس الألوهية سعت فكرة الإنسان الكامل في الحضارة الإسلامية حتى عبر هوة اللانهاية بين المخلوق والخالق، تلك الهوة التي انبثقت عن ينبوع الروح السحرية فكانت مصدراً مزبوحاً لقطبين متناقضين لديانتها وإدانتها. وفي حنايا هذا السعى الجميل تلبّثت مرارا لتستزج أنسام الانعتاق من أسر العبودية التي فرضتها على نفسها أزلية أبدية، حتى عدت الحرية التي استباحتها لذاتها في لحظاتها العالية لونا من التجديف بل الكفران. فما من عجب بعد هذا في أن يكشف لنا تطور هذه الفكرة عن مصير الوجود الإنساني في تلك الحضارة، أعنى عن مطامعه ومصارعه، عن ملامية ومأسية. والفكرة بدأت دنيوية وانتهت أخروية في توازن تام مع مال الروح العربية التي استهلكت وجودها قوية، أعنى إنسانية، ثم خرت صريع العلة الأولى القاطنة، علة الاستقطاب الذي مزقها فأسلمها - في نهاية المطاف - إلى قوى خارقة، أعنى لا إنسانية، أفما أن لنا اليوم معشر صحبي أن نستنبط العبرة كل العبرة من تطور تلك الفكرة؟» المصدر السابق ص ١٤.
- (٩٤) شهيدة العشق الإلهي، رابعة العدوية، النهضة المصرية.
- (٩٥) «وسنوالى دراسة سائر مراحل تاريخ التصوف الإسلامى، قرنين قرنين، حتى نستقصى تاريخ هذا الجانب الأصيل العميق فى الحياة الروحية فى الإسلام» تاريخ التصوف الإسلامى من البداية حتى القرن الثانى، وكالة المطبوعات، الكويت ١٩٧٥.
- (٩٦) يتضمن مجرد أربعة فصول تقليدية أشبه بالمقررات الجامعية. الأول عن المصادر، والثانى عن زهد النبی والصحابه، والثالث عن الحسن البصرى وأصحابه، والرابع عن كبار الصوفية فى القرن الثانى.
- (٩٧) «قصدا إلى إحياء بعض من العناصر الممتازة الخليفة بالبقاء فى راثنا العربى حتى نعانى من رداء تمثله من جديد تجربة حية خصبة، من شأنها أن تهين لنا حاضرا أبديا، فى كيانه المتصل تجتمع إمكانيات تطورنا الروحى القومى. فتتداعى اللحظات الزمانية لوجودنا الواعى وهو بسبيل الوثبة الخارقة إلى نطاق المجد الحضارى المأمول. وفى أهدافنا إلى تلك الغاية حاولنا أن نتجافى عن التمجيد الزائف بقدر ما نبذنا الازدراء المتعالى، على الرغم مما قد يفيد كلامنا فى أحوال نحسب أنفسنا قد صرنا من جانبنا بمعزل عنها: من فوقها أو من راثنا سواء. فقد أن لنا أن نذر ذلك العهد السلبى كى ما نشد خيوط المصير إلى نول الإيجاب والبناء» الإنسانية والوجودية فى الفكر العربى، وكالة المطبوعات، الكويت، دار القلم، بيروت، ١٩٨٢ ص ٧.
- (٩٨) «نقدم نموذجا أوليا لما عسانا أن نقوم به فى هذا السبيل، ونقول: أوليا، لأنه لا تزال تعوزه الشجاعة والحرية والتمرد والخصب. فعلينا أن نوغل فى هذا الطريق إلى أبعد حد غير مكثرين مطلقا لحشرجات الجيف الحية التى تزعم فى نفسها القدرة على الوقوف فى وجه التحرير الأكبر الذى نفذ فى سبله رغما عنهم. وأشهد أنى توسعت هذا السيل يشق مجراه الظافر فى نفوس الصفوة من

شباب لبنان فإليهم وإلى أترابهم من شباب العرب في كل الأمصار أقدم هذه الصفحات التي تفيض بالإيمان بهم وبما ينتظرونا من مصير وضاء» المصدر السابق ص ٨ - ٩.

(٩٩) «ذلك الفعل الأصيل للإنسان في تحقيق ممكناته، ونعني به النزعة الإنسانية حتى تقوم هذه المرحلة التمهيدية الحاسمة على أساس ثابت يمتد فرعه إلى سماء التوثب المتصاعد في معراج اللانهاية» المصدر السابق ص ٧ - ٨.

(١٠٠) «ولما كانت النزعة الإنسانية تواكبها بالضرورة - كمعبر إلى الصورة الجديدة - نظرة صوفية تنبع من أعماق الوجود الأصيل للروح الحضارية وهي في دور تكوينها ونشونها - إذ للصوفية أثر خطير في تشكيل تلك الروح في هذا الدور - فقد كان علينا أن نعود إلى تجربتنا الصوفية التاريخية لنستعينها في تجربتنا الحاضرة فنشجع فيها الحياة بفضل آخر صورة قدر لها الظهور في الحضارة المحتضرة، وهي المذهب الوجودي الذي يقوم على الحد الفاصل بين كلتا الحضارتين المتداعية والناشئة، شأنه شأن الأفلاطونية المحدثه فيما بين الحضارتين المتداعية والعربية أو اليونانية والأوربية الغربية» المصدر السابق ص ٨.

(١٠١) «والشعر من غير شك هو التعبير العاطفي المناظر للتجربة الصوفية في الدور الأول للحضارة الوليدة. ولهذا كان عهد ازدهاره الأعلى في تلك الفترة في كل الحضارات... وهو الشعر الوجودي» المصدر السابق ص ٨.

(١٠٢) وهنا يأتي الدين صورة ثالث في تناظر كامل مع الصورتين الأخريين على أن يستحيل إلى تصور جديد تراعى فيه مقتضيات الروح الجديدة على الرغم مما قد ينال الصورة القديمة من تعديل بل من تحويل كامل يصل أحياناً حد النسخ المطلق وإلا لما كان فيه بعد غناء» المصدر السابق ص ٩.

(١٠٣) «وما نحن أولاء اليوم - معشر الشباب العربي المتوثب - بسبيل إيجاد نزعة إنسانية جديدة ولكننا لا نزال حيارى في معرفة الطريق إليها. إنما يخلق بنا أن نعتبر بالتجربة الإنسانية التي عاناها أسلافنا هؤلاء. تلك منى دعوة وتحذير معاً» المصدر السابق ص ٦٩.

(١٠٤) «إمكان اتخاذنا من الصوفية الإسلامية مصدراً نصدر عنه في مذهبنا الوجودي العربي الذي نريد إقامته فلسفة شاملة لجيلنا هذا في العصر لا يعني نبذ كبر كجارد وهيدجر وياسبرز فلولاهم لما عرفنا الوجودية وألبحث عن مصادرها العربية، هم المصدر الأصلي تتمثلهم حتى يتيسر لنا إقامة وجودية عربية راسخة الدعائم مثبتة القواعد، ثم لا ننبد هم بل نودعهم حتى آخر حدود بلادنا العربية بحضارتها الجديدة شاكرين لهم زيارتهم الخصبة المبدعة لعالمنا الفكري قائلين: إلى اللقاء في الميدان العام للروح الإنسانية الواحدة. ومن يدري لعلمهم أن يصبحوا آنذاك هم الآخرون من عشيرتنا الأقربين» المصدر السابق ص ١٠٦ - ١٠٧.

(١٠٥) «فأية روعة في تقويم الحرية الفكرية نراها غير الرسول وأصحابه. إن في هذا لأنبل نموذج لتقدير حرية الفكر وتقديس الكرامة الإنسانية. وإن فيه لأعمق عبرة نفيد منها في احتفالنا بمولده الكريم» المصدر السابق ص ١٦٠.

(١٠٦) «تلك هي الملامح الإجمالية العامة لصورة هرمس في تطورها حتى الفكر العربي، وفيها نبدي في الوقت نفسه المميزات البارزة للروح العربية، وبخاصة ما يتصل منها بالنزعة الإنسانية» المصدر السابق ص ١٧٥.

(١٠٧) «أولا يسع المرء إلا أن يمتلئ إعجاباً بهذا الجو الطليق الذي هيئه الإسلام للفكر في ذلك العصر،

مما يدل على ما كان عليه العقل الإسلامى فى ذلك العصر من خصب ونضوج. أترى يتحقق مثل هذا الجو مرة أخرى فى حضارتنا العربية التى نأمل فى إيجادها؟»

من تاريخ الإلحاد فى الإسلام، دار سينا للنشر، ط ١ / النهضة ١٩٤٥، ط ٢ / ١٩٩٣، ص ٢٦٣

(١٠٨) التأليف حوالى ٩٠ صفحة والترجمة حوالى ١٧٠ صفحة، أى الضعف.

(١٠٩) (ابن المقفع) تأليف جابريللى ، (باب برزويه) تأليف بول كراوس، (تعليقات على ابن المقفع) تأليف تالكينو.

(١١٠) المصدر السابق ص ٨٩ - ٢١٩.

(١١١) وسيجد القارئ أن أسلافنا هؤلاء بلغوا فى التحرر الفكرى فى أمور العقيدة مبلغاً عظيماً صرنا نتمنى اليوم أن نصل إليه بل أن نقرب منه. ونرجو من وراء هذا أن يكون وسيلة إلى تجديد التفكير الإسلامى بعامة بحيث يجعل نقطة انطلاقه من آخر مرحلة وصل إليها هذا الفكر المتعمق الواسع الأفاق بعد أن ران علينا خلال سبعة قرون أو يزيد جمود شديد. فمن هذه المناهل الثرية الأصلية المتدفقة ينبغى أن يكون دورنا واستلها منا» مذاهب الإسلاميين، دار العلم للملايين، بيروت ج ١، ١٩٧١ تصدير ٣-٤.

(١١٢) ثم إنى - بطبعى - أرفض كل دعوى تدعى لنفسها أنها وحدها تملك الحق أو أنها وحدها تمثل الدين الصحيح، وشواهد تاريخ الأفكار أبلغ دليل على تهاقت هذا الادعاء. والخير كل الخير فى أن يكون الدين مفتوحاً لكل الاتجاهات، غنياً بشتى التجارب، حافلاً بديناميكية الحياة، إن تعثر فى الشكل نبذه أو استبدله. وإن افتقر فى المضمون أغناه وتعمقه» مذاهب الإسلاميين ج ٢ ص ٥-٦.

(١١٣) «وبالجملة ففى الكتابين أفكار سياسية عصرية إلى أقصى حد. ولو قدر لولاة أمور المسلمين أن يراعوها حق رعايتها لما انهارت دولة الإسلام انهياراً لم تنهض منه حتى اليوم. ونحن نرجى أن يكون فى تدبير المعانى العالية التى يتضمنها هذان الأثران النفيسان ما يحفزنا نحن العرب والمصريين بخاصة إلى أن ننشئ دولة الغد العربية الواحدة الشامخة والأصول اليونانية للنظريات السياسية فى الإسلام» النهضة، القاهرة ١٩٥٤ ص ٧٥.

Défense du coran contre ses cirtiques unicite Paris 1989 PP 4-8 (١٧٤)

ويضم:

- ١- ماذا يعنى الوصف «أمى» الذى يطلق على النبى محمد (ضد شبرنجر، فنسك، هوروفتزيل.
- ٢- الموازنة الخاطئة بين القرآن والعهد القديم (ضد چيجر، هيرشفيلد، سيدرسكى جانو - بل - أندريه - كليرمونت.
- ٣- معنى كلمة «فرقان» (ضد بلاشير).
- ٤- الافتراضات الخيالية لمرجوليوت.
- ٥- اجتئس جولديزهر والقياس الخاطى بين الإسلام واليهودية.
- ٦- الصابئون فى القرآن (ضد بيدرسون، كارادى فو).
- ٧- الرسل فى القرآن (ضد تخيلات فنسك).
- ٨- قراءة هللنستية خيالية للقرآن (ضد موير - بل آرثر).
- ٩- هل للبسملة مصدر فى العهد القديم (ضد نولدكه - شقالى).
- ١٠- فشل كل محاولة لترتيب زمانى للقرآن (ضد نولدكه، جريمه، بلاشير، بل).

١١- مشكلة الألفاظ الأعجمية في القرآن (ضد دفورجاك، فرانكل، جيفرى، مينانا)

١٢- حول النداء القرآني «يا أخت هارون» (ريلان، إيرهارت).

١٣- مشكلة هامان

Défense de la vie du prophète Muhammed contre ses detracteurs. (١١٥)

Ed.Afkar. paris 1990 pp 5-6.

ويضم ستة فصول ومقدمة.

مقدمة: أسطورة محمد في أوروبا، عشرة قرون من الكذب الشرير والتهم الكاذبة.

١- صدق محمد فيما يتعلق برؤاه للملا الأعلى.

٢- حسية الرسول المفترى عليها.

٣- سياسة محمد تجاه خصومه: محمد واليهود، محمد والمسيحيون، سياسة محمد تجاه العرب

٤- وفاء محمد بالعهود المعقودة.

٥- النظم الإسلامية والتأسيس النهائي لها من الرسول: الصلاة، الصوم، الحج، الزكاة، الاختلافات بين الإسلام والاشتراكية.

٦- نقد الصحة التاريخية للرسالة، خطب الرسول وأحاديثه.

(١١٦) «هذه صفحات أملتها قشعريرة فكر تجلى له الموت على قمة العدم، فأضاء لذات السبيل للكشف عن الحياة اللبنة، وهي تتبع من عين الوجود. وما هي ندى تسلك الطريق إلى سدرة المنتهى حيث تلتقى ذروة البقاء بهايوة الفناء «الموت والعبقريّة»، دار القلم، بيروت ص (ج).

(١١٧) من الغربيين يميل إلى ستفانز فايچ، وهيلدرن، وماريه بسكرنست، ونوفاليس، وأوغسطين، وموريس دي جران، ومن العرب والمسلمين يميل إلى امرئ القيس وعمر بن أبي ربيعة، والرازي وابن سينا والحاتر المحاسبي والغزالي وعبد اللطيف البغدادي ولسان الدين بن الخطيب وابن خلدون والجزري والسخاوي والشعراني ومسكويه وحنين بن إسحق وابن الهيثم وعلى بن رضوان المصري والبيهقي والسموأل

(١١٨) «هذه دراسة بسيطة موجزة عن الوجودية قصدت منها إلى إعطاء القارئ العربي فكرة واضحة عن المذهب الذي اختلط اسمه في ذهنه بمعان ليست لها به أية صلة، رغم أن الوجودية مذهب في الوجود محدد تمام التحديد يقوم على مبدأ أساسى سهل بسيط، هو أن وجود الإنسان هو ما يفعله. فأفعال الإنسان هي التي تحدد وجوده وتكونه. ولهذا يقاس الإنسان بأفعاله. فوجود كل إنسان بحسب ما يفعله، وذلك ضد مذهب القائلين بالماهية، أى الذين يفترضون ماهية سابقة على وجود الإنسان وغنها تنشأ أفعاله ووفقاً لها يحكم عليه وبها يحدده» دراسات فى الفلسفة الوجودية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط/١ ١٩٨٠ ص ٥.

(١١٩) فى الشعر الأوروبى المعاصر، الأنجلو المصرية القاهرة ١٩٦٥، يتضمن دراسات عن رلكه فى مصر، هيلدرن، ولوركا، وسان جون بيرس، وكوكتو الشاعر والنقاد. وكلوديل والشعر، ونيتشه، وشوبنهاور وهيجل وعلاقتهم بالشعر والموسيقى، وهرمان كوهن واشبنجر وعلاقتهم بالموسيقى.

(١٢٠) «الأدب الألماني فى نصف قرن»، الكويت ١٩٩٤ سلسلة عالم المعرفة ١٨١.

(١٢١) تضم المقدمة حياته وشعره، والعلاقة مع الأميرة ماريه تورن، وتاكسس وتنقلاته فى باريس، وألمانيا، وسويسرا، ونشاطه إبان الحرب العالمية الأولى وعن قصائده الأخيرة ومرضه ووفاته.

(١٢٢) «والشخص المبدع هو الذى يعكس فى روحه كل خصائص الحضارة التى ينتسب إليها، ويؤده يعطيها خصائص جديدة. فهو إذن سلبي يخضع لخصائص الحضارة من ناحية، ومن ناحية أخرى إيجابى يخلق للحضارة ميزتها ويضع لها قيماً خاصة. ومعنى هذا أن للفردية والشخصية دخلاً كبيراً فى تكوين كل فلسفة. وبهذا نكون قد أرضينا النزعة الفردية، وعلى هذا المنهج الذى رسمه لنا اشبنجلر سنسير فى دراستنا لتاريخ الفلسفة اليونانية. (ربيع الفكر اليونانى، النهضة المصرية، القاهرة ١٩٤٦ ص ٣٢)

(١٢٣) «وما نحن أولاء نجدد اليوم هذا النداء متوجهين به إلى المؤمنين بالروح الجديدة لحضارة جديدة، كى تثبت الإنسانية فى عرشها من جديد فى العصر الذى سادت فيه الآلية، فاختنق الإنسان تحت نيرها. الجبار الذى لا يرحم. ولكننا أمل وثاب فى أننا نستطيع نحن المؤمنين بهذه الروح من أبناء هذا الجيل أن نقيم إن عاجلاً أو آجلاً عالماً ممتازاً من القيم الروحية الإنسانية العليا» المصدر السابق ص (ج)

(١٢٤) «وأفلاطون هذا الحى، هذا الملهم الأكبر، هو الذى تقدمه الآن إلى المؤمنين بالروح الجديدة لحضارة جديدة من أبناء هذا الجيل. تقدمه هنا مادة ساذجة حاولنا - قدر المستطاع - أن نستخرجها كما هى فى متحف التاريخ، أعنى كمضوحى فى روح الحضارة اليونانية. مثل - هو وأستاذه سقراط وتلميذه أرسطو - صيف هذه الحضارة - أى أوجها وأعلى ما بلغته من سمو حضارى، وهم - من أجل هذا - يكونون ثلوثاً عضوياً متحد الأقانيم، الأب فيه سقراط، والابن أرسطو، والروح القدس أفلاطون، إن جاز لنا أن نستخدم مثل هذا التشبيه. واستمنا فى إعداد هذه المادة بالنتائج التى انتهى إليها قرن من الدراسات الفيلولوجية الدقيقة استخلصناها نقيّة من غبار النقد الفيلولوجى وأشعنا فيها الحياة بفضل المنهج الحضارى والتجربة الحية، حتى أتت - فى النهاية - تمثلاً من المرمز الناصع لا أثر فيه لصناعة الفنان. لكنه تمثال على كل حال. فدع لأولئك المؤمنين أن يتمثلوه فى نفوسهم حتى يستحيل إلى تجربة حية عميقة، ويشيع فى باطنهم روحاً جديدة، ويصورونه على غرارها، فيكون ينبوعاً دافقاً من ينباع الخلق الروحى المنشود».

أفلاطون، النهضة ط/٢، القاهرة ١٩٥٤، تصدير عام.

(١٢٥) «وما نحن أولاء نقدم لهذا المارد الفكرى صورة تحليلية دقيقة، راعينا فيها التطور الحى، أعنى الأشكال المستمرة والتوتر الفكرى الحاد والتناقض الخصب الذى ينحل على أساس المنهج التاريخى حتى نستطيع أن نجدد فى نفوسنا اليوم ما عاناه من تجربة حية هائلة لعلها أن تكون أعظم ما عرفتة الروح الإنسانية من تجارب حتى الآن» أرسطو، النهضة المصرية ط/٢، ١٩٤٤ ص (ى).

(١٢٦) «فوداعاً إذن أيتها الروح الإلهية الخالدة، وداعاً أيتها المعجزة الإنسانية الكبرى، وداعاً أيتها الرمز الأعلى للنبل والحق والجمال. ها أنت قد حققت الصورة العليا للإنسانية وتجسدت كل القيم الأزلية، وهديت الإنسان سواء السبيل، وما على الأجيال المتلاحقة إلا أن تقيم لعبادتك المراسم والطقوس صابرة فى كل نبيل من الفعال عن وحيك. وما علينا - نحن المؤمنين بقداسيتك المستلهمين لروحك - إلا أن نحاول اليوم جهداً أن نجددك وأن نخلق روحاً جديدة على غرارك، إن كان شئ من هذا فى الإمكان». خريف الفكر اليونانى، النهضة المصرية، القاهرة ط/٢، ١٩٤٦ ص (و).

(١٢٧) «وهكذا ينبثق من ظلمات أوائل العصور الوسطى فجر العلم والفكر الحديث، والفضل فى ذلك لاجال الفلسفة فى العصور الوسطى جميعاً. فبهم تخلصت الإنسانية من قيود العبودية الفكرية،

واندفعت إلى طريق الحرية التي تسير فيه قدماً إلى مستقبل وضاء.

فلسفة العصور الوسطى، النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٢ ص (يد)

(١٢٨) يضم (ربيع الفكر اليوناني) - بعد مناهج تاريخ الفلسفة والروح اليونانية - استعراضاً للمدارس الأيونية والفيثاغورية والإيلية وهرقليطس وأنبادقليس والذريين وأنكساجوراس والنزعة السوفسطائية التي تمثل عصر التنوير.

(١٢٩) سقراط، البداية والمنهج، ثم الأخلاق والطبيعيات والإلهيات، حتى صحة المصادر. ثم حياة أفلاطون

والمشاكل الأفلاطونية، بداية بنظرية الصور ثم الطبيعيات والنفس والأخلاق والسياسة والدين والفن.

(١٣٠) لم نستطع - للأسف - الاطلاع على ثلاث دراسات له تمت في بنغازي بليبيا عن «المدرسة

القورينائية» بنغازي ١٩٦٩ كرنيداس القورينائي، بنغازي ١٩٧٢. سونسيسوس القورينائي، بنغازي

١٩٧٢.

(١٣١) وذلك مثل أوغسطين، أريجين، بوناغنتورا، لا تسليم، إيبيلار، توما الأكويني، ذنرسكوت، وليم أوكام،

كأعلام.

(١٣٢) «كشف رائع عن جانب رائع من عبقرية هذا المفكر العربي الفذ الذي نحتفل بترائه العلمي هذه

الأيام»، دور العرب في تكوين الفكر الأوروبي، وكالة المطبوعات، الكويت، دار القلم، بيروت ط/٣،

١٩٧٩ ص ١٤٢.

(١٣٣) «لاستعدنا هذه المكانة في الفكر الإنساني في الحاضر والمستقبل، الذي نرجيه مشرقاً زاهراً

إنسانياً عالمياً كما كان في الماضي» المصدر السابق ص ١٦١.

(١٣٤) «لئن كانت الحرب الماضية قد هيأت الفرصة لهذا الوطن كي يثور ثورته السياسية، فلعل هذه

الحرب الحاضرة أن تكون فرصة تدفعه إلى القيام بثورته الروحية. فليس من شك في أن هذا الوطن

في أشد الحاجة إلى الثورة الروحية على ما ألف من قيم وما اصطالح - حتى الآن - عليه من أوضاع

في أشد الحاجة إلى أن يطرح هذه النظرة القديمة في الوجود وفي الحياة، كي يضع مكانها نظرة

أخرى كلها خصب وكلها قوة وكلها حياة. وفيها تعبير واضح عن كل ما يخالج ضميره من مطامح

نحو السمو ونحو العلاء، وشعور حي نابض بالنزوع إلى تطور روحي هائل تصاعد فيه قواه مندفعة

متوترة حادة متوتبة خالقة تبدع - في كل طور من أطوار هذا التصاعد - صوراً للوجود خصبة

سامية، وقيماً للحياة جليلة عالية، في الإيمان بها إيمان بإمكان خلق جيل من أبنائه عظيم، وفي

تحقيقها تحقيق لنوع من الحضارة زاهر ممتاز. وليس من شك في أن الشعور بهذه الحاجة قائم في

نفوس أبنائه، تستطيع - إذا أرهفت النظرة - أن تكتشفه فيهم واضحاً حيناً، غامضاً في معظم

الأحيان، فهم لم يعوّدوا يمنحون القيم القديمة المساندة من الثقة والإيمان ما كانت تمنح من قبل،

واللوحة التي كانت مرتسمة في مخيلة آبائهم للحياة السامية والوجود الممتاز قد بهتت ألوان الكثير من

أجزائها، وانحسر عنها الضوء قليلاً قليلاً. وأصبحوا ينكرون اليوم ما كان أسلافهم يحتفلون له أشد

الاحتفال، ويتبرمون بأشياء كانت من قبل في موضع التقديس. وكانت نتيجة هذا كله أن أصبحت

الطبقة الممتازة من أبناء هذا الجيل تندفع نحو الشك في قيمة الكثير من مقدس الأشياء وتقتحم

عيونها طائفة من المسائل كانت في نظر السابقين مشاكل تقلق بالهم وتشير همومهم فكانوا يحيطونها

بهالة من الرهبة والإجلال. فهذه الطبقة على حال من الشك قد يبلغ عند البعض درجة اليأس والقنوط

في كل شيء من القلق قد يصل إلى حد العذاب وفي حيرة متذبذبة تدفع ذات اليمين وذات اليسار».

نيتشه، النهضة المصرية، القاهرة، ط/٣، ١٩٥٦ تصدير عام.

(١٣٥) «وهى - من أجل هذا كله - فى حاجة إلى اكتشاف نظرة فى الوجود جديدة تؤمن بها وتحاول تحقيقها فى الحياة، ويكون فيها عوض عن تلك النظرة القديمة التى لم تعد تؤمن بها لأنه ليس فى وسعها بعد هذا الإيمان. ولابد لهذه النظرة الجديدة أن تكون متفقة مع أحوال العالم الحاضر، محققة لمقتضيات هذا العصر، باذلة جهدها فى التوفيق بين متناقضاتها وفى حل ما تستطع من مشكلاته، حاسبة حسابها لكل ما يعج به من مسائل وكل ما يضطرب فيه من أحداث. فليس حلاً للمشاكل أن تلغىها أو تفر منها وتتناساها. فلكى تضمن - إذن - لهذه النظرة الجديدة الحياة، ولكى تكون لها قيمة - حقاً - فى السمو بالحياة والارتفاع بدرجة الوجود ولكى تكون قادرة على إشباع هذه الحاجة التى تشعر بها نحو خلقها وإيجادها، لا مناص لنا من أن نجعلها شاملة تواجه كل مشاكل هذا العصر بما فيه من أشكال وتعقيد. أما هذه الطول الساذجة الهيئة التى تحل مشاكل العصر حلاً وهمياً بالفرار منها أو بالغائها فلا نفع فيها ولا غناء، بل فيها الضرر كل الضرر والخسران كل الخسران. فلنكن على حذر من دعائها ولنحاربهم بكل ما نستطيع، فليس فيما يدعوننا إليه من رجوع إلى نظرات فى الوجود قديمة، عشنا عليها حيناً، واستطعنا من قبل أن نبني عن طريق الإيمان بها مجداً إلا الضياع والخسران المبين. وليس هؤلاء الدعاة - فى الواقع - إلا دعاة اضمحلال يشيخون روح الانحلال ويخدرون أعصابنا بلحن الغناء الذى انحصرت مهمتهم فى الحياة.

وإلى التمهيد لإيجاد هذه النظرة الجديدة قصدنا، حين فكرنا فى هذا المشروع الضخم، مشروع تقديم خلاصة الفكر الأوروبى إلى أبناء هذا الجيل. فنحن نريد عن طريقه أن نعرض عليهم العقل الأوروبى. وهو يناضل ويجاهد فى سبيل إعطاء نظرة فى الحياة وفى الوجود من شأنها أن تخلق طابعاً ممتازاً من الإنسانية وصورة جليلة سامية من صور الحضارة. نريد أن نبين لهم كيف يفكر هذا العقل ويبدع ويخلق، وكيف يتطور فتتطور معه صور الوجود وقيم الحياة. نريد أن نودعهم هذه اليتابيع الفياضة الحية التى تتبثق من الرجل الأوروبى فى تدفق وباستمرار». المصدر السابق، تصدير عام.

(١٣٦) «ولسنا نريد منهم أن يؤمنوا بمذاهب هذا الفكر ويسيروا فى الاتجاه الذى فيه سار، دون افتراق عنه أو محاولة لإنكاره ومخالفته. فليس يعنيننا من أمر هذا الإيمان شئ. وإنما الذى يعنيننا والذى من أجله أخذنا أنفسنا بمهمة العرض والتحليل لهذا الفكر هو أن نمهلهم على أن يفكروا فيما فكر فيه العقل الأوروبى، ويتأملوا فى المشاكل التى أثار، والحلول التى قدم وأن ينظروا نظراً عميقاً فيه حرص وفيه جد فيما أتى به من نظرات فى الحياة وفى الوجود، كى يتخذوا من هذا النظر وذلك التأمل والتفكير دافعاً ومادة وأداة، من أجل إيجاد هذه النظرة الجديدة التى باسمها سيعلنون ثورتهم الروحية المنشودة. نحن لا نقدم إذن حلاً قد تم صنعها وإعدادها فأصبحت صالحة للاستهلاك. ونحن لا نتقدم إليهم بنماذج نهائية كاملة وليس عليهم من بعد إلا التقليد والاحتذاء. إنما نضع فى متناول أيديهم مادة ثمينة للتفكير الحى الخصب، وتحت أنظارهم أمثلة خليق بهم أن يتأثروا ويستلهموها وصوراً حية قوية آخر ما وصل إليه الفكر الإنسانى فى تطوره وسموه كى يبدؤوا نحوهم منها بعد أن يهضموها ويتمثلوها ويعملوا عليها بعد أن يكونوا قد بلغوها. ومن أجل هذا كله قد اخترنا من موضوعات هذا الفكر الأوروبى ما يمثل أحسن تمثيل، ويعبر عن سموه أصدق تعبير. فاخترنا الفلاسفة والمفكرين والشعراء والفلاسفة. ومن هؤلاء جميعاً لم نختر إلا أقدركم على الإلهام وإثارة التفكير وأقربهم إلى روح العصر وأعظمهم أثراً فى تطور أوروبا الروحية وأشداهم عناية بمشاكل

الإنسانية الحقيقية وأحرصهم على أن يكون فكرهم حياً ينبض بدماء الحياة خصباً يقدر على النمو من بعدهم والإنتاج، جريئاً يهاجم المشكلات، حراً يبذل ما قدس من أوهام، ثم اخترنا - من بعد هؤلاء - روح الحضارة الأوروبية نعرض تطورها ونحلل أنوارها، ونكشف عن جوهر كل واحدة منها، حتى تكون لدينا صورة كاملة للروح الأوروبية في نموها ووقوفها ومدى وجزرها ومنحنيات تطورها. وما نحن أولاء نضع الآن بين يديك أول صورة من صور الفكر الأوروبي، صورة حية قوية فيها عنف وفيها قوة وفيها تناقض وفيها اضطراب وفيها خصب وفيها حياة. ونحن نعلم - مقدماً - أنك لن تلمئن إليها، وأن الكثير من القلق سيساور نفسك بإزائها. ونخالنا نرى عينيك الآن وهما تتسعان دهشة واستغراباً ونحس بقلبك وهو يهتز جزعاً منها وقشعريرة، ولكننا نعلم - أيضاً - أن هذه الهزة هي القدرة - وحدها - على انتشالك من ظلمة الهوة التي أنت فيها إلى حيث نور الفكر الحر والنظر الصحيح إلى الأشياء، وأن هذه القشعريرة هي الخليفة وحدها بأن تدفعك إلى الخلق المستمر والإبداع. وتلك الصورة صورة فكر نيتشه» المصدر السابق، تصدير عام.

(١٣٧) يبدأ الكتاب بنظرة أولى لبورة التطور من اليونان إلى شوينهور، ثم أربعة أقسام: الأول: طبيعة خارقة (ورثة متبناة، صورة قلقة، أزمة روحية، صداقة مأكرة، وحدة ضرورية، وهن صحي، الثقافة سريعة) وعصر مضطرب (قرن معقد، أعراض انحلال)، تحطيم الأصنام (أصنام الأخلاق، أصنام الفلسفة)، وحى زرادشت (إرادة القوة، هذا الوجود، الإنسان الأعلى). ويضع شعار القسم الثاني، «حضارتنا الأوروبية تضطرب كلها منذ زمان في عذاب توتر يزداد سنة بعد سنة، كأنها موشكة على كارثة عظيمة فهي خلقة».

وشعار القسم الثالث «عيفة مندفة ومثلها مثل السيل يندفع نحو النهاية.. خاف أن يراجع نفسه». وشعار القسم الرابع «أنا شدمك يا أخوتي أن تظلوا إلى الأرض مخلصين».

(١٣٨) «كي نستخلص منه دروساً لعلها أن تكون قاسية وشديدة الوطأة على دعاة الانحلال، ولكنها - من غير شك - أتمن ما نحتاج إليه في هذه السطور من دروس»

اشبنجلر، وكالة المطبوعات، الكويت ١٩٨٢ ص ٧ «تلك هي الدروس العالية التي يلقيها علينا اشبنجلر فلنأخذ بما فيها، إن كنا نريد حقاً أن نكون للتاريخ خالقين» المصدر السابق ص ١٠.

(١٣٩) «كل هذا يدل على أن العذاب الذي تعانيه الحضارة الأوربية اليوم ليس عذاب أزمة طارئة لابد يوماً أن تزول، وإنما هو عذاب كارثة هائلة بها تنتهي مأساتها الطويلة الرائعة. لكن نداء غامضاً يساعد من أعماق الوجود الحي أذاناً بميلاد روح حضارة جديدة - هل سمعت يا مصر هذا النداء» المصدر السابق، آخر صفحة ص ٢٠٥.

(١٤٠) يتضمن الكتاب ثلاثة أقسام: الأول الثورة الكوبرنيقية الثانية، والانتقال من التصور الإلهي القديم

إلى الرؤية الحيوية الجديدة عند الرومانسيين هيجل وهيلنر، وفلسفة الحياة: دريش ودلتاي وزمل وبرجسون، وثورة علوم الحياة على النموذجين الرياضي والطبيعي، والانتقال من العلية إلى المصير. والثانية روح الحضارة. والحضارة هي اللغة التي تعبر بها الروح عما تشعر به. وهي الظاهرة الأولية، الخلية الحية الأولى في الجسم. وهي مستقلة عن المادة. فقد حافظت غرناطة علي روحها العربي في القاهرة وبغداد، حتى بعد مغادرة العرب الأندلس. ولها دوائر منعزلة منفصلة كالكانن الحي، هي الوجود الحقيقي، بتعبير هيدجر وكيركجارد. ويعرض لظاهرة التشكل الكاذب لتفسير التداخل الحضاري، والرموز الكونية، فكل فان رمز كما يقول جوت. ويصف الحضارة العربية بأنها حضارة

الكهف وحضارة السحر والقباب والتزيين والموزاييك، في حين تطور الغرب إلى روح فاوست. والثالث قوى التاريخ، وهي الحياة الفعالة فيه، وكذلك الجنس وإرادة القوة وليس المخترعات والمال. الإنسان كون أصغر، حيوان مفترس في بيولوجيا السلطة والزمان. والتاريخ في الدم والأرض. أما النبالة فتنشأ في الأرض بواسطة إرادة البقاء، وينتهي الكتاب بثبت عربي بمؤلفات شبنجر.

(١٤١) «ولكل أن يفهمها كما يريد وأن يستخلص من النتائج منها ما يشاء. أما أنا فأريدها لشيء واحد هو أن أحيا الوجود روحيا بعمق» شوينهور، وكالة المطبوعات، الكويت، دار القلم، بيروت ص ١٦.
(١٤٢) يُذكر حوالي ثمانية عشر شاهداً شعرياً من أبي العلاء وشاهد واحد من عمر الخيام. أشهر شواهد أبي العلاء مثل:

تعب كلها الحياة فما أعجب إلا لراغب في ازدياد

وكل الشواهد من أبي العلاء تدور حول التشاؤم، وخطيئة آدم وترك الإنسان في العالم دون عون، وتمنى عدم آدم، وعدم الإنجاب، وترك الذرية، فالأفضل قطع هذا الحبل، وأن الإنسان ما خلق إلا ليهلك، وتأمل قسوة الموت، والآلام، وخداع السعادة، وهم اللذة، والشر أصل الوجود، والناس أشرار، وعن العزلة، والحب، والموت، والجبر - وأن الميلاد للموت. المصدر السابق ص ٢٢٨ - ٢٣٩، ص ٢٥٩ - ٢٦٩، ص ٢٧٨ - ٢٨٢.

(١٤٣) «في هذا الزمان الذي طغى فيه الاقتصاد على الفكر، والإنسان الاقتصادي على الإنسان العاقل، والقيم المادية على القيم العقلية، وصار كل شيء يُقوّم بالكُم دون الكيف، والإنتاج العلمي لا النشاط النظري، حتى صارت البطون هي الغايات والعقول والقلوب وسائل لغايات. في مثل هذا الزمن لا شيء، أنجع في رد الإنسان إلى مكانه الحقيقي أعني رده إنساناً، أولاً يتميز عن سائر الكائنات بالفكر ويسعى إلى الغايات العليا التي استهدفتها الإنسانية ممثلة في الصفوة من كبار مفكرها على مر العصور؟ نقول لا شيء أنجع من الفلسفة المثالية والمثالية الألمانية منها بخاصة ممثلة في أقطابها الكبار الثلاثة: فشته وهيجل وشلنجر، شلنجر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط/٢ بيروت ١٩٨١ ص (د).

(١٤٤) تذكر الخصائص العامة لفلسفة فشته ومراحل حياته ثم التركيز على نظرية العلم. كما تُذكر حياة هيجل ومؤلفاته وفلسفته ومذهبه. ثم يفصل شلنجر، حياته ومراحلها ومذاهبه: فلسفة الطبيعة، وفلسفة الهوية، والأخلاق والدين.

(١٤٥) يتضمن سبعة فصول لكل منها مرحلة من حياته: الطلب والتنقل، وبيننا، وبامبرج، وتورنبرج، وهيدلبرج، وبرلين. حياة هيجل، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٨٠ ط/١

(١٤٦) «ننبه هنا إلى وهم شائع خصوصاً في البلاد العربية وهو تصور أن الوصف بالعظمى يتعلق بالمكانة السياسية وإنما الصحيح أنه يتعلق بأرض إنجلترا في مقابل أرض فرنسا في شمالها الغربي المسماة باسم بريتانى». فلسفة القانون والسياسية عند هيجل، دار الشروق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، دار الفارس، عمان ط/١ - ١٩٩٦ - ص ١٨٨.

(١٤٧) يرصد مراجع متتالية عن مفهوم الدولة للعلم وليس للاستعمال، المصدر السابق ص ٨٦/١١٢/٩١
٩١/١١٢/٢١٥/١٦١. كما يحيل إلى هومش قليلة إلى هارتمان: فلسفة المثالية الألمانية، وإلى ناشر فلسفة الحق لهيجل وإلى بعض المراجع التي يحيل إليها هيجل نفسه.

(١٤٨) «على القارئ العربي إذ يتذكر وهو يقرأ هذا الفصل أن عروض الشعر الأوروبي يختلف كل

الاختلاف عن عروض الشعر العربي، إذ يقوم النظم في الشعر الأودوي على الإيقاع، والإيقاع يقوم على المقاطع الطويلة والقصيرة وعلى الفاصلة في وسط البيت وعلى التبرة. فلسفة الجمال والفن عند هيجل، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الشرق، بيروت، دار الفارس، عمان ط/٢- ١٩٩٦ وتصدير عام باريس ١٩٩٣ ص ٣٠٢.

(١٤٩) يتضمن الكتاب قسمين بلا عناوين: الأول فصول عن التمهيدات، وشروط الفن، والجمال، والمثل الأعلى والجمال الفني والفعل والعالم الخارجي والفنان. والثاني عدة فصول عن الفن الكلاسيكي (الفن المثالي) والرومنتيكي والشعر الملحمي والفناني والمسرحي.

(١٥٠) «تنبية: أرسطو في العصر القديم وكانط في العصر الحديث، هما قمعا الفكر الفلسفي، وقد كرسنا لأولاهما ما يزيد عن خمسة عشر كتاباً فلا أقل من أن نخصّ ثانيهما بهذا الكتاب المتعدد الأجزاء أمانويل كانط، وكالة المطبوعات، الكويت ط/١، ١٩٧٧.

(١٥١) الأخلاق عند كانط، وكالة المطبوعات، الكويت ١٩٧٩.

(١٥٢) قام المؤلف بمراجعة ترجمة د. عبد الغفار مكاوي «أسس ميتافيزيقا الأخلاق» الدار القومية، القاهرة ١٩٦٥.

(١٥٣) فلسفة القانون والسياسة، وكالة المطبوعات، الكويت ١٩٧٩.

(١٥٤) للأسف لم نستطع الاطلاع على الجزء الرابع «فلسفة التربية والدين» لعدم توافره، وأغلب الظن أنه مكتوب بنفس طريقة الجزأين الثاني والثالث.

(١٥٥) «تنبية: هذا مدخل جديد إلى الفلسفة عرضنا فيه آخر تصورات الفلاسفة لحقيقتها وحدودها ومنهجها وغايتها ودفاعنا فيه ضد هجمات المنتقسين منها أو المزيغين لماهيتها وأهدافها. وأكدنا أهميتها الكبرى في الثقافة الإنسانية وما تقوم به من دور بالغ في تحقيق معنى الإنسان وإدراك مدلول الحياة وسر الوجود. ثم قفينا على ذلك بعرض مشاكلها الرئيسية الثلاث: مشكلة الوجود، ومشكلة المعرفة، والإلهيات وحرصنا في هذا العرض أن نبرز - خصوصاً - آراء المعاصرين حتى يعرف القارئ ما انتهى إليه الفكر الفلسفي في هذه المشاكل، ونبين المكانة العظمى التي لاتزال الفلسفة تمثلها في الفكر الإنساني وفي فروع المعرفة على اختلافها، وسيحقق هذا الكتاب الغاية منه إن استطاع أن يبصر الناس بحقيقة الفلسفة وأن يحثهم على التفكير فيما تثيره من مشكلات وأن ينهجوا نهجها في كل ما يتناولونه من وسائل وما يفكرون فيه من أمور الحياة» مدخل جديد إلى الفلسفة، وكالة المطبوعات، الكويت ط/١، ١٩٧٥، ط٢/ ١٩٧٩.

(١٥٦) ويحيل إلى الجويني والرازي وابن سينا وابن رشد والثعالبي والسيوطي وابن الحاجب وابن جني وابن قتيبة وابن الأنباري والسكاكي.

(١٥٧) «حتى نظل في ميدان النظر المحض بعيدين كل البعد عن التعزيز والوعظ، مما هو مزلق الخطر في كتب الأخلاق. وهدفنا هو أن نوقظ في القارئ الإحساس بعمق المعاني الأخلاقية، وأن ندفعه إلى الأمل المستمر في سلوك الإنسان» الأخلاق النظرية، وكالة المطبوعات، الكويت، ط١، ١٩٧٥.

(١٥٨) في القيم الأخلاقية يحيل إلى نيتشة وشيلر وهارتمان وسارتر وفي مبادئ الحياة الأخلاقية يذكر أخلاق المنفعة (الذة والمنفعة والرواق)، والعقل (كانط) والطبيعة (آدم سميث، روسو، جويو، شوبنهاور، اشفيتسر)، والإرادة (نيتشة)، والشخص (مونييه، شيلر).

(١٥٩) في العقل كأساس القيمة يشير إلى الحسن والقبح عند المعتزلة، وفي الإنسان يحيل إلى التصوف.

الإسلامي ودور المحبة فيه . وتعريف الحارث المحاسبي لها من «الرسالة القشيرية» وتعريف الجنيد مقارنة بأوغسطين، وكذلك المحبة الإنسانية العالمية عند البسطامي وابن عربي . وفي التواضع يذكر آداب الصوفية عند الجنيد والبسطامي والفضيل بن عياض، وفي السخاء يحيل إلى تحليلات الصوفية في الرسالة القشيرية

المصدر السابق ٩٥-٩٦ / ٢٠٣-٢٠٤ / ٢١٩ - ٢٢٠

(١٦٠) «قصدت في هذا الكتاب أن أعرض موضوعات المنطق الصوري والرياضي عرضاً شاملاً متصلاً، استقصى فيه المسائل في تطورها حتى أبلغ بها إلى آخر صورها ومختلف الآراء التي أدلى بها كبار المناطق في العصر الحديث، متخذاً في معظمها موقفاً جزئياً خاصاً يتناسب مع سياق العرض، دون أن ألتزم موقفاً موحداً يستهدف الأصالة أكثر مما ينشد الاستقصاء لأنني لم أرد به أن يكون تعبيراً عن الفلسفة التي أو من بها وأشار في إيجادها والتي أعلنت في برنامجي لها في «الزمان الوجودي» عن منطق خاص بها ينبثق عنها لأن هذا المنطق الذي أعلنت عنه لا يزال عندي في دور التكوين» . والمنطق الصوري والرياضي، النهضة جـ ٢ / ١٩٦٣.

(١٦١) يحيل إلى التعريفات للجرجاني، وشرح القطب على الشمسية، والتوحيدى في الإمتاع والمؤانسة، ومنطق المشرقيين لابن سينا، وحاشية الشريف الجرجاني على شرح مطالع الأنوار، والبصائر النصيرية للساوى، والسلم المندرق، والمناظرة بين السيراقي وأبي بشر، والسرخسي، ويحيى بن عدي والرماني، ويأتى بأمثله من الشعر العربي (الفرزدق) لبيان الأفراد والاستقراق، ومن القرآن للشرطية المتصلة، ومغنى اللبيب لابن هشام، وابن حزم، والغزالي، وراى المستشرق تولدكه في أثر المنطق الأرسطى على المنطق العربي، والمراجع الأجنبية، المصدر السابق ص ١٠.

(١٦٢) «وعسى أن يكون فيه ما يفيد في توجيه البحث العلمى الذى لم يثمر بعد فى العالم العربى ثماره المرجوة على المنهج السديد» مناهج البحث العلمى النهضة ١٩٦٣ ص ٨

(١٦٣) جان بول سارتر. الوجود والعدم، دار الآداب، بيروت ط ٢، ١٩٦٦.

(١٦٤) ألبرت اشفيتسر: فلسفة الحضارة، المؤسسة المصرية، القاهرة ١٩٦٣.

(١٦٥) بنربوى: مصادر وتيارات الفلسفة المعاصرة فى فرنسا . المجلس الأعلى لرعاية العلوم والفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، الأنجلو المصرية ١٩٦٤ .

(١٦٦) «وكلاهما (النقد التاريخى ومنهج التاريخ) لم ينفذا بعد النفاذ الكافى فى الدراسات العلمية بالعربية ... وجل مانشر فى العربية حتى الآن من أبحاث تاريخية أو تحقيق لنصوص عربية مصاب بأفة مستعصية من جزأء هذا الافتقار إلى المنهج فى دراسة التاريخ وتحليل النصوص وإلى هذه الغاية من تمكين الدارسين من القيام بأبحاث تاريخية علمية سليمة المنهج محكمة النتائج قصدت من ترجمة هذا المجموع». لأنجلو اديسونويوس : النقد التاريخى، وكالة المطبوعات، الكويت ١٩٨١، تصدير عام ص ٩-١٤.

(١٦٧) «ولأخير علينا من اتخاذ هذا الدرس فى الحياة. فإن المصير يضعنا أحيانا فى مأزق وجودية لاسبيل إلى الخلاص منها إلا بالزهد والعزوف والاستشهاد» جوته: الأنساب المختارة، النهضة ١٩٤٥ تصدير عام ص (ج)

(١٦٨) «وكان الناشر فرومان - شأنه شأن كبار الناشرين فى أوروبا وفى العالم العربى فى عصره الزاهر - رجلاً واسع الاطلاع»، المصدر السابق ص (ح).

(١٦٩) هناك أبيات صدى لسورة الفاتحة وأخرى للسور «ولقد خلقنا الإنسان من صلصال مسنون»، «هل أنبؤكم على من تنزل الشياطين»، «تنزل على كل أفك أثيم»، «يلقون السمع وأكثرهم كاذبون»، «والشعراء يتبعهم الغاؤون»، «ألم ترأنهم في كل واد يهييمون»، «يقولون مالا يفعلون»، «من يعمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها» «ومارك بظلام للعبيد»، «من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهب كيده»، «إن أوهن البيوت لبيت العنكبوت»، «لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح عيسى بن مريم»، «إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً بعبوضة»، جوته : الديوان الشرقي .

(١٧٠) يسمى جوته أسماء أجزاء ديوانه بأسماء إسلامية مثل كتاب حافظ، كتاب تيمور، كتاب زليخا، كتاب البارسي . وبعض أسماء الكتب موضوعها إسلامي مثل كتاب (المغنى) موضوعه الهجرة، وكتاب (التفكير) من أقوال الفريوسي والرومي، وكتاب (الحزن) من أقوال النبي وتيمور . وكتاب (الحكم) من أقوال أنوري، وكتاب (الخلد) عن أهل الكهف. الديوان الشرقي للمؤلف الغربي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ١٩٨٠ ط٢ ص ١٠١/٩٨/٧٦ / ١٨٠/١٩٢/٣٣٥/٣٤٦/٣٥٠ .

(١٧١) جوته: جيتس فون برلشنجن، الكويت ١٩٧٩ سلسلة المسرح العالي ١١٧
(١٧٢) جوته: فاوست، الكويت ١٩٨٩ (ثلاثة أجزاء) . وللأسف لم نستطع الاطلاع على الجزء الأول الذي يتضمن مقدمة المترجم للمسرحية .

(١٧٣) برشت : الأم شجاعة وأولادها ، الإنسان الطيب في ستسوان : النهضة، القاهرة ١٩٦٥ .
(١٧٤) وإذا كان النجاح في واقع الحياة من حظ من يسلكون مسلك سنشوينثا فتباً لهذا النجاح الوضيع الدنيء بل تباً للإنسانية كلها إن صارت كلها من نوع سنشوينثا وعمت كل دون كيخوته»، ثريانتس، دون كيخوته، النهضة القاهرة ١٩٦٥ .

(١٧٥) «وحسبنا هذا القدر في تقويم هذه التحفة الرائعة من تحف الأدب الأسباني التي ترجمناها ها هذا إلى العربية لأول مرة ، والتي تعد - على صغر حجمها - من روائع الأدب العالمي «حياة لثريودي تورمس، باريس ، الكويت ١٩٧٦ ص ٣٣ وهي من منشورات المعهد الأسباني العربي للثقافة في مدريد . كلا سيكيو في اللغة الأسبانية، الكتاب السادس .

(١٧٦) لم نستطع للأسف الاطلاع على باقى الترجمات المعلن عنها في الروائع المائة وهي إيشندورف من حياة حانربائير، فوكيه : أندين، بيروت : أسفار أنتشيلدهارولد، لوركا: مسرحيات، برشت: دائرة الطباشير القوقازية، درنمات : علماء الطبيعة، هيلدرلين : هيبيريون، رلكة: صحائف مالتى برجه، أيونسكو : فتاة للزواج

(١٧٧) لم نستطع للأسف الاطلاع على ديوانى الشعر المعلن عنهما «مرأة نفسى»، «نشيد الغريب» وكذلك على القصص الثلاث: «التسلسل»، «لن أختار»، «جابر بن حيان» .

(١٧٨) «فإن وجد فيه الشباب القلق من أبناء هذا الجيل صورة صادقة لشيء ما يجول في نفوسهم حينما ينطوون عليها ويفتشون في أتاييها، وكان في هذا بلسم لقلوبهم المكومة بجراح الشك والحيرة والتوثب نحو المجد ونشدان البطولة في أروع معانيها، فيها ونعمت. وإن رأوه من القتامة والغموض والإسراف في القلق والقسوة في تشريح الحياة، بحيث لا يتصل بنفوسهم القائمة الراضية السميئة فهنيئاً لهم هذه البرمة والصفا، ولست ألتمس منهم أن يعكروهما بقراءة مثل هذا الكتاب وكل ما أسألهم إياه أن يضعوا إكليلا من الزهر الأزرق على قبر الشهيد إن مروا به عابرين» هموم الشباب.

(١٧٩) «إهداء: إلى الأفعى الرهيبة التي أوردتني موارد الخطيئة في جحيم الشهوات فاقتحمت على برجي العاجي، أنا الأعزل، واختلطتني ثم قذفت بي من حالق في التيار المتدفق لنهر الحياة، وما كنت أعلم السباحة، فهويت في القاع مرات كانت تنتشلني فيها بشقها الذهبي الزائف، فلا ألبث حتى أغوص من جديد في أسوأ قرار إلى أن أسدل الستار على ختام تلك المساة، إليها أهدى هذه الصفحات التي سطرتها بيمينها سائلاً الله لها الغفران ولي الرضوان. شهيد الشباب» المصدر السابق، الإهداء.

(١٨٠) تقول كارمن:

الحب طير مريد	حر دواما شريد
إن لم تقع في غرامى	وقعت لما أريد
لكن إذا همت فاحذر	منى فحبنى شديد

ويقول الفرد: ذات يوم طاف من أعلى الأثير طائف النشوة في القلب الكبير
نشوة الحب لها وقع كبير

المصدر السابق ص ١٠ / ١٧.

(١٨١) «إلى سلوى، ابتهاج واعتراف

أعيش في وطني، ووطني منقاي، تمرح الدنيا حولي وكأني أنا وحدي الذي أنوح، أنا موحد وفي توحيد حيوية الوثنية

بل أناوثي وفي وثنيتي صفاء التوحيد

توحيد حرية الخالق بإزاء المخلوق. أما غيري فتوحيد عبودية المخلوق للخالق والخالق للمخلوق
سواء وثنيتي تقدس اللبس وتفزع من طغيان البصر

وثنيتي تمجد الجسد وتهزأ بدعوى الروح

أجل في كيانى عصارة حياة لن أبتاع بها كوثر الأوهام.

«الحور والنور»، وكالة المطبوعات، الكويت، دار القلم، بيروت ١٩٧٩ ص (و).

(١٨٢) «غاية الوجود أن يجد ذاته وسط الوجود. وما هنا صورة إجمالية لمذهب فسرنا فيه الوجود. على

أساس الزمان وحاولنا تحقيق هذه الغاية للإنسان»

الزمان الوجودي. النهضة، القاهرة ١٩٤٥.

(١٨٣) مثل تور اندريه: شخصية محمد في مذهب أمته واعتقاداتها. جولدزيهر: العناصر الأفلاطونية

المحدث والفنوصية في الحديث.

(١٨٤) تلك هي الخطوط العامة لمذهب في الوجود جديد سنجعل مهمتنا في الحياة تفصيل أجزائه حتى

نستطيع أن نحقق للإنسان هذه الغاية التي قلنا إنها غاية الوجود،

«موسوعة الفلسفة» ج ١ ص ٣١٧.